دُرَّة الواعظين
و
إرشاد الحائرين

للداعية الإسلامي

يوسف عبد الغني كيوان

شيخ مسجد السلاب (شربين)

غفر الله له ولوالديه وللمسلمين أجمعين

قدم له

ا. د

حلمى السيد ابو حسن

العميد الأسبق لكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بجامعة الأزهر



مكتبة جزيرة الورد

القاهرة : ٤ ميدان حليم خلف بنك فيصل

ش ٢٦ يوليو ميدان الأوبرا ت : ٠١٠٠٠٠٤٠٤٦ - ٠٢٧٨٧٧٥٧٤

Tokoboko_5@yahoo.com

بطاقة فهرسة

مكتبة جزيرة الورد

اسم الكتاب: دُرةُ الواعظين وإرشاد الحائرين

تأليف: يوسف عبد الغني كيوان

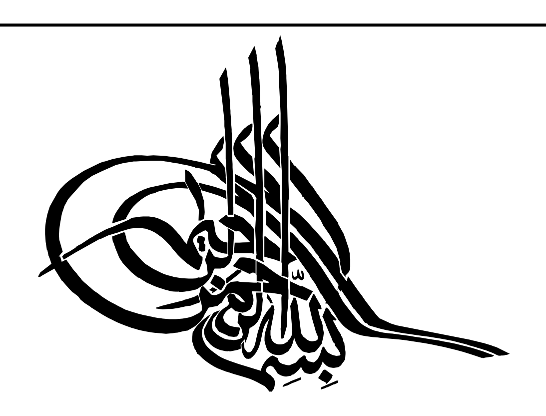
رقم الإيداع:

الطبعة الثانية ٢٠١٢



Tokoboko_5@yahoo.com

تقريظ



قال تعالــى:

{قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَاْ وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللّهِ وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ}

سورة يوسف الآية (١٠٨)

* * * * *

إهــــداء

أهدي هذه المواعظ إلى ولدى العزيز:

(محـــمـــد)

رجاء أن تستضيء

بـها دنياه

وبالله التوفيق

يوسف كيوان

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه وبعد،،

فهذا كتاب لشاب أزهري يعمل في حقل الدعوة والخطب المنبرية وقد سماه (درة الواعظين وإرشاد الحائرين) وقد اشتمل على زاد طيب يحتاجه كل خطيب بما فيه من موضوعات عصرية يحتاجها المسلمون في هذا الزمان إذ تناول البيئة ودعوة الإسلام للمحافظة عليها، وأخلاق الإسلام التي دعا إليها، وأخلاقا نهى عنها الإسلام وحذر منها، وأمور غيبية ذكرها رسول الله ﷺ :**ويل للعرب من شر قد اقترب**ــ كل هذا بأسلوب طيب، وعرض شيق، وتركيز في الفكرة، وشواهد من القرآن والسنة.

فما أحوج الخطباء إليه وانتفاعهم به بالإضافة إلى عرضهم بالأداء الجيد ومراعاة النبر والتزمين والتنغيم، والحلاوة والطلاوة، والوقفات حتى يصلوا إلى القلوب، ويكون لهم التأثير الفعال في نفوس المستمعين، وأن يتشبهوا بأسلافنا من الدعاة الذين كان لهم أكبر الأثر في نفوس المسلمين كالشيخ عبدالحميد كشك والشيخ الغزالى العالم الداعية، والشيخ القرضاوى وغيرهم.

أسأل الله أن ينفع بهذا الكتاب، وأن يوفق مؤلفه الشيخ يوسف كيوان شيخ مسجد السلاب لخدمة الدعوة.

إنه سبحانه سميع النداء ومجيب الدعاء.

أ. د/حلمي السيد أبو الحسن

أستاذ بجامعة الأزهر

عميد كلية الدراسات الإسلامية

والعربية للبنات ببورسعيد (سابقًا)

* * *

مقدمة الطبعة الثانية

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه وبعد:

فهذه هى الطبعة الثانية لكتاب (درة الواعظين وإرشاد الحائرين) في ثوبه الجديد بعد أن نفدت الطبعة الأولى لهذا الكتاب - بفضل الله وحده - وقد قمت بمراجعة الكتاب مرة أخرى لتصويب الأخطاء المطبعية والعناية التامة بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية.

وسميته مسمى جديدًا (درة الواعظين وإرشاد الحائرين) مع بعض الإضافات.

ونسأل الله القبول في القول والعمل.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المؤلف

الثلاثاء ١٠ من جمادي الآخرة ١٤٣٣هـ

١ مايو ٢٠١٢م

* * *

مقدمة الطبعة الأولى

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.. وبعد:

فإن هذا الكتاب الذي بين يديك - أخى القارئ - كتابا وفقنى الله تعالى إلى ترتيبه وتصنيفه، بذلت فيه جهدا أدعو الله أن يكون مباركا مقبولا، وأخذ منى وقتاً أسأل الله تعالى أن يكون لى يوم القيامة حجةً ونوراً، يجمع بين دفتيه خطباً منبرية وحكماً شرعية وآداباً إسلامية وقصصاً وأخباراً وفوائد وآثاراً تمثل للداعية منهجا وللخطيب سراجاً وهاجاً.

وما أزعم أنى بلغت حد الكمال أو أن غيره ينبغى أن لايقال، بل هو إسهام على طريق الدعوة، أنصح به أهلى وإخوانى، وأحبابى وخلانى، وكل مسلم مؤمن بالله واليوم الآخر.

وتحدثاً بنعمة الله عليّ فقد جعلنى الله داعية وخطيباً بمساجد الأوقاف المصرية، فاختلطت بالجماهير، وعلمت مشاكلها وآمالها وآلامها، فعالجت ذلك في خطبي، إيماناً منى بأن الداعية لاينبغى أن ينفصل عن مشاكل المسلمين، بل لابد أن يعبر عنها ويلتمس العلاجات الإسلامية، لكل المشاكل الدنيوية والدينية تلك المشكلات التي لها علاج في ظل الشريعة الاسلامية.

وهذا الكتاب حوى بين دفتيه موضوعات شتى في أكثر المجالات، أزعم أن الداعية سيجد - إن شاء الله - فيها ما يفيده في أداء مهمته المقدسة، وتيسر الكثير من المشاق عليه.

واعلم أخى المسلم أن الدعوة إلى الله ليست حكرا على أفراد أو جماعات، بل هى وظيفة كل مسلم، يؤمن بالله واليوم الآخر، مصداقا وتصديقا لقول رسول الله ﷺ :**بلغوا عنى ولو آيةــــ.**

ولابد أن نعلم أن الدعوة الى الله لاتتمثل فحسب في خطب أو محاضرات، أو كتب وندوات، بل هى أعم من ذلك وأشمل، فالكلمة الطيبة دعوة إلى الله، وحُسن الخلق دعوة إلى الله، وقضاء مصالح المسلمين دعوة إلى الله، والأذان دعوة إلى الله، وتحفيظ القرآن دعوة إلى

الله، بل والكسب الحلال دعوة الى الله.

ونحن في هذا الزمان نحتاج إلى أن نظهر الإسلام العظيم في سلوك المسلمين، إذ لابد من التكامل بين القول والعمل، وبين النظرية والتطبيق، وبين التنظير والسلوك العلمى فلو حدث ذلك لعلم الناس حقيقة دين الإسلام، تلك الحقيقة التي شوهتها أقلام مغرضة وألسنة فاجرة حاقدة وفضائيات فاسدة وأفلام ومسلسلات تافهة.

فالإسلام دين يدعو إلى السلام ويدعو إلى المساواة بين الناس جميعاً وينهى عن الظلم والكبر والكذب، هو باختصار كما قال تعالى:**{إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ}** [النحل: ٩٠].

هذا الدين الحق، خير الأديان على الإطلاق، دين يعلو ولايعلى عليه، دين يأمر بكل خير وينهى عن كل شر، دين يعترف بأنبياء الله جميعاً، ويأمر المسلم بذلك، دين يأمر بالإحسان في كل الأمور وإلى كل الكائنات، دين يعلمنا أن امرأة زانية دخلت الجنة لأنها سقت كلب شربة ماء، وأن امرأة دخلت النار بسبب قطة حبستها، لاهى أطعمتها ولاهى تركتها تأكل من خشاش الأرض.

فدين هذا شأنه وتلك تعاليمه يحتاج تضافر كل الجهود من أجل أن يعلم الناس حقيقة الإسلام؛ حتى يدخلوا في دين الله أفواجا. وأن المهمة جد عسيرة وليست هينة تحتاج من كل مسلم، أيا كان موقعه، وأيا كانت وظيفته أن يكافح ويجاهد ليصل الإسلام إلى كل بيت، حتى ينعم الناس بهذا الدين، الذي فيه الخير كل الخير للبشرية جميعا.

فسلام عليك أيها الداعى إلى الله على بصيرة.. سلام عليك أيها الخطيب على منبرك، وأيها الكاتب على مكتبك، بل وأيها المعلم في فصلك، وأنت أيها التاجر في متجرك.. سلام عليك يا كل مسلم تتمنى أن يكون الإسلام هو الدين الذي يدين به العالم أجمع.

وأخيرا هذه هدية إلى إخوانى الدعاة، أسأل الله أن يجعلها لهم معيناً ومرشداً، وكتاباً مسدداً موفقاً.

وأسأل الله أن يكتب القبول لهذا العمل وغيره من سائر الأعمال.

آمين.

وصلى الله وسلم على معلم الناس الخير، وعلى آله وصحبه وسلم.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين،

وكتبه أبو محمد

يوسف عبد الغنى كيوان

شربين - دقهلية

للتواصل: ت/٠١٠٠٥٨٤٩٢٢٨

بريد إلكترونى:

youssefkiwan@yahoo.com

* * *

الفصل الأول
هـذا خلـق الله

دلالات جمال الالوان في المخلوقات
الإعجاز القرآنى وحديثه عن فساد البيئة
الإسلام دين الصحة والنظافة
الماء بين العلم والدين
نظرة الإسلام للحيوان
المخدرات بين التحريم والتجريم

دلالات جمال الألوان في المخلوقات

الحمد لله الذي خلق فسوّى قدر فهدى والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ وبعد:

إخوة الإسلام:

اقتضت حكمة الله أن يستخلف آدم في الأرض، ومن بعده ذريته، وسخر كل ما في الكون لخدمته، بل إن الطبيعة ذاتها سخرها الله له بكل ما فيها وحتى يتكيف معها. وجعل الجو في الفصول أربعة، حتى يستطيع الإنسان أن يعيش على ظهر هذه البسيطة، ومن مجمل هذه الفصول فصل الربيع الذي يُعرف باعتدال جوه ونضارة الأزهار وخضرة الزرع والألوان فيعرف بجمال الطبيعة الخلاب(١). فحول روعة إبداع الله الخالق الأعظم فيما نشاهده من جمال الألوان في الطبيعة وفي إبداع الورود والزهور، بحيث لايملك الإنسان العاقل المتأمل لعظمة إبداع الخالق العظيم مردداً: سبحان الله رب العالمين.

إخوة الإسلام:

فالألوان: لغة تحدث المشاهد بكثير من المعاني، وهي لغة من لغات الفطرة، وإن الناظر لآيات القرآن الكريم ليجد أن الله ﷻ أورد ذلك في آيتين من سورة فاطر.

قال تعالى:{**أَلَمْ تَرَ أَنَّ الله أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ * وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى الله مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء إِنَّ الله عَزِيزٌ غَفُورٌ**} [فاطر: ٢٧، ٢٨].

والآية فيها استفهام تقريري وتحمل معنى التعجب يقول الحافظ ابن كثير (رحمه الله): أراد الله أن ينبه على كمال قدرته في خلقه الأشياء المتنوعة المختلفة من الشيء الواحد، وهو الماء الذي ينزله من السماء، فيخرج به ثمرات مختلف ألوانها منها الأصفر والأحمر والأخضر

---

(١) من مقال للدكتور/ أحمد شوقي إبراهيم.

والأبيض... إلى غير ذلك من ألوان الثمار كما هو مشاهد، تتنوع ألوانها وطعومها وروائحها كما قال تعالى:{**وَفِي الأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِّنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الأُكُلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ**} [الرعد: ٤].

وقوله تعالى:{**وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ**} أى: وخلق الجبال كذلك مختلفة الألوان كما هو مشاهد أيضا من بيض وحمر، وفى بعضها طرائق وهى الجدد جمع جدة: أى مختلفة الألوان والطرق. قال ابن عباس: الجدد وهى الطرق. وعند العرب شديد السواد يقال له: غربيب.

وقوله تعالى{**وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ**} أى كذلك من الحيوانات من الناس والدواب وهو كل ما دبَ على القوائم، كذلك هى مختلفة أيضا، فالناس منهم بربر وحبوش وهم في غاية السواد، وصقالبة، وروم وهم في غاية البياض، والعرب بين ذلك، والهنود دون ذلك، فلا فرق بين عربي وأعجمي وأبيض وأسود إلا بالتقوى والعمل الصالح، قال تعالى{**إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ**} [الحجرات: ١٣] وفى سورة الروم يقول تعالى{**وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ**} [الروم: ٢٢].

وكذلك الدواب والأنعام مختلفة الألوان حتى في الجنس الواحد بل النوع الواحد منها مختلف الألوان، فتبارك الله أحسن الخالقين.

بيد أن الجمال الذي يضفيه الله على مخلوقاته ليس محصوراً في الصورة فحسب، ولكنه جمال يتصل بجمال المخلوقات الأخرى، فيكمل بعضها بعضاً، ولذلك صارت المخلوقات في الكون كلوحة فنية جميلة رائعة الحسن والزينة، توزعت فيها الألوان بحيث ينسجم لون كل مخلوق مع لون المخلوقات الأخرى ويتناغم معها.

إخوة الإيمان والإسلام:

يتبين من ذلك أن جمال أى مخلوق ليس جمالا في ذاته فحسب، ولكنه جمال له أبعاد أخرى في المخلوقات من حوله. وله صلات مرتبطة بها

ارتباطا وثيقا.

وهذه أمثلة إخوانى في الله تزيد الأمور وضوحا:

فالزهور مختلفة الألوان وبالتالى فهى متنوعة الحسن والجمال، وتضفى على ماحولها من أجزاء النباتات رونقاً بديعاً، وعلى كل ما حولها منظراً جميلاً، وفضلاً عن كل ذلك فجمال ألوان الزهرة وجمال رائحتها مرتبطة باستمرار حياة النباتات واستمرار حياة الحشرات بل ومرتبطة باستمرار الأرزاق في هذه الأرض. فالزهرة بألوانها ورائحتها تجذب الحشرات إليها، فتحدث عمليات تلقيح النباتات وتظهر الثمرات والحبوب رزقا للإنسان وغيره من المخلوقات الحية جميعها. إذا فهناك ارتباط وثيق بين الجمال والزهور وبين إخراج الثمرات في هذه الأرض واستمرار الحياة بالنسبة للنباتات كما أن جمال الألوان وجمال الرائحة من الوسائل التي تجذب بعض الكائنات الحية من الحشرات والطيور والحيوانات في كل من الإناث والذكور تجذب الجنس الآخر إليها ويحدث التلقيح والتناسل. وهكذا جعل الله تعالى في إبراز معانى الجمال بالألوان من أسباب استمرار الحياة في المخلوقات، وجمال منظرها وعطرها مقصوداً قصداً في فطرة خلقها، ولذلك جاء في الحديث الشريف:**إن الله جميل يحب الجمال**ــــ(١).

ولقد جاءت معانى كثيرة لهذا الحديث كما قال العلماء منها:

١) قول النبى:**إن لله تسعة وتسعين إسما ـ مائة إلا واحدة ـ إنه وتر يحب الوتر من حفظها دخل الجنة وهى: الله الواحد، الصمد، الأول الآخر، الجميل...**ــــ(٢).

قال الحافظ في الفتح: نقل النووى اتفاق العلماء على عدم حصر أسماء الله تعالى في التسعة والتسعين، وإنما المقصود من الحديث: أن هذه الأسماء من أحصاها دخل الجنة فالمراد الإخبار عن دخول الجنة بإحصائها لا الإخبار بحصر الأسماء.

(١) رواه مسلم من حديث عبد الله بن مسعود.
(٢) فتح المنعم بتصرف يسير.

وقال الآلوسي بعد كلام مفيد له وبعد التحرى التام وهو عدم الحصر في التسعة والتسعين اسما: فكل كلام يليق بذاته سبحانه مانع أن تسمى به ذاته، وكمالاته تعالى لاتتناهى.

فالجميل من البشر هو الحسن الصورة وحسنها يستلزم السلامة من كل نقص وإطلاق الجمال على الله من باب هذا اللازم

٢) وقيل معناه: جميل الأفعال بكم والنظر إليكم، يكلفكم اليسير من العمل ويعين عليه، ويغنيكم من التكبر، ويثبت الجزيل ويشكر عليه.

٣) وقيل: جميل بمعنى مجمل ككريم بمعنى مكرم.. وهكذا.

٤) وقيل إن كل أمره ﷻ حسن جميل، فله الأسماء الحسنى، ومعنى الجمال أى: يجب منكم التجمل في الهيئة(١).

إخوة الإسلام:

وهناك أمثلة أخرى عن جمال الألوان وفطرة الخلق: كما يقول الدكتور أحمد شوقى إبراهيم: فإذا نظرنا تحت سطح البحر ليلا، لشاهدنا عالما مدهشا، فإذا سلطنا ضوءا كاشفا قويا تحت سطح الماء، فإننا نرى في ألوان الأسماك عجبا، ونرى صورا فيها من الجمال ليلا غير صور الجمال فيها أثناء النهار. وظاهرة تغير ألوان الأسماك في البحار ليلا من أعجب أسرار خلق الأسماك وأكثرها غموضا، وإذا شاهدنا الأسماك زاهية الألوان نهارا كالسمكة الببغاوية أو السمكة القراشية مثلا وشاهدناها هى نفسها ليلا بواسطة الأضواء الكاشفة فإننا نشاهد أن ألوانها الزاهية قد اختفت وصارت بألوان أخرى داكنة.. فهذا هو جمال الفطرة.

وربما الحكمة في ذلك أنها صورة من صور جمال الفطرة التي فطر الله تعالى خلقه عليها وربما تكون وسيلة لحماية الأسماك أثناء نومها وذلك من وسائل التمويه ومحاولة الهرب من الأعداء.

إخوة الإسلام:

ومهما يكن من أمرٍ فهذا يدل على أن الجمال من فطرة الخلق وما

(١) دليل الفالحين.

على الإنسان إلا أن يطالع صور الجمال في فطرة كل خلق ويتدبر آيات الله تعالى فيه فيزداد إيماناً ويزداد بالله يقيناً وجاء ختام الآية السابقة بقوله تعالى{**إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ**}.

قال " ابن كثير " : أى إنما يخشاه تعالى العلماء لأنهم عرفوه حق معرفته، لأنه كلما كانت المعرفة للعظيم القدير أتم، والعلم به أكمل كانت الخشية له أعظم، وقوله تعالى{**إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ**} أى: غالب على كل شيء بعظمته غفور لمن تاب وأناب من عباده.

وقد ضرب الله ﷻ المثل مبيناً ماسبق في آية جامعة مانعة في سورة النحل، فقال تعالى:{**هُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ * يُنبِتُ لَكُم بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالأَعْنَابَ وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ *وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالْنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالْنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ * وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ**} [النحل: ١٠ - ١٣].

وإذا كان حكيم الصين (كونفوشيوس) قال: (إنه لاموضع لإنسان في المجتمع إلا إذا درب نفسه أولا على إدراك الجمال) فإنه لم يأت بشيء جديد. حيث إن الإسلام أول من هتف بهذا المبدأ، ونادى به، ودعا إليه)(١).

اقرأ قوله تعالى{**وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ**} [الرعد: ٣].

وهكذا يتضح أن الجمال جمال في نفسه ولاتظهر قيمته أكثر وأكثر إلا إذا تواجد غير الجميل ولولاه ما عرف الجمال. وصدق الرسول الكريم ﷺ حيث قال:**إن الله جميل يحب الجمال**.

نسأل الله الهداية والتوفيق

* * *

(١) الدين والحياة، د/ محمود عمارة.

الإعجاز العلمى وحديثه عن فساد البيئة

الحمد لله رب العالمين، ذى العظمة والجبروت والملك والملكوت، الذي أنشأنا من الأرض نسما، ويسر لنا فيها أرزاقا وقسمها واستعمرنا فيها أجيالا وأمما فقال ﷻ{**ادْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ وَلاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاَحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ**} [الأعراف: ٥٥، ٥٦].

وأصلى وأسلم على سيدنا رسول الله ﷺ وبعد:

إخوة الإيمان والإسلام:

فإن هذا الكون الذي نعيش فيه على رحابة أرجائه وسعة أقطاره أرض ذات فجاج وسماء ذات أبراج، وبحار ذات أمواج، قد خلقه الله بقدرته وأبدعته يد عنايته آية في الكمال وغاية في الإتقان والإحكام، وقد جاء النهى من الله بعدم الإفساد في الأرض، ولكن الإنسان لم يحسن استخدام هذه النعم فضلا عن تقصيره في واجب الشكر عليها امتدت يده بالإفساد والفساد في البيئة التي يعيش فيها، قال تعالى:{**هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا**} [هود: ٦١].

معنى كلمة البيئة وتلوثها:

كلمة البيئة مشتقة من بوأ، ويقال: تبوأت منزلا أى: نزلته قال تعالى حكاية عن يوسف:{**يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ**} [يوسف: ٥٦].

والبيئة: المنزل والحال ويقال بيئة طبيعية وبيئة اجتماعية وسياسية.

وبيئة القوم: هى موضع نزولهم كما في القرآن:{**وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ**} [الحشر: ٩].

ومعنى كلمة البيئة في الإصطلاح (كما أقرها العرف الدولى): هى مجموعة من النظم الطبيعية والاجتماعية والثقافية التي يعيش فيها الإنسان والكائنات الحية.

أما عن مضمون التلوث البيئى: جاء في لسان العرب تحت كلمة (لوث) أن التلوث يعنى التلطيخ يقال: تلوث الطين بالتبن ولوث ثيابه

بالطين أى: لطخها ولوث الماء أى: كدره وتشير المعاجم إلى أن التلوث يعنى: خلط الشيء بما هو خارج عنه فتقول لوث الشيء بالشيء أى: خلطه به.

أما عن مفهوم كلمة التلوث في الاصطلاح العلمى هو: إدخال الإنسان مباشرة أو بطريق غير مباشر لموارد في البيئة يترتب على ذلك ضرر وخطر على صحة الإنسان والموارد الحية

أما عن مفهوم التلوث في القرآن الكريم، لم ترد في القرآن كلمة (تلوث) بلفظها ولكن بمفهومها اللغوى الأساسى (الفساد) وقد وردت مادة (فسد) في القرآن الكريم أكثر من خمسين موضعا[١].

إخوة الإسلام:

وإذا تدبرنا وتأملنا نجد أن كلمة (فسد) أوسع وأدق في الوقت ذاته من كلمة (تلوث) فالفساد نقيض الصلاح، وفسد الشيء إذا تلف وأصابه الخلل، وإذا كان معنى الفساد على هذا النحو من الاضطرار والخلل الذي يدخل على الشيء بفعل، أو بإدخال شيء غريب أو أجنبى عنه، فإن استخدام القرآن الكريم لتلك المادة يبدو أكثر دقة وإحكاما ودلالة على المقصود من كلمة (تلوث) التي تستخدمها العلوم المعاصرة فهى ذات معنى غير منضبط، حيث إنها تدل على خلط الشيء فإنها تعنى أمورا أخرى بعيدة عن المعنى السابق.

ومما سبق نستطيع أن نقول: إن استخدام مادة الفساد بالمفهوم السابق دون كلمة تلوث يقدم وجها آخر من وجوه الإعجاز اللغوى للقرآن الكريم ومع ذلك وفى غفلة عن كلمات القرآن الكريم وألفاظه ما زال الإصطلاح العلمى يستخدم كلمة التلوث رغم ماتحمله من ضعف في التعبير وعدم قوة في التأثير، ومافيها من مساوئ الإعجاز القرآنى في حديثه عن فساد البيئة (التلوث).

وإذا كان الرأى القانونى قد استقر على أن التلوث الذي يقع في البيئة

(١) انظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم.

هو ذاك الذي يجمع العناصر الثلاثة وهى:

١) حدوث تغير بالبيئة.

٢) نسبته إلى الإنسان.

٣) إلحاق الضرر بالكائنات.

فها هى الآيات القرآنية تقطع بوجود التلوث بعناصره قبل أن يرهق رجال القوانين الوضعية أذهانهم للكشف عنها والآيات كثيرة منها:

قال تعالى:{**ظَهَرَ الفَسَادُ فِي البَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ**} [الروم: ٤١].

فقليل من التدبر في الآية يبصرنا بأنها جمعت العناصر الثلاثة المذكورة سابقا.

*** حدوث التغير بالبيئة:**

سواء كانت هذه البيئة مياه البحارأو الأنهار أو المحيطات أو البر ونشوء خلل في التوازن الفطرى الذي خلقت عليه من لدن العزيز الحكيم، وهذا قد عبرت عنه الآية الكريمة، أى ظهر التلوث والخلل بالموارد والنعم فخبثت التربة وتعرض للخطر نباتها وثمارها فصار فاسدا وفعل (ظهر) فعل ماض يدل على التغير والعدوان على البيئة التي وقع عليها بالفعل.

*** نسبته إلى الإنسان:**

عبر عنه بقوله:{**بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ**} [الروم: ٤١]، أى أن أعمال الإنسان هى المسؤولة عن الفساد والتدمير والاضطراب الذي أصاب ثروات البيئة ومواردها وحرف الباء في قوله بما يفيد لزوم السبب والصلة بين ما اقترفته يد الإنسان، وما لحق من الضرر بما بث الله في الطبيعة من موارد ونعم فكل الفساد إنما جاء بسبب تدخل الإنسان ومحاولة تغيير خلق الله.

*** إلحاق الضرر بالكائنات:**

وهو إلحاق الضرر واحتماله بالموارد البيئية وفسادها وتدهور حالتها وصيروريتها غير الصالحة أو غير ميسرة لما خلقت له وباتت مخلوقات الله من إنسان وحيوان ونبات وجماد في خطر يتهددها التدهور والفناء ولما كان الناس فقراء لاغنى لهم عما خلق لهم فى البيئة من موارد وثروات فقد دعاهم الله في نهاية الآية الكريمة إلى الرجوع عن بغيهم وسعيهم فسادا في الأرض وذلك في قوله تعالى:{**لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ**} [الروم: ٤١].

إخوة الإسلام:

والتلوث ينقسم إلى قسمين:

القسم الأول: تلوث مادى أى:محسوس من الماء والهواء والغذاء والنبات.

القسم الثانى: تلوث غير مادى كالضوضاء وماتسببه من أرق وقلق وسرعة الغضب.

إخوانى في الله:

ولقد أعطى الإسلام ضوابط وقوانين للإنسان في هذه الحياة حتى يستطيع أن يحافظ على البيئة التي يعيش فيها من أهمها:

*** تحقيق معنى الخلافة في الأرض:**

إذ أنه من الطبيعى والمنطقى أن نحافظ على جميع ماسخره الله للإنسان وأن نستديم ما أنعم الله به علينا لنظفر بحياة طيبة لنا ولمن أتى من بعدنا إذ أن الإنسان مستخلف في هذه الأرض من أجل عمارتها وفق منهج الله ورعايتها طبق أمره وتوجيهه في آفاق الحلال والحرام، ثم العمل على إبقاء هذه النعمة، والحفاظ على استمرار الانتفاع به، قال تعالى:{**هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا**} [هود: ٦٢].

*** الإنسان مؤتمن على الكون:**

قال تعالى:{**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَخُونُواْ اللهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُواْ أَمَانَاتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ**} [الأنفال: ٢٧] وروى الطبراني عن ابن عمر ☻ أن النبي ﷺ قال:**لا إيمان لمن لاأمانة له ولاصلاة لمن لاطهور لـه**.

*** القصد والاعتدال والتوسط:**

فالإسلام يدعو إلى الوسطية والاعتدال، فلا إفراط فيه ولاتفريط، وشأن المسلم دائما أن يكون أمره وسطا، قال تعالى:{**وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا**} [الفرقان: ٦٧] وقال النبي ﷺ : **سددوا وقاربوا واغدوا وروحوا شيئا من الدلجة**(١).

*** عدم الإفساد في الكون:**

إذ لا شك أن من فساد الحياة إتلاف مكونات البيئة، وكل ذلك يعتبر فسادا، وهذا هو ما نهى الله عنه، قال تعالى{**كُلُواْ وَاشْرَبُواْ مِن رِّزْقِ اللهِ وَلاَ تَعْثَوْاْ فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ**} [البقرة: ٦٠] وقال تعالى{**وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيوةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ واللهُ لاَ يُحِبُّ الفَسَادَ**} [البقرة: ٢٠٤، ٢٠٥].

إخوة الإسلام:

وهكذا نجد حديث القرآن الكريم عن البيئة والمحافظة عليها من التلوث، وبراعة القرآن الكريم في الحديث عن ذلك واستهلاله للإعجاز العلمى لأنه تنزيل من حكيم حميد.

نسأل الله الهداية والتوفيق.

* * *

(١) رواه البخاري من حديث أبي هريرة.

الإسلام دين الصحة والنظافة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.. وبعد:

فإن المسلم ينبغى عليه في كل ساعة من عمره أن يسعى نحو الكمال، وأن يحث المسير إلى الارتقاء المادى والنفسى، وذلك لأن مستقبله عند الله مرتبط بالمرحلة التي يبلغها في تقدمه إن أدركه الموت وهو في القمة كان من أصحاب الفردوس الأعلى، بحسبه أن ينجو، وإن أدركه وقد رجع القهقرى وضل الغاية تخطفته زبانية العذاب الأليم، ومن كان في هذه الحياة أعمى فهو في الآخرة أضل سبيلا(١).

إخوة الإسلام:

إن الناظر لأولى آيات القرآن الكريم نزولا ليجد أن الإسلام أول نظام علمى يأمر بالتعقيم، فأول آية نزلت هى قوله تعالى:**{اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ}** [العلق: ٢]، ونجد قول الله ﷻ:**{وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ}** [المدثر: ٤] فالآية الأولى نادت بالعلم والآية الثانية نادت بالنظافة، والتاريخ يشهد ويثبت أن الإسلام هو أول نظام علمى عرفته الإنسانية يأمر بالتعقيم، ويحارب التلوث، وقد أطلق الإسلام على كلمة التعقيم كلمة الطهارة، والمقصود بها خلو الشيء من الميكروبات، كما أطلق على الشيء الملوث أو الحامل للميكروبات كلمة النجاسة.

ثم إن الإسلام لم يترك كلمة النجاسة مطلقة دونما تعريف أو تحديد، بل اتبع الإسلام الأسلوب العلمى فحددها بالثلاث عشرة مادة وهذه المواد هى ماتعرف بالمواد الناقلة للميكروب منها: القيح أو الصديد، والبراز، والدم المسفوح، والبول، والقيء ولعاب الكلب، وجسم الخنزير، وكل شيء عفن كبقايا الحيوان الميت كل هذا وسط صالح لنمو البكتريا. ومن حكمة التشريع الإسلامى أن الثوب إذا أصابه شيء من هذه الأشياء يشترط الإسلام للتأكد من إزالة هذه النجاسة أن تزيل لون النجاسة ورائحتها أيضا.

(١) خلق المسلم (محمد الغزالي).

و من هنا كان الإسلام هو أول نظام عرفته الإنسانية يشير إشارة واضحة وصريحة إلى الميكروبات و الطفيليات التي تصيب الإنسان بالمرض، وذلك قبل أن يكتشف (الميكروسكوب) هذا بأربعة عشر قرنا.

الطريقة التي شرعها الإسلام لإبقاء الجسم نظيفا في كل وقت تقوم على ربط الغسل الواجب بأحوال الطبيعة المادية في الإنسان، فلو كان الأمر روحا فقط ما احتاج إلى متابعة الغسل والتنقية والتطهير من الخارج.

إخوة الإسلام:

إن صحة الأجسام وجمال نضرتها من الأمور التي وجّه الإسلام إليها عناية فائقة، واعتبرها من صميم رسالته، ولن يكون الشخص راجحا في ميزان الإسلام محترم الجانب إلا إذا تعهد جسمه بالتنظيف والتهذيب، وكان مطعمه ومشربه وهيئته الخاصة بعيدا عن الأدران المكدرة والأحوال المنفرة. وليست صحة الجسد وطهارته صلاحا ماديا فقط، بل إن أثرها عميق في تزكية النفس، وتمكين الإنسان بالنهوض بأعباء الحياة.

والإسلام لم يدع أمر الغسل الكامل للظروف التي تفرض فرضا، فقد يتكاسل بعض الناس عن الاغتسال مادامت فروضه لم تقم، لذلك وقت للغسل يوما في كل أسبوع. قال النبى ﷺ :**غسل الجمعة واجب على كل محتلم وسواك ويمس من الطيب**[١].

وقد أوجب الإسلام النظافة من الطعام، فبعد أن ندب على الوضوء قبله ويكفى غسل الأيدى، أمر بأن يتخلص الإنسان من فضلاته وروائحه وآثاره وهذا أنقى للمرء وأطيب. قال النبى ﷺ : **بركة الطعام الوضوء قبله والوضوء بعده**[٢] أما بالنسبة لبقايا أثرالطعام في اليد فإنها تعود بضرر على الشخص ولايلومن إلا نفسه. لذلك يقول النبى ﷺ : **من بات**

(١) رواه مسلم.
(٢) رواه أبو داود.

في يده ريح غمر[١] **فأصابه شيء فلا يلومن إلا نفسه**[٢].

أما بالنسبة للفضلات المتبقية بين الأسنان، يقول النبى ﷺ :**إنه ليس من شيء أشد على الملكين من أن يريا بين أسنان صاحبها طعاما وهو قائم يصلى**[٣] ومن عظمة هذا الدين أن العلم الحديث قد أثبت أن السواك يحتوى على مادة الفلوريد وفيتامين (ج). وعناية الدين بتطهير الفم، وتجلية الأسنان، وتنقية مابينهما لانظير لها في وصايا الصحة القديمة والحديثة يقول النبى ﷺ :**تسوكوا فإن في السواك مطهرة للفم ومرضاة للرب، ماجاءنى جبريل إلا وأوصانى بالسواك، حتى لقد خشيت أن يفرض على وعلى أمتى** وفى رواية:**لقد أمرت بالسواك حتى ظننت أنه ينزل على فيه قرآن أو وحى**[٤] وقد استخلص معجون من مادة السواك يتصدره الحديث الشريف باللغات العربية والإنجليزية والفرنسية.

إخوة الإيمان والإسلام:

لقد أوصى الإسلام - كذلك - بأن يكون المرء حسن المنظر، كريم الهيئة، وقد ألحق هذا الخلق بآداب الصلاة. قال تعالى:{**يَا بَنِي آدَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ**} [الأعراف: ٣١] والرسول الكريم يعلم المسلم فن سمته وقلبه وهيئته أن يكون جميلا مقبولا، ولذلك يقول:**من كان له شعر فليكرمه**[٥].

إن الأناقة في غير سرف، والتجمل في غير صناعة وتذويق وإحسان (الشكل) بعد إحسان (الموضوع) من تعاليم الإسلام الذي ينشد لبنيه علو المنزلة وجمال الهيئة. قال النبى ﷺ :**لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر**[٦] فقال رجل: إن أحدنا يحب أن يكون ثوبه حسنا ونعله حسنا فقال: (إن الله - تعالى - جميل يحب الجمال) وعن عطاء بن

(١) زهوة اللحم.
(٢) رواه البزار.
(٣) رواه أحمد.
(٤) رواه ابن ماجة.
(٥) رواه ابن ماجة.
(٦) رواه مسلم من حديث ابن مسعود.

يسار قال: أتى رجل للنبى ﷺ ثائر الرأس واللحية، فأشار إليه الرسول كأنه يأمره بإصلاح شعره، ففعل ثم رجع، فقال ﷺ:**أليس هذا خير من أن يأتى أحدكم ثائر الرأس كأنه شيطان**ـــ.

وهذا رسول الله ﷺ يقول:**واتقوا الذر فإن فيه النسمة**ـــ. والذر هو الغبار، والنسمة أى الميكروبات.

ومما يؤسف له أن بعض محترفى التدين يحسبون فوضى الملبس واتساخه ضربا من العبادة، تعمدوا ارتداء المرقعات والتزيى بالثياب المهملة ليظهروا زهدهم في الدنيا وحبهم في الآخرة، وهذا من الجهل الفادح بالدين والافتراء على تعاليمه فهذا النبى ﷺ يقول عنه الصحابى الجليل البراء بن عازب: (وقد رأيته في حلة حمراء ما رأيت شيئا أحسن منه قط)(١).

عباد الله:

وللجسم السليم أثر عظيم لا فى سلامة التفكير فحسب، بل في تفاؤل الإنسان مع الحياة والناس وكما يقولون: العقل السليم في الجسم السليم.

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن النبى ﷺ :**نهى أن يبال في الماء الراكد**ـــ(٢) وعنه أيضا:**نهى أن يبال في الماء الجارى**ـــ (٣).

أحبابى في الله:

والوضوء له فضل عظيم، وأثره على نظافة الإنسان لاتنكر أبدا. والوضوء لغة مأخوذ من الوضاءة والنظافة في غسل أعضاء مخصوصة بنية. يقول الله ﷻ:{**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلوةِ فاغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُواْ بِرُؤُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَينِ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُواْ**} [المائدة: ٦].

ومن خلال الآية السابقة يتضح لنا الحكمة من الوضوء وعلاقتها

(١) رواه مسلم.
(٢) رواه مسلم .
(٣) رواه الطبراني.

بالطب، ولاسيما (الطب الوقائى للإنسان) من الأمراض الجلدية التي يتعرض لها إذا لم ينظف أعضاء جسمه، وبخاصة المعرضة للعوامل الجوية ومافيها من أتربة حاملة لجراثيم أو غازات ضارة. ولاشك أن الوجه والأيدى والأقدام هى أكثر أجزاء الجسم تعرضا للتلوث والتأثر بهذه الميكروبات، لذلك فإن الوضوء خمس مرات في اليوم والليلة لايترك مطلقا أى درن في الجسم يخشى منه الضرر، وبذلك يكون الوضوء وقاية من الأمراض الجلدية. يقول النبى ﷺ:**من توضأ فأحسن الوضوء، خرجت خطاياه من جسده، حتى تخرج من تحت أظفاره**ــ(١) ويقول ﷺ:**يدعون أمتى يوم القيامة غرا محجلين من آثار الوضوء**ــ(٢) ويقول أيضا:**إذا استيقظ أحدكم من نومه فلا يغمس يده في الإناء حتى يغسلها ثلاثا**ــ ومن ثم كان الوضوء هو ترجمة لقاعدة علمية تقول: " إن الوقاية خير من العلاج ". فمثلا حين نغسل الأنف بالماء أثناء الوضوء للصلاة له فائدة عظيمة؛ ذلك أن تجويف الأنف يعتبر من الأماكن التي يتكاثر فيها العديد من الميكروبات بما لها من خاصية بيولوجية تشجع على تكاثر الميكروبات بها، وعندما نفحص هذه الميكروبات تحت الميكرسكوب المكبر نجد جميع أنواع البكتريا التي تنتقل منه إلى باقى أعضاء الجهاز التنفسى والجيوب الأنفية والأذن الوسطى وسطح الجلد، وأنه مايتم تنظيف الأنف وتطهيره حتى يختفى كثير من الأمراض، ذلك أن الأنف به شعيرات كثيفة ومادة دهنية ومادة مخاطية.

إخوة الإسلام:

يقول ربنا ﷻ:{**إِنَّ الله يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمتَطَهِّرِينَ**} [البقرة: ٢٢٢] إن الناظر للاغتسالات في الإسلام يجدها عديدة ومتنوعة، تبدأ بغسل يغتسله الكافر إن دخل الإسلام، إلى غسل الجنابة، وغسل التطهر من الحيض للمرأة، إلى غير ذلك.

بل إن المرء ليعجب حين يعلم أن الوضوء يقى من بعض أمراض

(١) رواه مسلم.
(٢) متفق عليه.

السرطان، فلقد أثبت العلم الحديث أن الوضوء يقلل من حدوث أى ورم من الأورام السرطانية التي تسببها المواد الكيميائية؛ لأن الوضوء يزيلها قبل أن تتراكم بكميات تمكنها من النفاذ والتسرب من الجلد إلى داخل الجسم. لذلك نجد أن العاملين في صناعة البترول والكيماويات يكونون أكثر عرضة للإصابة بسرطان الجلد، فلو توضؤوا خمس مرات في اليوم والليلة يقيهم هذا الخطر، كذلك نجد أن أشعة الشمس فوق البنفسجية تسبب سرطان الجلد في الأماكن الظاهرة، ولاشك أن المحافظة على الوضوء تقلل من هذ الخطر [١].

فهذه - عباد الله - بعض حكم الوضوء التي كشفها الطب الحديث وأثبتها العلم وتؤكد عظمة دين الإسلام.

فاللهم طهرنا من ذنوبنا واحفظنا من كل سوء... اللهم آمين.

* * *

(١) الإعجاز العلمي في الإسلام (السّنه).

الماء بين العلم والدين

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد:

فإن هناك مكونات أنعم الله بها على الإنسان في هذه البيئة، حتى يستطيع أن يعيش فيها ويتكيف معها، ومن أجل وأعظم هذه المكونات والنعم التي أنعم الله بها على الإنسان (نعمة الماء). هذا السائل الذي ينهمر من شآبيب رحمة الله، فتفيض بها الأنهار والبحار والبحيرات والعيون لأهميته وضرورته القصوى في الحياة لكل شيء خلقا وإصلاحا.

إخوة الإسلام:

ولهذا الماء خصائص منها: أنه سائل لالون له ولاطعم له ولارائحة له إذا كان نقيا، وهو يتكون من اتحاد عنصرين (الهيدروجين والأكسجين) وتركيبه الكيميائى كما هو معروف (يد٢أ) أى: ذرتان من الهيدروجين وذرة من الأكسجين. وقد ورد ذكر الماء في القرآن الكريم ما يقرب من ستين مرة، للتأكيد على أهميته كعنصر يجب الحفاظ على بقائه بخصائصه التي خلقها الله عليها لاستمرار الحياة والأحياء التي تعتمد على بقائها بخصائصها، وإذا انعدمت أو وهنت انعكس هذا على الحياة والأحياء بالعدم والفناء، ولايخفى على أحد أهمية الماء وضرورته للحياة، قال تعالى{**وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ**} [الأنبياء: ٣٠] جاء في تفسير المنتخب: أثبت علم الخلية أن الماء هو المكون الهام في تركيب مادتها، وهى وحدة البناء في تركيب الكائن الحى نباتا كان أو حيوان، كما أثبت علم الكيمياء أن الماء لازم لحدوث جميع التفاعلات والتحولات التي تتم داخل أجسام الأحياء، فالماء إما وسط أو عامل مساعد أو داخل في التفاعل أو ناتج عنه.

إخوة الإيمان والإسلام:

تأكيدًا على ماسبق نستطيع أن نقول أن الماء هو أساس الحياة، فإننا لانستطيع أن نتصور حياة بدون ماء، وإن أمكن وجود حياة بدون هواء، فلا يوجد بين سائر الأحياء كائن واحد صغر أم كبر يستطيع الحياة بدون

ماء، في الوقت الذي يمكننا فيه أن نرى بعض الأحياء تعيش بدون هواء ويطلق عليها كائنات لاهوائية، كبعض أنواع البكتريا، ولذلك نجد أن نسبة الماء في أجسام الأحياء النشطة (أي غير الساكنة) تتجاوز ٩٠% فالماء نهر الحياة الدافق في العروق، ويعتقد العلماء أن الحياة أول مادبت على الأرض دبت في الماء، ونستأنس لذلك بآية الفتق والرتق، وهو قوله تعالى{**أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ**} [الأنبياء: ٣٠] فنرى ورود الماء ذكرا بعد الفتق والرتق، كما نستأنس لقول العلماء أيضا بقول الله تعالى{**وَهُوَ الَّذِي خَلَق السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ**} [هود: ٧] كذلك يذكر الصابونى في تفسيره والزمخشرى في كشافه أن العرش والماء كانا مخلوقين قبل السماوات والأرض.

إخوتنا في رحاب الإيمان:

إن قصة الماء مع الإنسان قصة طويلة تبدأ منذ كان نطفة سابحة في الماء، ثم جنينا محفوظا في قراره المكين من كل أذى في قربة الماء، تصله أسباب الحياة كلها من أمه في الحبل السرى محمولة مع الماء، ثم وليدا يرشف أول غذاء له من ثدى أمه لبنا سائغا قوامه الماء. بل إن الماء مع الإنسان حتى في آلامه وأحزانه يسكبه دموعا تغسل أشجانه. فلا عجب أن يستطيع الإنسان الصبر على الجوع أياما كثيرة، ولكنه لايتحمل الظمأ إلا يوما واحدا

وإذا أردنا أن نعلم مصادر الماء فهى:

أولا: المطر: يقول تعالى:{**وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ**} [المؤمنون: ١٨]، وقال:{**وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّن السَّمَاء مَاء لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ**} [الأنفال: ١١] وقال تعالى:{**أَلَمْ تَرَ أَنَّ الله يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا**} [النور: ٤٣] أى: عندما يتصاعد بخار الماء من أسطح البحار والمحيطات يتكثف على شكل قطرات ماء دقيقة لاتلبث أن تتكون على هيئة وحدات صغيرة من السحب على أن يحدث تفريغ كهربى لكل سحابتين تحملان نوعين مختلفين من الشحنة فيحدث

البرق فتهطل المياه مطرا طيبا على الأرض فتحيا ويحيا عليها الأحياء. قال تعالى:{**وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلاَّ بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ * وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ**} [الحجر: ٢١ - ٢٢].

ثانيا: المياه الجوفية: يقول المولى ﷻ:{**وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الأَنْهَارُ**} [البقرة: ٧٤] ويقول:{**أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَافَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ الله الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ**} [الرعد: ١٧].

فمن رحمة الله ﷻ أن جعل للأرض قدرة على الاحتفاظ بجانب من ماء المطر في باطنها فضلا عما تحفظه في منخفضات هى البحار والمحيطات، فالمياه الجوفية تتسرب إلى الأرض ثم تستقر في أحواض تركيبية شاسعة يمكن استغلالها جيدا، كتلك الأحواض التي توجد في الصحراء الغربية بليبيا، كما قد تنفجر هذه المياه عيونا أو تتسرب إلى مناطق أخرى، عبر مسام التربة فتحييها بعد موتها. يقول تعالى:{**أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ**} [الرعد: ١٧].

إخوة الإيمان والإسلام:

ننتقل إلى نقطة أخرى في هذا الموضوع الهام، وهى: نوع المياه وارتباطها بالحياة، فالبرغم من تنوع الماء إلى عذب وملح، فإن كلا منهما يؤدى للأحياء دورا كبيرا عظيم النفع، جليل الفائدة، ويتضح لنا هذا الدور في ضوء النصوص التالية:

يقول تعالى:{**وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا**} [فاطر: ١٢] ويقول:{**وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا**} [فاطر: ١٢].

والمعنى: الماء العذب يستخدم في الشرب ورى الأراضى الزراعية وسائر أغراض الحياة، كما يشترك مع الماء الملح في استخراج الأسماك

التي تستخدم في الغذاء واستخراج الحلى وتسيير السفن. وحديثا أمكن تحلية مياه البحر لاستخدامها في أغراض الحياة المختلفة.

رغم أهمية الماء القصوى لاستمرار الحياة، إلا أن هناك أشياء تلوث الماء فالماء يتلوث عن طريق المخلفات الإنسانية والنباتية والحيوانية والصناعية، التي تلقى فيه، أو تصب في فروعه إن كان ظاهرا، أو تتسرب إليه إن كان جوفيا ومن أبرز الملوثات:

(الصرف الصحى، المخلفات الصناعية، المفاعلات النووية، المبيدات الحشرية).

وتلوث الماء له آثار خطيرة، والخطورة الكبرى من تلوث المياه تكمن في تلوث المياه الصالحة للشرب، وهذا يؤدى إلى خطورة في تغيير الماء من حيث التركيب والطبيعة وعلى سرعة التيار، بالإضافة إلى أن الماء الراكد يكون مركزا خصبا لنمو الطفيليات وتكاثرها تلكم التي تتسبب في كثير من الأمراض كالكوليرا والبلهارسيا.

وإذا تأملنا قوله تعالى:**{مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ}** [محمد: ١٥] لوجدنا أن الآية الكريمة توجه الأنظار إلى أن الماء الآسن الراكد المتغير ماء ضار أو على الأقل لايرقى في نقائه ونفعه إلى مستوى الماء الجارى. وهذا ما قررته الآية قبل اكتشاف الميكرسكوب والمناظير.

إخوة الإسلام:

ولقد وجه النبى ﷺ إلى حماية الماء من التلوث. فعن جابر بن عبد الله، أن النبى ﷺ :**نهى أن يبال في الماء الراكد**(١). وعن جابر، أيضا، أن النبى ﷺ :**نهى أن يبال في الماء الجارى**(٢). وعن قتادة رضي الله عنه أن النبى ﷺ نهى أن يتنفس في الإناء حتى لا يتغير ريح الماء ولا يمرض

(١) رواه مسلم.
(٢) رواه الطبراني في الأوسط.

شاربه. وعن عبد الله بن عمر أن النبى ﷺ قال لسعد:**لا تسرف في الماء وإن كنت على نهر جاري**(١).

عباد الله:

ولقد ذكر النيل والفرات في سنة النبى ﷺ فلقد روى البخارى ومسلم من طريق شريك بن نمرة، أن النبى ﷺ رأى في السماء الأولى نهرين يطردان فسأل عنهما. فقال: (هذا النيل والفرات). ونهر النيل ينبع من بحيرات وهضبة أفريقيا. أما نهر الفرات فإنه ينبع من جبال أرمينيا. وهذان النهران لهما وجودات متعددة تبدأ من النبع العام في سدرة المنتهى، وتنتهى إلى ما شاء الله، وفيه إشارة على أن الله أراه هذين دون غيرهما وأنهما المركزان اللذان تركزت فيهما قوة الإسلام ومنهما انتشرت الدعوة إلى سائر الأقطار والشعوب. فرؤيته لهما بشارة كبرى بأن رسالته ستغمر الوجود وتعم سائر المخلوقات(٢).

إخوة الإسلام:

وبالشكر تدوم النعم، فإن كل ما أنعم الله به على الإنسان من المكونات الرئيسية للبيئة يستوجب مزيدا من الشكر طمعا في استدامته. وقد أخطأ الجاحدون عندما زعموا أن هذه حقوق مكتسبة، ولقد رد الله عليهم أعظم رد وأبلغه حينما قال:{**أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاء أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ**} [الملك: ١٦] وقال ﷻ:{**أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ أَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ**} [الواقعة: ٦٨، ٦٩].

وقال تعالى:{**قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَاء مَّعِينٍ**} [الملك: ٣٠].

(١) رواه أحمد.
(٢) البيئة في الفكر الإنساني.

ومن رحمة الله أن جعل للأرض قدرة على الاحتفاظ بجانب من ماء المطر في باطنها فضلاً عما يحفظ في البحار والمحيطات، كوجود المياه الجوفية التي توجد في الأحواض الموجودة في الصحراء الغربية بليبيا، كما قد تتفجر هذه المياه عيونا أو تتسرب إلى مناطق أخرى فتحييها عبر مسام التربة بعد موتها، قال تعالى:{**أَوَ لَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ المَاءَ إِلَى الأَرْضِ الجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعاً تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ أَفَلاَ يُبْصِرُونَ**} [السجدة: ٢٦].

اللهم لا تؤاخذنا بما فعل السفهاء منا.

آمين.

* * *

نظرة الإسلام للحيوان

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه وسلم ومن والاه.. وبعد:

إخوة الإسلام:

لقد خلق الله عز وجل آدم، وجعله خليفة [١] في هذه الأرض هو وذريته من بعده وأكرمه على سائر مخلوقاته، قال تعالى:{**وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً**} [الإسراء: ٧٠].

وإذا كان آدم وذريته قاموا بعبادة الله وتسبيحه وحمده، فإن سائر المخلوقات من شمس وقمر ونجوم، الكل يسبح بحمد الله عز وجل قال تعالى:{**أَلَمْ تَرَ أَنَّ الله يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَن يُهِنِ الله فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ إِنَّ الله يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ**} [الحج: ١٨].

والمعنى: يخبر سبحانه أنه المستحق للعبادة وحده، لاشريك له وقد ذكر الله الشمس والقمر على التخصيص؛ لأنها عبدت من دون الله، فبين أنها تسجد له، فهو خالقها وأنها مربوبة مسخرة، ثم يقول تعالى: (والدواب) وهى كل ما يدب على الأرض من سائر أنواع الحيوانات.

ومن ضمن هذه الدواب: الكلب، فهو خلق من خلق الله ﷻ ورغم كونه مخلوق حقير، إلا أنه يسبح بحمد الله، ذلك لأنه خلق من خلق الله. قال تعالى:{**تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدَهِ وَلَكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا**} [الإسراء: ٤٤].

يقول ابن مسعود ﷺ كما ورد في صحيح البخارى: (كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل) وفى حديث أبى ذر ﷺ أن النبى ﷺ أخذ في يده حصيات فسمع لهن تسبيح كطنين النحل، وكذا في يد أبى بكر وعمر ويقول عبد الله بن عمر ﷺ: نهى رسول الله ﷺ عن قتل الضفدع وقال

---

(١) معنى خليفة: من يخلف غيره وينوب عنه فهو مستخلف في تنفيذ الأوامر الربانية.

نقيقها تسبيح، كما في سنن النسائى.

مما سبق يتبين لنا أن كل شيء في هذا الكون علويه وسفليه، يسبح بحمد هذا الإله الحق، الذي أبدع هذا الخلق لا إله إلا هو، فتبارك الله أحسن الخالقين.

ولقد ذكر (الكلب) في القرآن، لحكمة أرادها المولى ﷻ فهو القائل{**إِنَّ اللهَ لاَ يَسْتَحْيِي أَن يَضْرِبَ مَثَلاً مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا**} [البقرة: ٢٦] فذكر الكلب في القرآن الكريم في أكثر من موضع ففى سورة (الكهف) يقول تعالى:{**وَتَحْسَبُهُمْ** (١) **أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُم بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ**} [الكهف: ١٨].

والمعنى: قال بعض السلف: يقلبون في العام مرتين، قال ابن عباس ☻ : لو لم يقلبوا لأكلتهم الأرض، وقال ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير وقتادة: الوصيد هو الفناء وهو الباب. ومنه قوله تعالى:{**إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ**} أى: مطبقة ومغلقة. قال ابن جريج: يحرس عليهم الباب وهذا من سجيته وطبيعته حيث يربض ببابه كأنه يحرسهم، وكان جلوسه خارج الباب، لأن الملائكة لاتدخل بيتا فيه كلب أو صورة كما ورد ذلك في الصحيح. وقد شملت كلبهم بركتهم فأصابه ما أصابهم من النوم على تلك الحال، وهذا تنويه على بركة صحبة الأخيار، فإنه قد صار لهذا الكلب ذكر وخبر وشأن. وقد قيل: إنه كلب صيد لأحدهم وهو الأشبه. وقيل: كلب طباخ الملك وقد كان وافقهم على الدين وصحبه كلبه (٢) والله أعلم. وقد روى الحافظ ابن عساكر في ترجمة همام بن الوليد الدمشقى أن اسم كلب أصحاب الكهف (قطمير). ولاندرى هل نام الكلب نومة طويلة بمقدار الوقت الذي ناموه ثم بعث معهم أم ظل على هيئته حتى مات؟ لقد طوى الله عنا ذلك لأن أمره لايعنينا في ذلك المشهد.

---

(١) قيل: أن أهل الكهف من علية القوم وقيل: إنهم من الرعاة لاصطحابهم له وهذا شأن الرعاة.

(٢) قصص القرآن.

وفي سورة الأعراف يقول الله ﷻ:**{فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث}** [الأعراف: ١٧٦].

والمعنى: أن هذا الرجل الذي نزلت فيه مثل الكلب اندلع لسانه على صدره، فتشبيهه بالكلب في لهيثه في كلتا حالتيه إن زجر وإن ترك ظاهر، وقيل: معناه فصار مثله في ضلاله واستمراره فيه، وعدم انتفاعه بالدعاء إلى الإيمان وعدم الدعاء كالكلب في لهيثه في حالتيه إن حملت عليه وإن تركته وهو يلهث في الحالين، فكذلك لاينتفع بالموعظة والدعوة إلى الإيمان ولاعدمه. كما قال تعالى:**{وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ}** [يس: ١٠] وقيل: إن قلب الكافر والمنافق والضال ضعيف فارغ من الهدى فهو كثير فعبر عن هذا بهذا (نقل عن الحسن البصري).

وآية سورة الأعراف هذه تضمنت إعجازا علميا، فلقد أثبت العلم وبعد أربعة عشر قرنا من الزمان من نزول القرآن أن الكلب ليس له غدد عرقية، إلا القليل في باطن أقدامه، مما لايكفي لخفض درجة حرارته. فإن عمل الغدد العرقية بما تفرزه من عرق إنما هو لتلطيف درجة حرارة سطح الكائن والجو المحيط به، ولذلك فإن الكلب يستعيض عن عدم وجود الغدد العرقية الموجودة في غيره من الحيوانات عن طريق خفض درجة حرارته عن طريق (اللهث) الذي يعرض فيه أكبر مساحة من فراغ الفم واللسان للهواء، ودائما ما يفعل الكلب ذلك سواء كان مسترخيا أو مجهدا. ومن هنا يتبين لنا مدى الدقة العلمية في الآية الكريمة.

إخوة الإسلام:

والكلب ذكر في السنة النبوية أيضا. فقد بينت السنة النبوية أن الكلب ربما يكون سببا رئيسيا في دخول الإنسان الجنة، رغم أنه حيوان مستحقر ومستقذر.

يقول النبي ﷺ:**بينما رجل يمشى في الطريق اشتد عليه العطش فوجد بئرا فنزل بها، فشرب ثم خرج، فإذا كلب يلهث وهو يأكل الثرى من العطش، فقال الرجل: لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذي بلغ منى، فنزل البئر فملأ خفه ماء ثم أمسكه بفيه حتى رقى، فسقى الكلب ورواه،**

فشكر الله له فغفر لهـ. قالوا: يا رسول الله، إن لنا في البهائم لأجرا؟! قال:**في كل ذات كبد رطبة أجر** [١].

وفى الحديث عنه ﷺ أنه قال:**دخلت امرأة النار في هرة حبستها، لاهى أطعمتها، ولاهى أطلقتها تأكل من خشاش الأرض** [٢].

وإن تعجب - عبد الله - فعجب أمر هذه القصة التي أقصها عليك، فقد أعلنت حالة الطوارئ في السماء بنسبة ١٠٠ % من أجل كلب!! فقد روى أن رجلا في عهد نوح عليه السلام رأى كلبا أسود اللون فلم يعجبه شكله ومنظره، وتساءل لماذا خلقه الله بهذا اللون الأسود ثم بصق الرجل على الكلب. وينزل سيدنا جبريل عليه السلام على سيدنا نوح عليه السلام ثم قال له: (قل للرجل الذي بصق على الكلب: أتعيب الصنعة أم تعيب الصانع؟!).

وقد بلغ من شدة حب العرب قديما للكلاب أنهم كانوا يسمون بها أبنائهم، ومنهم كلاب اسم لرجل من أجداد سيدنا رسول الله ﷺ والكلب - أعزكم الله - حيوان شديد الوفاء لصاحبه، وشديد الرياضة. وقد قيل لأبى الدقيش الأعرابى لم تسمون أبناءكم بشر الأسماء نحو كلب وذئب وعبيدكم بأحسنها مثل مرزوق ورباح؟ فقال: إنما نسمى أبناءنا لأعدائنا وعبيدنا لأنفسنا.

والكلب ينام نهارا عند الاستغناء عن الحراسة، وهو في نومه أسمع من فرس وأحرس من غيره بكثير، وإذا نام كسر أجفان عينيه ولا يطبقها، وذلك لخفة نومه. ومن عجيب طبعه أنه يكرم البيض من الناس وأصحاب الوجاهة، ولاينبح أحدا منهم، وينبح الأسود من الناس، وكذلك الدنس الثياب والضعيف الحال وصدق القائل حين قال:

(١) رواه البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة.
(٢) رواه البخاري بلفظ نحوه.

يمشى الفقير وكل شيء ضده ::: والناس تغلق دونه أبوابها
وتراه مبغوضا وليس بمذنب ::: ويرى العداوة لايرى أسبابها
حتى الكلاب إذا رأت رجل الغنى ::: حنت إليه وحركت أذيالها
وإذا رأت يوما فقيرا ماشيا ::: نبحت عليه وكشرت أنيابها

ويتميز الكلب بالوفاء، ويؤكد ذلك ماروأه القزوينى في كتابه (عجائب المخلوقات) أن رجلا قتل بأصبهان، وألقى في البئر، وكان للمقتول كلب يرى ذلك، فكان يذهب كل يوم إلى رأس البئر، وينحى التراب عنه ويشير إليه، وإذا رأى القاتل نبح عليه، فلما تكرر ذلك منه حفروا البئر فوجدوا القتيل بها، ثم أخذوا الرجل وقرروه فاقتص منه.

ومن طرائف ما ذكر كما جاء في كتاب الأمالى لأبى بكر القطيعى ﷺ قال: صلى بنا رسول الله ﷺ فمر بنا كلب، فما بلغت يداه رجله حتى مات، فلما انصرف رسول الله ﷺ قال:**من الداعي على الكلب آنفا** فقال رجل من القوم: أنا يا رسول الله فقال:**ما قلت** قال: قلت: اللهم إنى أسألك بأن لك الحمد لا إله إلا أنت المنان بديع السماوات والأرض، ياذا الجلال والإكرام اكفنى شر هذا الكلب بما شئت. فقال النبى ﷺ:**لقد دعا الله باسمه الأعظم، الذي إذا دعى به أجاب، وإذا سئل به أعطى**.

ويذكر الدميرى في كتابه (حياة الحيوان) عن عمرو بن دينار ﷺ قال: مما أخذ على العقرب ألا تضر أحدا في ليل أو نهار يصلى على نوح ﷺ، ومما أخذ على الكلب ألا يضر أحدا حمل عليه في ليل أو نهار إذا قرأ قوله تعالى:**{وَكَلْبُهُم بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ}** [الكهف: ١٨].

قال القرطبى في كتابه (التذكار في أفضل الأذكار): بلغنا عمن تقدم أن في سورة الرحمن آية تقرأ على الكلب إذا حمل على الإنسان، وهى قوله تعالى:**{يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانفُذُوا لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ}** [الرحمن: ٣٣].

ومما ينبغى أن يعلم أن الكلب يسبب الكثير من الأمراض، فلقد أفاض

العلم الحديث أن الكلب ينقل أمراضا كثيرة منها:

(الجرب، والضعف العام، والتيفود).

ولقد روى عن النبى ﷺ أنه قال:**إذا ولغ الكلب في إنـاء أحدكم فليرقـه ثم ليغسله سبع مرات إحداهن بالتراب**. ولقد أباح الإسلام اقتنـاء الكلب عند الضرورة كالحراسة والصيد لقول النبى ﷺ:**من اقتنى كلبا ليس بكلب صيد ولاماشية ولا أرض، فإنه ينقص من أجره قيراطان كل يوم** [١].

نسأل الله الهداية والتوفيق

اللهم آمين

* * *

(١) رواه مسلم من حديث أبي هريرة.

المخدرات بين التحريم والتجريم

الحمد لله رب العالمين، أحل الحلال وأمرنا باتباعه، وحرم الحرام وأمرنا باجتنابه، وأشهد أن لا إله إلا الله، القائل - وقوله الحق -:{**فَأَمَّا مَن طَغَى * وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى * وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى * فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى**} [النازعات: ٣٧ - ٤١].

وأشهد أن سيدنا محمدًا رسول الله، القائل في الحديث الشريف:**إن الحلال بين والحرام بين وبينهما أمور مشتبهات لايعلمهن كثير من الناس، فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام** (١) ثم أما بعد.

إخوة الإسلام:

سنتحدث عن هذا الموضوع الهام تحت عناصر أربعة، وهى:

* الانشقاق اللغوى لكلمة مخدرات.

* متى ظهرت المخدرات؟.

* أهم الأسباب التي أدت إلى انتشار المخدرات.

* شبهة.. والرد عليها.

وقبل أن نتحدث عن العناصر السابقة، نود أن نوضح بعض الأمور، اعلموا - عباد الله - أن من فضل الله تعالى ورحمته بعباده أن أحل لهم الطيبات، وحرم عليهم الخبائث. أحل الطيبات التي تتعلق بمأكلهم ومشربهم وملبسهم وغير ذلك من شئون حياتهم، وحرم عليهم الخبائث التي يترتب على الوقوع فيها ما يؤدي الضرر بهم في دينهم ودنياهم. وهناك الكثير من الآيات القرآنية و الأحاديث النبوية التي نصت على هذا المعنى وقررته.

قال تعالى:{**إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ الله فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلاَ عَادٍ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ الله غَفُورٌ رَّحِيمٌ**} [البقرة: ١٧٣].

---

(١) رواه الشيخان من حديث النعمان بن بشير.

وقال النبى ﷺ: **إن الحلال بين والحرام بين وبينهما أمور مشتبهات لايعلمهن كثير من الناس، فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام، كالراعى يرعى حول الحمى يوشك أن يقع فيه، ألا وإن لكل ملك حمى، ألا وإن حمى الله في أرضه محارمه..ـــ** (١).

أولا: الاشتقاق اللغوى لكلمة (مخدرات):

إن على رأس الخبائث التي حرمها الله تعالى المخدرات بشتى صورها، وبمختلف أنواعها وأسمائها. وقد عرفت المخدرات بأنها المادة التي يؤدى تعاطيها إلى حالة تخدير كلى أو جزئى مع فقدان الوعى بصورة قد تختلف من شخص إلى آخر. وهذا التعريف مأخوذ من أصل معنى الكلمة في اللغة العربية، وإذ أن الخدر في اللغة العربية معناه: الكسل والثقل. قال صاحب المصباح المنير ج٢ ص٢٢: يقال: خدر العضو خدرا من باب تعب إذا استرخى فلا يطبق الحركة.

وقد قسم الخبراء المخدرات حسب مصدرها إلى:

(أ) مخدرات طبيعية: وهى المشتقة من نبات الخشخاش والقنب كالكوكا والحشيش والأفيون والمورفين والكوكايين.

(ب) مخدرات تخليقية: وهى التي تصنع في المعامل بطريقة كيميائية كالعقاقير المهبطة والمنشطة.

وفحوى الكلام في هذا الصدد عن المخدرات التي ثبت ضررها ثبوتا مؤكدا كالحشيش والأفيون، سواء أكانت تلك المفاسد تحدث عن طريق الشرب أو الشم أو الحقن.

ولقد تكلم العلماء قديما وحديثا كلاما طويلا عن أضرار المخدرات، فذكروا لها أضرارا متنوعة وعديدة منها:

*** أضرار صحية:**

من ذلك أنها تؤثر في أجزاء الجسم فتضعفها بعد أن كانت قوية،

(١) رواه الشيخان.

وتغرس فيها الكسل والبلادة بعد أن كانت نشطة ذكية، ويصاب الجسم بالوهن والضمور وضعف الأعصاب، وغالبا ماينتهى الإدمان بصاحبه إلى الجنون[١].

*** أضرار اقتصادية:**

من ذلك أنها تجعل متعاطيها يضع الكثير من أمواله في هذه السموم التي تفسد عليه معيشته، وقد يبيع ضروريات حياته، ويأخذ قوت أولاده، ويعتدى على مال زوجته، وقد يترك أهله جياعا، وقد يقترض قروضا من غيره لاطاقة له بسدادها.

*** أضرار اجتماعية:**

منها أنها على رأس الأسباب التي تؤدى إلى تفكك الأسرة، وإلى شيوع الطلاق، وإلى عدم الشعور بالمسئولية نحو أسرته، وهو يفقد هذا الشعور نحو نفسه.

*** ثانيا: تاريخ ظهور المخدرات:**

إن المخدرات لم يرد تحريمها بأسمائها المعروفة الآن، لافى القرآن ولافى السنة المطهرة؛ لأنها لم تكن موجودة لافى العهد النبوى، ولافى عهد الصحابة، ولافى عهد الدولة الأموية، ولامعظم عهود الدولة العباسية. وإنما المخدرات ظهرت خلال القرن السادس أو السابع الهجرى على أيدى التتار، الذين عرفوا آثارها السيئة، فأخذوا في إرسالها سرا عن طريق جواسيسهم إلى من يريدون محاربتهم؛ حتى يصاب الجيش المعادى لهم بالكسل والخمول، فيسهل عليهم الانتصار عليه.

ويرى بعض المؤرخين أن الحشيش قد عرف في سنة ٦٥٨ هجرية ببلدة خراسان على يدى شيخ من المتصوفة يدعى حيدر. ويرى آخرون أن انتشار الحشيش في العالم العربى يرجع إلى طائفة الحشاشين التي كان يتزعمها حسن بن الصباح في أواخر القرن الخامس، وكان قادة هذه الطائفة يقدمون الحشيش لأتباعهم؛ حتى يقوموا بالاغتيال والقتل وهم في

(١) رأي الدين في المخدرات والمسكرات.

غير وعيهم[١].

ثالثا: أهم الأسباب التي أدت إلى انتشار المخدرات:

هناك أسباب أدت إلى انتشار المخدرات من أهمها:

١)ضعف الوازع الدينى في النفوس: إذ إن الوازع الدينى متى ضعف في النفس البشرية، أقدمت على اقتران ما نهى الله عنه، فلا خوف ولاحياء، بل تستحب العمى على الهدى، وصارت في طريق المعاصى والشهوات والرذائل، متبعة في ذلك الهوى والشيطان، وكانت عاقبتها الخسران والبوار، وصدق الله إذ يقول:{**فَأَمَّا مَن طَغَى * وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى**} [النازعات: ٢٣٧ - ٢٣٩].

٢)وجود المال بكثرة في أيدى بعض الطوائف الجاهلة، التي لم تشكر الله تعالى على نعمة المال، ولم تستعمله في وجوهه المشروعة، ولم تجمعه من طرقه الحلال، والمال إذا وجد في يد الإنسان العاقل الشاكر لنعم الله نفع وأفاد.

٣) الجهل وعدم الشعور بالمسؤولية، والاستحقاق بما يجب على الإنسان نحو وطنه ونحو أسرته حميد ومن فعل طيب ومن عمل نافع يؤدى زيادة الإنتاج. ومتى كثر الجهل وعدم الشعور بالمسؤولية في أمة كان أمرها فرطا، تحولت المفاسد في نظرة جهلائها وسفهائها إلى محاسن. قال تعالى:{**أَفَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللهَ يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ**} [فاطر: ٨].

هل هناك جهل أو سفاهة أشد من اعتقاد المتعاطى لهذه السموم، أنها تبعث فيه السرور، وتنسيه الهموم، وتقوى فيه الغرائز الجنسية.

إن العقلاء في كل زمان ومكان يحتقرون تلك المعتقدات الهابطة، والأفكار السيئة، والمسالك القبيحة، التي يكذبها الثقاة من أولى العلم.

٤) توهم كثيرون من الذين يتعاطون المخدرات أنه لم يرد نص

(١) رأي الدين في المخدرات والمسكرات.

شرعى بتحريمها، حيث إن النصوص الشرعية وردت بتحريم الخمر ولم تشر إلى تحريم المخدرات، التي من بينها الحشيش والأفيون، وما يشبهما كالتدخين. وهذا التوهم فاسد وخاطئ لوجوه من أهمها:

(أ) - عدم وجود هذه الأنواع من المخدرات كما بينا آنفا - في عصر النبى ﷺ وصحابته، وحتى في القرن السادس الهجرى.

(ب) ليس عدم ورود تحريمها في الكتاب أو السنة - بالاسم - يعنى أنها حلال، لأن التحريم للشيء قد يكون بنص أو جماع أو قياس. والقياس معناه: إلحاق أمر لم يرد في حكمه الشرعى نص من القرآن والسنة بأمر آخر ورد في حكمه الشرعى نص لاشتراك الرأيين في علة الحكم.

(ج) قال القرطبى في تفسيره (ج٦ ص٣٨٩): (لو التزمنا ألا نحكم بحكم حتى نجد فيه نصا لتعطلت الشريعة؛ فإن النصوص قليلة، وإنما هى الظواهر والعمومات والأقيسة) وأركان قياس المخدرات على الخمر في التحريم متوافرة إذ المخدرات كالخمرة في الإسكار، وحجب العقل وإضاعة المال.

يقول الشيخ شلتوت (رحمه الله): (هذه الأضرار التي ظهرت للخمر وعرفها الناس هى مناط تحريمها كان من الضرورى لشريعة تبنى أحكامها على حفظ المصالح ودفع المضار، أن تحرم كل مادة من شأنها أن تحدث مثل تلك الأضرار أو أشد، سواء أكانت تلك المادة سائلا مشروبا أم جامدا، مأكولا أو مسحوقا مشموما، وهذا طريق من طرق التشريع الطبيعية. ومن الواضح أن قوله ﷺ:**كل مسكر حرام**ـــ لايقصد به مجرد التسمية؛ لأن الرسول ﷺ ليس واضع أسماء ولغات، وإنما القصد منه أن يأخذ حكم الخمر في التحريم والعقوبة.

ولقد أجمع الفقهاء القدامى والمحدثون، كأمثال ابن تيمية وابن القيم والشيخ حسنين محمد مخلوف، على حرمة المخدرات بعد أن تبينوا آثارها السيئة في الإنسان وبيئته ونسله.

نسأل الله أن يجنبنا الزلل وأن يهدينا إلى الصواب.. اللهم آمين.

* * *

الفصل الثانى
عمود الإسلام

يا تارك الصلاة.

الصلاة بين الطب الوقائى والطب النفسى.

فقه يوم الجمعة.

آداب يوم الجمعة.

خصائص الجمعة وبدعها.

يا تارك الصلاة

الحمد لله الذي خضعت لقدرته الرقاب، ووخضعت لعظمته العباد، وأصلي وأسلم على خير مخلوق خلقه الله رحمة للعالمين.. وبعد:

إن التهاون بالصلاة أمر خطير، ووبال على من تهاون بأمرها، واليوم في هذا اللقاء ننادى على كل مسلم أن يحافظ على الصلاة، ويخشع فيها. قال تعالى:{**فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلوةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا**} [مريم: ٥٩] قال ابن عباس ☻: ليس معنى أضاعوها تركوها بالكلية ولكن أخروها عن وقتها. وقال سعيد بن المسيب - إمام التابعين -: هو ألا يصلى الظهر حتى يأتى العصر، ولايصلى العصر حتى يأتى المغرب، ولايصلى المغرب إلى العشاء، ولايصلى العشاء إلى الفجر، ولايصلى الفجر إلى طلوع الشمس. فمن مات وهو مصر على هذه الحالة ولم يتب وعده الله بغى، وهو واد في جهنم بعيد قعره خبيث طعمه[(١)].

قال تعالى:{**فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ * الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ**} [الماعون: ٤، ٥] أى غافلون عن أوقاتها. وقال تعالى:{**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللهِ**} [المنافقون: ٩] قال المفسرون: المراد بذكر الله في هذه الآيات الصلوات الخمس.

وقال تعالى:{**مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ * قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ * وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ**} [المدثر: ٤٢ - ٤٤] .

وقال النبى ﷺ:**العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر**[(٢)].

وقال النبى ﷺ:**بين العبد وبين الكفر تلك الصلاة**[(٣)].

وقال ﷺ:**أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا منى دماءهم وأموالهم إلا**

---

(١) الكبائر للذهبي
(٢) رواه أحمد وأبو داود.
(٣) رواه أحمد ومسلم.

بحقها وحسابهم على الله ـــ[١].

ويقول النبى ﷺ:**من حافظ عليها كانت له نورا وبرهانا ونجاة يوم القيامة، ومن لم يحافظ عليها لم تكن له نورا ولابرهانا ولانجاة يوم القيامة، وكان يوم القيامة مع فرعون وقارون وهامان وأبى بن خلف ـــ**[٢].

يقول ابن القيم (رحمه الله): الحكمة في أن يحشر مع هؤلاء الأربعة: لأن تارك الصلاة إما أن يشتغل عنها بماله أو ملكه أو وزارته أو تجارته.

ويقول النبى ﷺ:**من ترك صلاة مكتوبة متعمدا فقد برئت منه ذمة الله ورسوله ـــ**[٣].

ويقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه حينما طعن، وقيل له: الصلاة يا أمير المؤمنين. قال: أما إنه لاحظ لأحد في الإسلام أضاع الصلاة. وسئل على رضي الله عنه عن امرأة لا تصلى، فقال: من لم يصل فهو كافر.

وقال ابن حزم: إنه لاذنب بعد الشرك أعظم من تأخير الصلاة عن وقتها وقتل مؤمن بغير حق.

وروى عن النبى ﷺ أنه قال يوما لأصحابه:**اللهم لاتدع فينا شقيا ولا محروما ـــ** ثم قال ﷺ:**أتدرون من الشقى المحروم؟ ـــ** قالوا: من يا رسول الله؟ قال:**تارك الصلاة ـــ**.

إخوة الإسلام:

إن ترك الصلاة من أكبر الكبائر على الإطلاق، وهو أشد من الزنا والقتل، ويدل على ذلك ماورد في كتاب الكبائر للذهبى، حيث يذكر القصة التالية:

روى أن امرأة من بنى إسرائيل جاءت إلى موسى عليه السلام فقالت: يا رسول الله، إنى أذنبت ذنبا عظيما وقد تبت منه إلى الله تعالى، فقال لها

(١) متفق عليه.
(٢) أحمد والطبراني من حديث ابن عمر.
(٣) رواه أحمد.

موسى: (وماذنبك؟) قالت: يانبى الله، إنى زنيت وولدت ولدا فقتلته، فقال لها موسى: (اخرجى يافاجرة، حتى لاتنزل نار من السماء فتحرقنا بشؤمك) فخرجت من عنده منكسرة القلب، فنزل جبريل عليه السلام وقال يا موسى: (أما وجدت من هو أشر منها تارك الصلاة عامدا متعمدا).

عباد الله:

لقد أمرنا الإسلام بالمحافظة على الصلوات الخمس، وأن نحسن فيهن صلاتنا من قيام وركوع وسجود، بخشوع وطمأنينة، لذلك ورد الوعيد بالويل لمن ينقر الصلاة ولايتم ركوعها ولاسجودها.

قال تعالى:**{فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ * الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ}** [الماعون: ٤، ٥] .

وقد ثبت في الصحيحين من حديث أبى هريرة رضي الله عنه أن رجلا دخل المسجد، ورسول الله ﷺ جالس فيه، فصلى الرجل، ثم جاء فسلم على النبى ﷺ فرد عليه السلام، ثم قال له:**ارجع صل، فإنك لم تصل**ـــ، ولكن الرجل صلى ثلاث مرات الصلاة نفسها، وفى كل مرة يقول له النبى ﷺ : **ارجع صل فإنك لم تصل**ـــ ثم علمه كيف يصلى، حيث علمه أن يطمئن ويخشع في صلاته ويتم الركوع والسجود، ويؤيد ذلك ما رواه أحمد عن النبى ﷺ أنه قال:**لا تجزى صلاة لا يقيم الرجل فيها صلبه في الركوع والسجود**ـــ.

ويقول النبى ﷺ:**أشد الناس سرقة الذي يسرق من صلاته**ـــ، وقيل كيف يسرق من صلاته؟ قال:**لايتم ركوعها ولاسجودها ولا القراءة فيها**ـــ(١).

وعن سلمان الفارسى رضي الله عنه أن النبى ﷺ قال:**الصلاة مكيال فمن وفَّى وفَّى له، ومن طفف فقد علمتم ما قال الله في المطففين**ـــ والمطفف هو من ينقص الكيل أو الوزن، أو من يأخذ من حقه ويعطى الناس أقل.

مما سبق يتبين لنا - إخوة الإسلام - ضرورة الطمأنينة في الصلاة والخشوع فيها والطمأنينة في أن يستقر كل عضو في موضعه.

(١) رواه الحاكم وأحمد.

أحبتنا في طريق الإيمان

إن الصلاة قدرها عظيم، وهى الركن الثانى من أركان الإسلام، كما قال تعالى:{**قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ * إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ * فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ * أُوْلَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ * الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ**} [المؤمنون: ١ - ١١] .

فقد ذكر الله تعالى ست صفات للمؤمنين، الذين وعدهم بالخلود في الفردوس، منهم صفتان خاصتان بالصلاة وهما: الخشوع في الصلاة، والمحافظة عليها.

واعلموا عباد الله أن ترك الصلاة في جماعة مع قدرته على أدائها مع الجماعة، توعده الله ﷻ بعقوبة عظيمة.

قال تعالى{**يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ * خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ**} [القلم: ٤٢ - ٤٣] .

أى: ذلك يوم القيامة يغشاهم ذل الندامة، وقد كانوا يدعون إلى السجود في الدنيا. قال إبراهيم التيمى: يعنى على الصلاة المكتوبة بالأذان والإقامة، وقال سعيد بن المسيب: (كانوا يسمعون حى على الصلاة حى على الفلاح فلم يجيبوا وهم سالمون). وقال كعب الأحبار: والله مانزلت إلا في الذين تخلفوا عن الجماعة. فأى وعيد أشد وأبلغ من هذا لمن ترك الصلاة في جماعة مع القدرة على إتيانها؟!

وفى الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال:**لقد هممت أن آمر بالصلاة فتقام، ثم آمر رجلا فيؤم الناس، ثم أنطلق معى برجال معهم حزم إلى قوم لا يشهدون الصلاة فأحرق عليهم بيوتهم بالنار**. وهذا الحديث يبين أنه لايتوعد بحرق بيوتهم عليهم بالنار إلا على ترك واجب، مع مافى البيوت من الذرية والمتاع.

وفى صحيح مسلم أن رجلا أعمى أتى النبى ﷺ فقال: يا رسول الله، ليس لى قائد يقودنى إلى المسجد. وسأل النبى ﷺ أن يرخص له أن يصلى في بيته، فرخص له، فلما ولى دعاه فقال:**هل تسمع النداء بالصلاةـــ** قال: نعم، قال:**فأجبـــ**.

وقال أبو هريرة ﷺ: (لأن تمتلئ أذن ابن آدم رصاصا مذابا خير له من أن يسمع النداء ولا يجيب).

لقد كان سلفنا الصالح يحافظون على صلاة الجماعة محافظة شديدة، تدل على قوة إيمانهم وعلى ضعف إيماننا نحن.

من ذلك:

يقول عبد الله بن عمر ☻: خرج عمر يوما إلى حائط له. فرجع وقد صلى الناس العصر. فقال عمر: إنا لله وإنا إليه راجعون، فاتتنى صلاة العصر في الجماعة، أشهدكم أن حائطى على المسلمين صدقة. ليكون ذلك كفارة لما صنع عمر. وكان بعض السلف يقول: مافاتت أحدا صلاة الجماعة إلا بذنب أصابه.

وقال حاتم الأصم: (فاتتنى مرة صلاة الجماعة، فعزانى أبو إسحاق البخارى وحده، ولو مات لى ولد لعزانى أكثر من ثلاثة آلاف إنسان؛ لأن مصيبة الدين عند الناس أهون من مصيبة الدنيا).

إخوة الإسلام:

ولقد خص الله الصلوات بالفضل العظيم، والأجر الجزيل، لمن صلاهما مع جماعة المسلمين، خاصة صلاة الفجر والعشاء.

يقول الرسول ﷺ عن صلاتى الفجر والعشاء:**إن هاتين الصلاتين أثقل الصلوات على المنافقين، ولو يعلمون مافيهما من الأجر لأتوهما ولو حبواـــ** (١).

ويقول عبد الله بن عمر ☻: (كنا إذا تخلف منا إنسان في صلاة

(١) رواه البخاري من حديث أبي هريرة.

العشاء والصبح في الجماعة أسأنا به الظن أن يكون قد نافق) [١].

ويحكى لنا الإمام الذهبى (رحمه الله) حكاية عن عبيد الله بن عمرو القواريرى شيخ البخارى ومسلم وأبى داود، تبين لنا كيف كان حال المتقين الصادقين مع الصلاة.

يقول (رحمه الله): (لم تكن تفوتنى صلاة العشاء في الجماعة قط، فنزل بى ليلة ضيف، فشغلت بسببه وفاتتنى صلاة العشاء في الجماعة، فخرجت أطلب الصلاة في مساجد البصرة، فوجدت الناس كلهم قد صلوا، وغلقت المساجد، فرجعت إلى بيتى وقلت: قد ورد في الحديث أن صلاة الجماعة تزيد على صلاة الفرد بسبع وعشرين درجة، فصليت العشاء سبع وعشرين مرة. ثم نمت. فرأيت في المنام كأنى مع قوم على خيل، وأنا أيضا على فرس، ونحن نستبق وأنا أركض فرسى فلا ألحقهم. فالتفت إلى أحدهم فقال: لاتتعب فرسك فلست تلحقنا. قلت: ولم؟ قال: لأننا صلينا العشاء في جماعة وأنت صليت وحدك. فانتبهت وأنا مغموم حزين).

إخوة الإسلام:

حتى الصبيان - إذا بلغوا سنا معينا - يؤمرون بالصلاة؛ مما يدل على أهميتها القصوى.

فهذا النبى ﷺ يقول:**مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر وفرقوا بينهم في المضاجع**[٢].

قال الإمام أبو سليمان الخطابى: هذا الحديث يدل على إغلاظ العقوبة له إذا بلغ تاركا لها.

وكان بعض أصحاب الإمام الشافعى يحتج بهذا الحديث في وجوب قتل الصبى إذا تركها متعمدا بعد البلوغ، ويقول: إذا استحق الضرب وهو غير بالغ، فإنه يستحق ماهو أبلغ وأقطع. وقال الإمام أحمد: تارك الصلاة يقتل ضربا بالسيف في رقبته.

(١) رواه أبو داود في السنن.
(٢) رواه الطبراني وابن خزيمة.

وصدق الله إذ يقول{**حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلاةِ الوُسْطَى وَقُومُوا لله قَانِتِينَ**} [البقرة: ٢٣٨].

نسأل الله أن يجعلنا ممن يحافظون على الصلاة، اللهم آمين.

* * *

الصلاة بين الطب الوقائى والطب النفسى

الحمد لله حمدًا يوافي نعمه، ويكافئ مزيد فضله. والصلاة والسلام على خير مخلوق خلقه الله، وعلى آله وأصحابه، وعلى التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين. وبعد:

إخوة الإسلام:

لقاؤنا اليوم بإذن الله تعالى عن الصلاة، ذلكم الركن الثانى من أركان دين الإسلام، ننادى على عبد معرض، نحاول أن نجذب قلبه لله تعالى، سائلين المولى ﷻ أن يهدى أمة محمد ﷺ إلى مايحبه ويرضاه.

وإذا عرفنا الصلاة فهى بمعنى الدعاء، فالصلاة في مجملها تشتمل على الدعاء. هذا تعريفها في اللغة. أما تعريفها في الشرع: فهى أقوال وأفعال مفتتحة بالتكبير مختتمة بالتسليم.

وإذا أردنا معرفة فضلها وشرفها: فيكفى الصلاة شرفا أنها فرضت من فوق سبع سماوات مباشرة بين العبد وبين خالقه ومولاه. يقول النبى ﷺ في الحديث الصحيح:**أرأيتم لو أن نهرا بباب أحدكم يغتسل منه في اليوم والليلة خمس مرات، هل يبقى من درنه شيء؟ـــ** قالوا: لا يا رسول الله. قال:**فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطاياـــ**.

عباد الله:

هناك بعض الناس يعتذرون عن أداء الصلاة بحجج واهية يلخصها لنا أحد الدعاة إلى الله (١). ومن هذه الحجج الواهية:

*** ليس هناك وقت للصلاة:**

يقول (حفظه الله): (اعلم أن المال خادم والدين مخدوم. قال ﷺ: **إن الله قال: إنا أنزلنا المال لإقامة الصلاة وإيتاء الزكاةـــ**. فيا من تشتغلون بالدنيا عن الصلاة**{بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا* وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى}**. ويقول

(١) الفكرة كانت موجودة مجملاً عند المؤلف وألقيت خطبًا للجمعة (بدار المدفعية) للقوات المسلحة ١٩٩٩م، ثم جاء الشيخ محمد حسين يعقوب، في رسالة صوتية مشهورة: (يا تارك الصلاة) فهو من باب (توارد الأفكار).

تعالى في حديث قدسى:**يا بن آدم ، تفرغ لعبادتى أملأ صدرك غنى وأسد فقرك، وإلا تفعل ملأت يديك شغلا ولم أسد فقرك**ــــ.

*** مقولة العمل عبادة:**

عبادة لمن؟ العمل الذي يلهيك عن عبادة الله فهو عبادة للشيطان. قال ﷺ:**تعس عبد الدرهم وعبد الدينار**ــــ.

إخوة الإسلام:

لو كان يجوز ترك الصلاة لأحد، لكان الأولى المجاهد والمريض والخائف ولكنهم أمروا بالصلاة، وليس هناك عذر لترك الصلاة إلا للحائض والنفساء.

* كسل بعض الناس عن الصلاة خوفا من خلع الحذاء وبلل الملابس.

ويقول في نفسه: (حين أرجع إلى البيت) وهذه لا تمثل مشكلة أبدا وعلاج هذا الأمر ألا يخلع المصلى حذاءه ويمسح على الجورب، فيصلى الصبح ثم الضحى، ويلبس الجورب على الوضوء ثم يمسح عليه في الصلوات الأخرى بقية يومه. يقول النبى ﷺ:**لا يحافظ على الوضوء إلا مؤمن**ــــ.

*** الصلاة ثقيلة على النفس كما يزعم بعض الناس:**

نقول كما يقول الشيخ يعقوب: الصلاة لاهى مرض ولاهى مصيبة ولاتؤدى إلى جهنم، وخفتها في أنك عبد الله ﷻ. ولكن نظرا؛ لأن الشيطان استحوذ عليك وتفعل المعاصى، فحينها تهم بالصلاة تجد ثقل فيهما فيمسك الشيطان بك، فجاهد نفسك حتى تصلى. مثلا: حينما تريد أن تنام فإنك تجاهد مع النوم وتفعل ما لا يفعل من أجله. وحينما تدخل الصلاة ابك لله. استخدم أسلوب الأطفال واطلب الهداية من الله وإذا كانت دموعك غالية فهى عند الله أغلى.

يقول تعالى:**{كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ إِنِّي أَخَافُ اللهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ}** [الحشر: ١٦] . ويقول تعالى في حديث قدسى:**من تقرب إلى شبرا تقربت إليه ذراعا**ــــ.

* الزعم الكاذب بأن من يصلون (حرامية): بعض الناس يذهب إلى أحد المساجد يوما مثلا فيسرق حذاؤه، أو يموت ابنه وهو يصلى، أو تسرق محفظته. فكل هذه الأمور ابتلاء واختبارات من الله لك، حتى ينظر أتصبر أم لا؛ وحتى نقول: يارب دائما وأبدا. قال تعالى:{**وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ الله عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ**} [الحشر: ١١] .

* الاعتقاد الفاسد بأن المهم أن يكون القلب أبيض، والصلاة شيء عادى:

الذي يطلع على بياض القلب هو الله. فبياض القلب من الله والذى لايصلى قلبه أسود، كما قال النبى ﷺ:**بين العبد وبين الشرك ترك الصلاة**. فليس هناك كافر وقلبه أبيض. وقولك الصلاة ليست مهمة خطأ في حق الله ﷻ يقول تعالى{**وَأَقِيمُواْ الصَّلوةَ وَآتُواْ الزَّكَوةَ**} [البقرة: ٤٣] فحينما يصدر إليك أمر من أى مسؤول ينفذ، وأنت تستهين بأوامر الله. كيف يكون ذلك؟

* التسويف في أمر الصلاة. فيقول المرء: سأصلى غدا أو الأسبوع القادم مثلا: نقول لمن هذا شأنه:

النية الصالحة لاتصلح العمل الفاسد، وكل هذا ليس نية، وإنما هى أمنية، وماذا تفعل لو حضرتك المنية؟

* يقول كثيرون من الناس إننا نفعل معاصى كثيرة: نؤذى ونرتشى ونغش. لماذا نتوب؟

نقول لمن كان هذا شأنه: صل وربنا يوفقك للتوبة، وإن كنت تستطيع أن تتوب بمفردك فهذا خطأ منك. قال تعالى:{**إِنَّ الصَّلوةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ الله أَكْبَرُ والله يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ**} [العنكبوت: ٤٥] وإن كنت تقول أن الله غفور رحيم، فاعلم أنه شديد العقاب لمن لم ينفذ أوامره.

* يقول بعض الناس إن الصلاة ليست مقبولة وهذا خطأ كبير، بل على الإنسان أن يحسن الظن بالله وحده. جاء في الحديث القدسى:**أنا عند ظن عبدى بى فليظن عبدى ما شاء**.

* يقول بعض الناس أنا لا أصلى لأننى أسهو في صلاتي، نقول لهؤلاء، قال النبى ﷺ:**إن في الصلاة لشغلاً**. والمطلوب مجاهدة النفس في الصلاة حتى تصل إلى أعلى درجاتها؛ لأن الصلاة جمعت كل أنواع العبودية من (صوم وزكاة وحج وتلاوة قرآن واستغفار) والصلاة لقاء مع ملك الملوك. ويقول النبى ﷺ:**وجعلت قرة عينى في الصلاة**، وقال:**إن الله ينصب وجهه لوجه عبده ما لم يلتفت**.

* كثير من الناس يقول: أصلى لما ربنا يهدينى. نقول لهؤلاء: صلوا ويكون قد هداكم الله.

نقول لكل هؤلاء: الصلاة وصية الرسول في آخر حياته.

أليست وصية النبى أفضل من وصية أبيك. فأطع أبا القاسم تكن من المفلحين.

إخوة الإيمان والإسلام

إن الصلاة لها فوائد علاجية عظيمة. وقد أكد العلماء أن لها دور كبير في الطب الوقائى، إذ أنها تقى الجسم من كثير من الأمراض. قال تعالى:{**قُل لِّعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُواْ يُقِيمُواْ الصَّلوةَ**} [إبراهيم: ٣١] . وقال تعالى:{**وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلوةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا**} [طه: ١٣٢] . وقال تعالى:{**إِنَّ الصّلوةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا**} [النساء: ٣١]. وقال تعالى:{**حَافِظُواْ عَلَى الصَّلَوَاتِ والصَّلوةِ الْوُسْطَى**} [البقرة: ٢٣٨] .

وهناك نصائح ينصح بها علماء الصحة الوقائية تؤكد الإعجاز العلمى في فريضة الصلاة، ومن ذلك:

جاء في كتاب الإعجاز العلمى للسنة لمؤلفه محمد كامل عبد الصمد:

إن التمرينات الرياضية التي تمارس بشكل منتظم لها أهميتها في بناء الجسم السليم، لوجود العقل السليم... وإن أداء الصلاة خمس مرات كل يوم خير وسيلة لجنى فوائد التمرينات الرياضية؛ لأن أوقاتها هى أنسب الأوقات التي يوصى فيها بأداء التمارين فتكون:

❖ قبل شروق الشمس حيث الجو النقى الذي يبعث الحيوية في الجسم.

❖ وفى الظهيرة حيث يحل بالجسم تعب العمل، وتطلب إعادة توازن القوى الحيوية فيه.

❖ وفى العصر حيث قارب يوم العمل على الانتهاء، وتطلب الأمر إعادة النشاط في الجسم

❖ وفى الغروب حيث يبدأ الإنسان الاستعداد لنشاط جديد في المساء.

❖ وفى العشاء حيث يتطلب الجسم شيئا من الحيوية بعد يوم حافل بالعمل والكد.

فهذه أنسب الأوقات التي لابد منها للمرء لتعويض جسمه مافقده من حيوية. وقد قرر العلماء أن حركات الصلاة من قيام وقعود وسجود عدة مرات في كل يومك خير وسيلة لتنشيط الدورة الدموية التي تنشط بدورها كافة الأجهزة الحيوية في الجسم.

وجاء في هذا الكتاب القيم أيضا مايدل ويؤكد الفوائد الصحية للصلاة، وجاء ذلك على ألسنة علماء من الغرب، ومن ذلك:

❖ جاء طبيب عظام فرنسى مشهور إلى مصر. وعندما أخذ يتجول في القاهرة وفى خلال جولاته بين مساجد القاهرة اكتشف علاجا جديدا لآلام الظهر، وكان هذا العلاج هو تأدية حركة الصلوات الخمس.

❖ وثبت علميا أن الركوع والسجود يقوى عضلات الظهر والمعدة، ويزيل مايتكون على جدار المعدة من دهون وشحوم.

❖ أما السجود فإنه يقوى عضلات الفخذين والساقين، ويساعد على توصيل الدم إلى أطراف الجسم.

❖ وأداء الصلاة يعمل على خفض ضغط الدم العالى.

❖ وأداء الصلاة قبل الأكل يقى المعدة من القرحة.

❖ كما ثبت علميا أن الصلاة لها تأثيرها المباشر على الجهاز العصبى؛ إذ أنها تزيل توتره، وتهدئ من ثورته، وتعتبر علاجا للأرق

الناتج عن الغضب. ويقول في ذلك الدكتور توماس هانسلوب: أهم وسيلة عرفت إلى الآن لبث الطمأنينة في النفوس، وبث الهدوء إلى الأعصاب هى الصلاة.

❖ ويقول الدكتور أدوين فريدرك أستاذ الأمراض العصبية بالولايات المتحدة الأمريكية: هناك آلاف الحالات التي لم يجد لها أشهر الأطباء علاجا، ومع ذلك تم شفاؤهم من خلال معجزة تسمى الصلاة.

❖ أما الدكتور ألكسيس كارليل الحائز على جائزة نوبل في الطب يقول عن الصلاة أنها تحدث بعض النشاط في أجهزة الجسم وأعضائه. بل هى أعظم مولد للنشاط عرف في يومنا هذا.

❖ فهذه آراء من علماء لايعرفون محاباة الإسلام. فهل بعد هذا يمكن لأحد أن يغالط أو ينكر قيمة الصلاة كإجراء وقائى وعلاجى من الأمراض.

❖ وفى الاصطفاف في الصلاة يؤلف المصلون خطوطا متوازية متساوية مقدار شبر بين القدمين، وهذا يساعد على حفظ التوازن وتقوية الأعصاب، قال أحد أساتذة الرياضة في مصر: أن الحركات المعروفة بالسويدية قد أسست على مشاهدة الصلاة الإسلامية بما فيها حركات رياضية ودقة في النظام.

إخوة الإيمان والإسلام:

وللصلاة فوائد عظيمة من الناحية النفسية. قال تعالى:{**قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ**} [المؤمنون: ١، ٢] .

ومن هذه الفوائد النفسية للصلاة:

❖ يتذكر الإنسان ربه، وأنه بيده ﷻ الأمر كله، وأنه ملك لله ﷻ، وإذا ما ظلمه أحد أو جار عليه فوض أمره إلى ربه، وإذا ضاقت به الحيل لجأ لمولاه. وهذا الإحساس يجلب على المرء هدوء وطمأنينة نفسية تعينه على الاستمرار في حياته بصحة جسمية وراحة عقلية.

❖ كما أن الوقوف بين يدى الله ﷻ خمس مرات في اليوم والليلة، وطلب المغفرة منه في كل خطأ ارتكبه يجعل المرء في حصانة من العقد النفسية التي تنجم عن الكبت: (ولعل ذلك هو السبب في تفريق وقت الصلاة) فالإفضاء من الوسائل العلاجية المعمول بها في كل المستشفيات العصبية، وليس شرط أن يكون الإفضاء لطبيب أو عالم دينى، وإنما لمن يساعدك ويقوم بمساعدتك فكيف إذا لجأ الإنسان إلى الله الذي يسمع ويرى ويملك الأمر كله؟!

❖ الصلاة في جماعة ترمى إلى هدف نفسى، وهو توثيق أواصر المحبة وتقوية مشاعر الألفة بين كل هذا الجمع على اختلاف أعمارهم وملابسهم يتقدمهم إمامهم، وقد يكون أقلهم جاها وأفقرهم حالاً.

❖ يقول الكاتب الإنجليزى هراس ليف: لقد كان في اعتقادى أنه ليس هناك دين يدعو إلى المساواة بين الناس. فقد زرت كنائس كثيرة فرأيت التفريق بين طبقاتها داخل المعابد كما هو خارجها. ولكن كانت دهشتى حينما رأيت المساجد الإسلامية فيها شعور بالمساواة ولايأنف أحدهم مهما عظم قدره أن يجاور في الصلاة أقل منه شأنا.

❖ ويقول الكونت هنرى دى كاسترى: خرجت إلى الصحراء لأرفه عن نفسى راكبا فرسا في صحبة ثلاثين أعرابيا، وقد حانت صلاة العصر، فنزلوا وصلوا صفا واحدا ببرانسهم البيضاء، ويسجدون بحركات منتظمة، فاستولى على شعور بالخجل بأنهم أفضل منى، وقد نزلت السكينة على جيادهم، وقد تولاها الخشوع من خشية الله، وكأنى أرى لأول مرة أناسا يعبدون الله.

ويقول كوليم الانجليزى الذي أسلم وسمى نفسه عبد الله: أنه كان مسافرا ذات مرة على باخرة إلى طنجة، فهبت الرياح وأشرفت السفينة على الغرق، فاضطرب الناس، ووجد جماعة استووا في صف واحد يكبرون ويهللون. فقال لهم: ماذا تصنعون؟ ألا تخافون الغرق؟ قالوا نصلى لله، الذي بيده الأمر، إن شاء أحيا، وإن شاء أمات. وكان هذا هو السبب في بحثه عن الدين الإسلامى وهدايته له، وأصبح من كبار الدعاة في إنجلترا وأسلم على يديه الكثيرون.

اللهم اهدنا فيمن هديت، وتولنا فيمن توليت، وقنا واصرف عنا شر ما قضيت.

اللهم آمين.

* * *

فقه يوم الجمعة

الحمد لله رب العالمين، فرض الجمعة على المؤمنين، وجعلها عيدا لهم إلى يوم الدين، وأشهد أن لا إله إلا الله، القائل:{**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِي لِلصَّلَوةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ**} [الجمعة: ٩] . وأشهد أن سيدنا محمدا رسول الله القائل:**خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة، فيه خلق آدم، وفيه أدخل الجنة، وفيه أخرج منها، ولا تقوم الساعة إلا في يوم الجمعة**.

ثم أما بعد..

إخوة الإسلام:

سيدور حديثنا إن شاء الله تعالى عن يوم الجمعة في العناصر التالية:

أولا: سبب التسمية وأول من سماها بذلك.

ثانيا: متى فرضت وأين فرضت وحكمة مشروعيتها.

ثالثا: من تجب عليه الجمعة والعدد الذي تنعقد به.

رابعا: أذان الجمعة، والعطلة يوم الجمعة.

أولا: سبب التسمية وأول من سماها بذلك:

قال الإمام أبو الفرج بن الجوزى في كتابه زاد المسير في علم التفسير: في الجمعة ثلاث لغات: الأولى ضم الجيم والميم (جُمُعة) وهى قراءة الجمهور. الثانية ضم الجيم وسكون الميم (جُمْعة) وقرأ بها عكرمة. الثالثة ضم الجيم وفتح الميم والعين (جُمَعَة) وقرأ بها أبو العالية والنخعى. فالأولى: لغة الحجاز، والثانية: لغة تميم، والثالثة: لغة عقيل، والمشهور لغة الجمهور لشهرتها، فقد قال ابن عباس: نزل القرآن بالتثقيل والتفخيم؛ فاقرؤوها (جُمُعَة).

وقال النووى في المجموع: المشهور الضم، وبه قرئ في السبع.

وقال الحافظ في الفتح: الجمعة بضم الميم على المشهور. ولقد أثبت العلماء خمسة أقوال في تسمية الجمعة، ذكرها البرماوى في حاشيته، وهى:

القول الأول: سمى بذلك لما جمع في يومها من الخير.

القول الثانى: سمى بذلك لاجتماع آدم مع حواء فيه على الأرض بعد أربعين يوما.

القول الثالث: سمى (جمعة)؛ لأنها مشتقة من الجمع، وفيه كمل جمع الخلائق، فإنه اليوم السادس من الستة التي خلق الله ﷻ فيها السموات والأرض. (وذكر ذلك ابن كثير في تفسيره).

القول الرابع: سمى بذلك الاسم لاجتماع الناس فيه للصلاة، وبهذا جزم ابن حزم في (المحلى).

القول الخامس: سمى بذلك الاسم لأنه جمع فيه آدم؛ فقد روى سلمان الفارسي رضي الله عنه فقال: قال رسول الله ﷺ:**أأحدثك عن يوم الجمعة؟ لايتطهر رجل ثم يمشى إلى المسجد، ثم ينصت حتى يقضى الإمام صلاته إلا كان كفارة لما بينها وبين الجمعة الأخرى ما اجتنبت الكبائر**.

إخوة الإسلام:

وأول من سمى (الجمعة) قيل في ذلك قولان:

القول الأول: أنه كعب بن لؤى سماها بذلك، لأنه كان يجمع قومه في يوم الجمعة فيذكرهم ويأمرهم بتعظيم الحرام، ويخبرهم أنه سيبعث نبى.

القول الثانى: قيل أول من سماها بذلك الأنصار، قال ابن سيرين: فقد روى عبد الرزاق بإسناد صحيح عن محمد بن سيرين قال: جمع أهل المدينة قبل أن تنزل الجمعة فقال الأنصار: إن لليهود يوما يجتمعون فيه، وللنصارى كذلك، فهل نجعل لنا يوم نجتمع فيه، فنذكر الله تعالى فيه ونشكره فيه فجعلوه يوم العروبة.

قال الإمام الشافعى (رحمه الله) في الأم: كان يسمى في الجاهلية يوم العروبة أى: البيِّن العظيم[١].

أخواتنا في رحاب الإيمان:

(١) يوم الجمعة وخطبته في موكب الدعوة.

مع العنصر الثانى من عناصر هذا اللقاء وهو: متى فرضت وأين فرضت؟

لقد فرضت صلاة الجمعة على الأصح في ربيع الأول من السنة الأولى من الهجرة في المدينة المنورة، وأول جمعة صلاها النبى ﷺ كانت في مسجد بنى سالم بن عوف وفى السادس عشر من الشهر المذكور.

وقيل: إنها فرضت بمكة ولكن لم يتمكن النبى ﷺ من الجمع إليها في مكة فأرسل مصعب بن عمير ؓ، وهو أول رسول يرسله النبى ﷺ إلى المدينة ليعلم المسلمين أمور دينهم. أرسله إليه يأمره أن يجمع الناس يوم الجمعة ويصلى بهم ركعتين تقربا إلى الله.

إخوانى في الله:

وعن حكمة مشروعية صلاة الجمعة نقول مستعينين بالله: إن المؤمن حين يسمع نداء ربه قائلا:{**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِي لِلصَّلوةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ الله وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ**} [الجمعة: ٩] لا يملك إلا أن يسارع إلى الجمعة تنفيذا لكلام ربه. فإن معنى النداء أنه ينادى على طائفة معينة من الناس سوف تسمع وتطيع، ولسان حالها{**وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ**} [البقرة: ٢٨٥] وقوله تعالى{**وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى الله وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ**} [الأحزاب: ٣٦].

والمسلم يسارع إلى الجمعة تلبية لطلب رسوله ﷺ الذي رغب في المواظبة عليها وحذر من إهمالها أو تركها بدون عذر.

فقد شرع ﷻ صلاة الجمعة، لكى يجتمع المسلمون من أهل القرية أو المدينة في صعيد واحد فيتعارفون ويتآلفون ويتعاونون على البر والتقوى، وتتمكن في قلوبهم أواصر المودة والرحمة، وليستمعوا إلى شيء من النصح والإرشاد يلقيه على مسامعهم إمامهم، فتقوى عزائمهم على فعل الخير، وتصفو نفوسهم من أكدارها، وتطهر قلوبهم من الحسد والحقد والغل والضغينة، وغير ذلك من فائدة عظيمة يجنيها المسلمون

من صلاة الجمعة.

ثالثا: على من تجب صلاة الجمعة ومن لاتجب... والعدد الذي تنعقد به الجمعة.

أخواتنا في رحاب الإيمان:

تجب الجمعة على المسلم - العاقل - البالغ - الذكر - الحر - المقيم - القادر على الإتيان إلى المكان الذي تقام فيه الجمعة - غير المعذور.

- ❖ وإذا قلنا المسلم خرج بذلك الكافر.
- ❖ وإذا قلنا العاقل خرج بذلك المجنون لقوله ﷺ:**رفع القلم عن ثلاث...ــــ** وذكر منها:**المجنون حتى يفيقــــ**.
- ❖ وإذا قلنا البالغ خرج الصبى، ولكنه لو أداها صحت منه.
- ❖ وإذا قلنا الحر خرج العبد، ولكنه لو أداها صحت منه، ونابت عن الظهر.
- ❖ وإذا قلنا المقيم خرج المسافر عند الحنفية - بشرط أن يكون السفر مما يقصر فيه الصلاة[١]. ولكن أكثر أهل العلم قالوا: لا جمعة عليه، كما قال ابن قدامة. وحكى غيرهم أن الجماعة تجب عليه فمن باب أولى الجمعة وهى لا تجب على المرأة. ولكن لو أدتها صحت منها الجماعة، وسدت عن الظهر.
- ❖ وإذا قلنا القادر على الإتيان عليها خرج بذلك العاجز عن الإتيان إليها.

عباد الله:

وإذا تكلمنا عن العدد الذي تنعقد به الجمعة:

فقد أجمعت الأمة على أن الجماعة شرط في صحة الجمعة، واختلفوا في العدد الذي تنعقد به على أربعة عشر قولا: منهم - مثلا - من قال: تنعقد باثنين، ومنهم من قال تنعقد بثلاثين، ومنهم من قال: تنعقد بثمانين،

(١) الفقه الواضح.

العدد غير مقدر شرعا، بل تنعقد الجمعة بأى عدد تتكون به قرية، لكن لا تنعقد بالثلاثة، ولا بالأربعة،؛ لأنه عدد لاتتكون به قرية.

رابعا: آذان الجمعة، العطلة في يوم الجمعة:

إخوة الإسلام:

إذا تكلمنا عن (أذان الجمعة) نقول مستعينين بالله ﷻ: يسأل كثرون من الناس هل للجمعة أكثر من أذان؟ حيث إن بعض المساجد يؤذن فيها أذان واحد، وبعض المساجد يؤذن لها آذانان.

فأى السبيلين أحق أن يتبع؟

والجواب: أن كلا الأمرين حسن، ولاداعى للنزاع. فمن أذن الجمعة أذانا واحدا فهو ماكان عليه رسول الله ﷺ، ومن أذن أذانين فهو على ماكان عليه عثمان بن عفان ﵁ ومن جاء بعده. وعثمان بن عفان هو الخليفة الثالث لرسول الله ﷺ، وقد أمرنا رسول الله ﷺ أن نعمل: **بسنته وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعده، عضوا عليها بالنواجذ**[١]. وإن كان هناك خطأ بعض الشيء في تنفيذ الأذانين، لابد أن يُراعى عند تنفيذهما وعلى ولاة الأمر تصحيحه.

وعن ابن يزيد ﵁ قال: النداء يوم الجمعة أوله إذا جلس الإمام على المنبر على عهد رسول الله ﷺ وأبى بكر وعمر. فلما كان عثمان وكثر الناس زاد النداء الثالث على الزوراء[٢]، ولم يكن للنبى ﷺ مؤذن غير واحد.

وفى رواية أخرى للبخارى وغيره: فلما كانت خلافة عثمان وكثروا أمر عثمان يوم الجمعة بالنداء الثالث. والمعنى: يعنى الأذان الثانى وقد عد الراوى الإقامة أذانا، فبذلك صاروا ثلاثة.

عباد الله:

إن عطلة المسلمين إنما هى الجمعة، لا يوم الأحد. ولابد وأن نعلم أنه

(١) رواه البخاري وغيره.
(٢) مكان مرتفع بسوق المدينة.

ليس في الإسلام يوم معين تعطل الأعمال فيه، لكن لابد للمسلم من يوم يستريح فيه من عناء العمل خلال الأسبوع، فليكن يوم الجمعة لايوم الأحد. ذلك لأن اتخاذ المسلم يوم الأحد عطلة أسبوعية فهو تقليد للنصارى، وقد أمرنا بمخالفتهم في كثير من عادتهم التي تتصل بالدين، وفيه إعزاز لدينهم وتهاون بديننا، ولو عن طريق غير مباشر لايقصد إليه المسلم ولا يتعمده حتما، ولكن يأتى منه عفو الخاطر، نتيجة لعادات توارثوها قد غرسها الاستعمار في بلادنا.

ولو أمرنا نحن النصارى أن يجعلوا عطلتهم الأسبوعية يوم الجمعة لايوم الأحد، لن يستجيبوا لنا أبدا. فالأحرى بالمسلم أن يعظم اليوم الذي عظمه الله ﷻ، وجعله عيدا للمسلمين، يجتمعون فيه على الحب والإخلاص. فالأولى أن تجعل هذا اليوم يوم راحتك، تغسل فيه ثوبك، وتطهر بدنك، وتتجمل بأحسن ماعندك من الثياب، ثم تنتشر حيث شئت لعملك، أو كل ما أحله الله[١]. قال تعالى:{**فَإِذَا قُضِيَتِ الصّلوةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ الله وَاذْكُرُوا الله كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**} [الجمعة: ١٠] .

نسأل الله الهداية والتوفيق.

* * *

(١) الفقه الواضح.

آداب يوم الجمعة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد: فإن حديثى معكم اليوم عن آداب يوم الجمعة.

إخوة الإسلام:

سيدور حديثى مع حضراتكم حول العناصر الآتية:

أولا: الترغيب في فعلها والترهيب من تركها.

ثانيا: الأعذار المبيحة للتخلف عن الجمعة.

ثالثا: فضل التبكير إلى الجمعة.

رابعا: التحذير من تخطى الرقاب والكلام أثناء الخطبة.

وإذا تحدثنا عن العنصر الأول من عناصر هذا اللقاء وهو: الترغيب في فعلها والترهيب من تركها، نقول مستعينين بالله.

روى مسلم من حديث أبى هريرة ﵁ أن النبى ﷺ قال:**خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة، فيه خلق آدم عليه ﵇، وفيه أدخل الجنة، وفيه أخرج منها، ولاتقوم الساعة إلا في يوم الجمعة**ـــ.

وروى مسلم أيضا عن أبى هريرة ﵁ أن النبى ﷺ قال:**من توضأ فأحسن الوضوء، ثم أتى الجمعة فاستمع وأنصت، غفر له مابينه وبين الجمعة الأخرى وزيادة ثلاثة أيام، ومن مس الحصا فقد لغا**ـــ.

وروى الترمذى عن يزيد بن أبى مريم ﵁ أنه قال: لحقنى عبادة بن رفاعة بن رافع ﵁ وأنا أمشى إلى الجمعة، فقال: أبشر، فإن خطاك هذه في سبيل الله سمعت ابن عباس يقول: قال رسول الله ﷺ:**من اغبرت قدماه في سبيل فهما حرام على النار**ـــ.

وروى أحمد عن أبى أيوب الأنصارى قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:**من اغتسل يوم الجمعة، ومس من طيب إن كان عنده، ولبس من أحسن ثيابه، ثم خرج حتى يأتى المسجد فيركع مابدا له، ولم يؤذ أحدا، ثم أنصت حتى يصلى كان كفارة لما بينها وبين الجمعة الأخرى**ـــ.

ولقد حذر الإسلام من ترك صلاة الجمعة - خاصة - دون عذر. فإذا كانت الأحاديث قد تعددت عن رسول الله ﷺ مرغبة في الجمعة، معددة لفضائلها، رافعة لدرجة من يواظب عليها، مكفرة لذنوبه. فإن الأحاديث قد استفاضت أيضا عن الرسول ﷺ تحذر من ترك الجمعة وهجرها بدون عذر شرعى، ونذكر هنا بعض أحاديث الترهيب من تركها بدون عذر شرعى:

روى مسلم من حديث ابن مسعود ﷺ أن النبي ﷺ قال لقوم يتخلفون عن الجماعة:**لقد هممت أن آمر رجلا يصلى بالناس، ثم أحرق رجال يتخلفون عن الجمعة بيوتهم**ـــ.

وروى أبى هريرة وابن عمر ☻ أنهما سمعا النبى ﷺ يقول على أعواد منبره:**لينتهين أقوام عن ودعهم الجمعات أو ليختمن الله على قلوبهم، ثم ليكونن من الغافلين**ـــ.

وعن أبى جعد الغمرى ﷺ:**من ترك ثلاث جمع تهاونا بها طبع الله على قلبه**ـــ(١) وكان لهذا الصحابى الجليل صحبة مع النبى ﷺ.

إخوة الإسلام:

ونتحدث عن العنصر الثانى من عناصر هذا اللقاء وهو: الأعذار المبيحة لترك الجمعة.

قال العلماء: أن الأعذار المبيحة للتخلف عن الجمعة، هى نفس الأعذار المبيحة للتخلف عن الجماعة وهى:

- المرض الشديد الذي لايستطيع صاحبه أن يحضر الجمعة معه.
- الخائف من حدوث المرض أو زيادته أو تباطؤ الشفاء. فإن لم يتضرر بإتيانها محمولا أو راكبا.
- المحبوس.
- عند مدافعة الأخبثين.

---

(١) رواه أبو داود وابن ماجة.

❖ الخائف من موت رفيقه أو قريبه ولا يحضره.

❖ إن أراد أن يتخلف لتمريضه إن لم يكن عنده من يقوم به.

❖ الخائف من ضياع ماله أو تلفه.

❖ الخائف من ضرر معيشته، كأن أطلق الماء على زرع له وإن تركه فسد.

❖ عند المطر الشديد والريح والبرد.

إخوة الإيمان والإسلام:

ونتحدث مستعينين بالمولى ﷻ عن العنصر الثالث من عناصر هذا اللقاء وهو: (فضل التبكير إلى الصلاة).

روى الجماعة إلا ابن ماجه عن أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:**من اغتسل يوم الجمعة غسل الجنابة (١) ثم راح في الساعة الأولى فكأنما قرب بدنة (٢) ومن راح في الساعة الثانية فكأنما قرب بقرة. ومن راح في الساعة الثالثة فكأنما قرب كبشا أقرن (٣). ومن راح في الساعة الرابعة فكأنما قرب دجاجة. ومن راح في الساعة الخامسة فكأنما قرب بيضة. فإذا خرج الإمام، حضرت الملائكة يستمعون الذكر.**

ولقد اختلف العلماء في الساعة المذكورة. فما المراد بها؟

فمنهم من قال هى الساعة المذكورة المعروفة عند الناس، على أساس أن النهار اثنتا عشرة ساعة، يزيد وينقص، والليل كذلك.

ومنهم من قال: هو بيان مراتب التبكير من أول النهار إلى الزوال، وأنها تنقسم إلى خمسة أوقات.

ومنهم من قال: المراد بها خمس لحظات خفيفة لطيفة، أولها الزوال وآخرها قعود الخطيب على المنبر؛ لأن كلمة راح من الرواح، ولايكون الرواح إلا بعد زوال الشمس. ورد على هذا الرأى بأن العرب تطلق

---

(١) أي كغسل الجنابة في التعميم والدقة.
(٢) أي تصدق بها.
(٣) له قرون لأنه الأفضل.

الرواح على جميع الأوقات، فالمراد بالرواح مطلق الذهاب.

وقال الحافظ ابن حجر: ومجموع الروايات يدل على أن المراد بالرواح الذهاب، كما ذكرته المالكية من أن ابتداء الساعات من بعد الزوال أقرب للصواب؛ لأن الساعة في لسان الشرع وأهل اللغة جزء من الزمن كما في كتب اللغة. قال الإمام الشوكانى:ويؤيد ذلك أنه لم ينقل عن أحد من الصحابة أنه ذهب إلى الجمعة قبل طلوع الشمس أو عند انبساطها، ولو كانت الساعة المعروفة عند أهل الفلك لما ترك الصحابة الذهاب إلى الجمعة في الساعة الأولى من أول النهار أو الثانية، وهم خير القرون وأسرع الناس إلى موجبات الأجور (١).

ولقد كان الصحابة يبكرون في الحضور إلى الجمعات، ويؤيد ذلك ما رواه ابن ماجة عن علقمة ﵁ قال: إنى سمعت رسول الله ﷺ يقول:**إن الناس يجلسون يوم القيامة من الله ﷿ على قدر رواحهم إلى الجمعات الأول، ثم الثانى، ثم الثالث، ثم الرابع، وما رابع أربعة من الله ببعيد**ـــ.

عباد الله:

أما العنصر الرابع من عناصر هذا اللقاء وهو: التحذير من تخطى الرقاب يوم الجمعة وحكم الكلام أثناء الخطبة. فنقول: مستعينين بالله ﷿:

يطلب من المسلم إذا حضر إلى الصلاة يوم الجمعة ألا يتخطى رقاب الناس؛ فقد نهى النبى ﷺ عن ذلك، روى أن رجلا جاء إلى النبى ﷺ يتخطى رقاب الناس يوم الجمعة والنبى يخطب فقال:**اجلس فقد آذيت وآنيت**ـــ (٢) ومعنى آنيت: تأخرت.

ويقاس على الجمعة كل اجتماع يترتب على تخطى الرقاب فيه إيذاء الناس كاجتماع العيدين ومجالس العلم.

وبحرمة تخطى الرقاب صرح الإمام الشافعى، وهو المختار للأحاديث الصحيحة. وعده ابن القيم من الكبائر.

(١) نيل الأوطار.
(٢) رواه أحمد وأبو داود من حديث عبد الله بن بشر.

وقد استثنى من التحريم أو الكراهة (الإمام)، أو من كان بين يديه فرصة لايصل إليها إلا بالتخطى، ولم يجد غيرها، ويستأنس لهذا بحديث عقبة بن الحارث قال: (صليت وراء النبى ﷺ بالمدينة العصر ثم قام مسرعا، فتخطى رقاب الناس إلى بعض حجر نسائه، ففزع الناس من سرعته، فخرج عليهم فرأى أنهم قد عجبوا من سرعته، فقال: (ذكرت شيئا من تبر [١] كان عندنا فكرهت أن يحبسنى فأمرت بقسمته) [٢].

إخوة الإسلام

لقد اتفق الفقهاء على أن الكلام أثناء الخطبة حرام، حتى لو كان أمرا بمعروف أو نهيا عن منكر، ويدل على ذلك ما يلى:

ما رواه أحمد من حديث ابن عباس ☻ قال:**من تكلم يوم الجمعة والإمام يخطب فهو كالحمار يحمل أسفارا، والذى يقول: أنصت، لا جمعة لهــ.** أى: لا ثواب له في جمعته.

كذلك ما رواه عبد الله بن عمر ☻ أن النبى ﷺ قال:**يحضر الجمعة ثلاثة نفر. فرجل حضرها يلغو، فهو حظه منها. ورجل حضرها يدعو، فهو رجل دعا الله إن شاء أعطاه وإن شاء منعه. ورجل حضرها بإنصات وسكون ولم يتخط رقبة مسلم، ولم يؤذ أحدا، فهى كفارة إلى الجمعة التي تليها وزيادة ثلاثة أيام...ــ.**

وقد رخص بعض الفقهاء في رد السلام وتشميت العاطس، والأولى أن يجلس حيث انتهى به المجلس ولا يتكلم.

نسأل الله أن يعلمنا ما ينفعنا، وأن ينفعنا بما علمنا.

اللهم آمين.

* * *

(١) التبر هو الذهب.

(٢) رواه النسائي والبخاري.

خصائص الجمعة وبدعها

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه... وبعد:

إخوة الإسلام:

تتمة لما سبق بيانه عن يوم الجمعة ومافيه من آداب، نتحدث اليوم مستعينين بالله ﷻ عن خصائص الجمعة وبدعها.

أولا: خصائص وفضائل يوم الجمعة:

لقد انتشرت بين الناس أقوال كثيرة عن فضل يوم الجمعة، فيها الصحيح وفيها غير الصحيح، وإتماما لفائدة البحث لبيان وجه الحقيقة في هذا الموضوع نقول:

ذكر ابن القيم في (زاد المعاد) خصوصيات الجمعة، وذكرها السيوطى في (نور اللمعة). وبالموازنة بين ماقاله السيوطى وابن القيم نجد أنهما قد اتفقا في " ثماني وعشرين " خصوصية، وانفرد ابن القيم بخمس لم يذكرها السيوطى، وانفرد السيوطى بثمان وستين لم يذكرها ابن القيم، وسنختار من هذه الخصوصيات ماييسره الله لنا، ومن أراد المزيد فليرجع إلى كتابى هذين العالمين الجليلين (رحمهما الله).

❖ الخصوصية الأولى:

قراءة " الم " السجدة، و{**هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ**} في فجر الجمعة. قال ابن القيم والسيوطى: أخرج الشيخان عن أبى هريرة ﷺ قال: (كان النبى ﷺ يقرأ في صلاة الفجر يوم الجمعة " الم. تنزيل " السجدة. و{**هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ**}.

قيل: والحكمة في قراءتها الإشارة إلى مافيهما من ذكر خلق آدم وأحوال القيامة؛ لأن ذلك كان قد وقع يوم الجمعة ولكن ينبغى على الإمام الفاقه لدينه أن يتركها في بعض الصلوات لإشعار الناس بعدم فرضيتها [١].

(١) يوم الجمعة وخطبته في موكب الدعوة.

❖ الخصوصية الثانية:

الاغتسال فيه. قال ابن القيم: وهو أمر مؤكد جدا، ووجوبه أقوى من وجوب الوتر وقراءة البسملة في الصلاة. وللناس في وجوبه ثلاثة أقوال: النفى، والإثبات، والتفضيل.

وقال الحافظ في الفتح: قول أكثر المصنفين في هذه المسألة كابن خزيمة والطبرى والطحاوى وابن حبان، وكان ذلك إجماعا منهم، على أن الغسل ليس شرطا في صحة الصلاة. وهو استدلال قوى.

وقد نقل الخطابى وغيره الإجماع على أن صلاة الجمعة بدون الغسل مجزئة. وقد حكى الطبرى عن قوم أنهم قالوا بوجوبه، ولم يقولوا إنه شرط، بل هو واجب مستقل تصح الصلاة بدونه، وكأنه أصل التنظيف وإزالة الروائح الكريهة التي يتأذى بها الحاضرون من الملائكة والناس.

❖ الخصوصية الثالثة:

هى التبكير للصلاة. حيث أخرج الشيخان (البخارى ومسلم) أن رسول الله ﷺ قال:**من اغتسل يوم الجمعة غسل الجنابة ثم راح في الساعة الأولى فكأنما قرب بدنة ومن راح في الساعة الثانية فكأنما قرب بقرة. ومن راح في الساعة الثالثة فكأنما قرب كبشا أقرن. ومن راح في الساعة الرابعة فكأنما قرب دجاجة. ومن راح في الساعة الخامسة فكأنما قرب بيضة. فإذا خرج الإمام، حضرت الملائكة يستمعون الذكر**ـــ.

❖ الخصوصية الرابعة:

أن يشتغل المصلى بالصلاة والذكر والقراءة حتى يخرج الإمام فقد روى الإمام البخارى عن سلمان الفارس ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: **لا يغتسل رجل يوم الجمعة، ويتطهر ما استطاع من الطهور، ويدهن من دهنه، ويمس من طيب بيته، ثم يخرج فلا يفرق بين اثنين، ثم يصلى ماكتب، ثم ينصت إذا تكلم الإمام إلا غفر له مابينه وبين الجمعة الأخرى**ـــ.

❖ **الخصوصية الخامسة:**

الإنصات للخطبة، قال الإمام السيوطى: روى الشيخان عن أبى هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:**إذا قلت لصاحبك يوم الجمعة أنصت والإمام يخطب فقد لغوت**.

❖ **الخصوصية السادسة:**

قراءة سورة الكهف في يومها، قال السيوطى: أخرج الحاكم في مستدركه والبيهقى عن أبى سعيد الخدرى ﷺ أن النبى ﷺ قال:**من قرأ سورة الكهف يوم الجمعة أضاء له من النور مابين الجمعتين**.

❖ **الخصوصية السابعة:**

للماشى إليها بكل خطوة أجر سنة صيامها وقيامها: جاء في " الترغيب " عن أوس بن أوس الثقفى ﷺ قال سمعت رسول الله ﷺ يقول:**من غسل يوم الجمعة واغتسل، وبكر وابتكر، ومشى ولم يركب، ودنا من الإمام، فاستمع ولم يلغ، كان له بكل خطوة عمل سنة أجر صيامها وقيامها**.

إخوة الإيمان والإسلام

❖ **أما الخصوصية الثامنة:**

أن للصدقة فيه مزية عنها في سائر الأيام، والصدقة فيه بالنسبة لبقية أيام الأسبوع كالصدقة في رمضان بالنسبة لبقية الشهور.

قال ابن القيم. وشاهدت شيخ الإسلام ابن تيمية إذا خرج للجمعة يأخذ مافى البيت من خبز أو غيره، فيتصدق به في طريقه سرا، وسمعته يقول: إذا كان الله قد أمرنا بالصدقة فإنه بين يدى مناجاته تعالى أولى بالفضيلة.

❖ **الخصوصية التاسعة:**

أنه سيد الأيام، قال ابن القيم: هو خيرة الله من أيام الأسبوع، كما أن شهر رمضان خيرته من شهور العام.

وقال الإمام السيوطى: روى مسلم عن أبى هريرة ﷺ أن النبى ﷺ قال:**خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة. فيه خلق آدم، وفيه أدخل**

الجنة، وفيه أخرج منها، ولاتقوم الساعة إلا في يوم الجمعةـــ.

❖ الخصوصية العاشرة:

استحباب كثرة السلام على رسول الله في يومه وليله. روى أبو داود والحاكم وابن ماجه عن أوس بن أوس: قال رسول الله ﷺ:**إن من أفضل أيامكم يوم الجمعة، فيه خلق آدم، وفيه قبض، وفيه النفخة، وفيه الصعقة، فأكثروا من الصلاة على فيه؛ فإن صلاتكم معروضة علىـــ.** فقال رجل: يا رسول الله كيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرمت؟(١) فقال:**إنه حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياءـــ.**

إخوة الإيمان والإسلام:

هناك بدع انتشرت يوم الجمعة، نود أن نحذر المسلمين فيها، رغم أن النبى ﷺ قال:**عليكم بسنتى، وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى، عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالةـــ** (٢) ومن هذه البدع التي شاعت بين الناس في يوم الجمعة (حتى يتعلم المتعلمين) منها:

أولا: إنكار الناس على الإمام الذي لم يقرأ بآية السجدة في صلاة الصبح للجمعة، مع ظن بعضهم بزيادة سجدة خطأ أو جهل؛ إذ ليست السجدة واجبة، بل المقصود التذكير بما في سورة السجدة،{**هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ**}.

ثانيا: جلوس الداخلين إلى المسجد عندما يرون الإمام يخطب الخطبة الأولى، ثم إذا جلس وقام للخطبة الثانية قاموا بصلاة التحية خطأ. والسنة أن يصلى التحية ولو كان الخطيب يخطب؛ لحديث سليك الغطفانى الذي رواه مسلم عن جابر بن عبد الله قال: جاء سليك الغطفانى يوم الجمعة والرسول ﷺ يخطب، فجلس فقال النبى ﷺ: **ياسليك قم فاركع ركعتين، وتجوز فيها ثم قال: إذا جاء أحدكم يوم الجمعة والإمام يخطب فليركع ركعتين خفيفتين وليتجوز فيهماـــ.**

(١) أَرَمت: بليت.
(٢) رواه أبو داود عن العرباض بن ساريه.

البدعة الثالثة: صلاة الظهر بعد الجمعة بدعة وضلالة، وشرع لم يشرع.

البدعة الرابعة: العمل بذلك الحديث الضعيف جدا، وهو: " من قرأ إذا سلم الإمام من صلاة الجمعة قبل أن يثنى رجليه فاتحة الكتاب، وقل: أعوذ برب الناس، سبعا، غفر له " فلا يجوز العمل بهذا الحديث. والصحيح كثير جدا.

البدعة الخامسة: قول بعضهم: " من أكل ثوما أو بصلا ليلة الجمعة، لم يمت حتى يبتلى بتهمة باطلة ولم تظهر له براءة " بدعة مذمومة، وليس هذا الكلام أصل. ورحم الله أصحاب العقول.

البدعة السادسة: - إخوة الإسلام -: وهى من البدع الخطيرة أيضا قول الجهلة " في يوم الجمعة ساعة نحس " مع أن الوارد عن رسول الله ﷺ عكس ذلك تماما، حيث ورد أن في يوم الجمعة ساعة إجابة، يتقبل الله فيها دعوة عبده. وصدق القائل: ومن الجهل ما قتل.

ومن البدع أيضا: أن تقف امرأة على باب المسجد يوم الجمعة، لتطلب صدقة لولدها من الناس، حتى لايموت؛ لأن أولادها يموتون. وهذا الجهل ينبغى محاربته.

ومن البدع الباطلة أيضا: تسمية الجمعة الأخيرة من رمضان بالجمعة اليتيمة.

ومن بدع أهل الضلال: العمل بحديث موضوع، منسوب كذبا إلى النبى ﷺ يقال فيه:**من زار قبر والديه كل جمعة، فقرأ عندهما أو عنده يس غفر له بعدد كل آية أو حرف**.

الاعتقاد بصحة هذا الحديث الموضوع، الذي يقال فيه:**إذا كان يوم الجمعة، نادت الطير الطير، والوحوش الوحوش، والسباع السباع: السلام عليكم؛ هذا يوم الجمعة** [1].

فاللهم فقهنا في أمور ديننا

اللهم آمين.

(١) نقلا عن يوم الجمعة وخطبته في موكب الدعوة.

الفصل الثالث
آداب إسلامية

الإسلام دين السلام.
الفدائى الصبور.
الصدق طمأنينة.
آداب الاستئذان.
نحن... والإسلام.

الإسلام دين السلام

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه. وبعد:

إخوة الإسلام:

في هذه الأيام يتعرض الإسلام لمؤامرات ومحاربات شرسة، والذى تولى كبر هذه المؤامرة: أعداء الإسلام جميعا (خاصة بلاد الغرب)، وعلى وجه التحديد بعد أحداث سبتمبر من عام ألفين وواحد للميلاد على إثر الاعتداء الإرهابى على مدينة نيويورك الأمريكية.

ومن هنا اتسعت دائرة الكتابات المسمومة المعادية للإسلام والمسلمين، فامتلأت بالمغالطات وتشويه الحقائق، مما يدل على جهل شديد وتشويه متعمد لحقيقة هذا الدين الحق: دين الإسلام.

نقول لهؤلاء - وللعالم كله إن الإسلام معناه: الخضوع والإذعان والاستسلام قال تعالى:**{إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللهِ الإِسْلاَمُ}** [آل عمران: ١٩]. فالإسلام ينظر إلى البشر أجمعين باعتبارهم وحدة واحدة متساوية في الخلق لله الواحد الخالق الواحد، وباعتبارهم في ذات الوقت متعددين في الروابط والجماعات. وهذه الوحدة في الخلق مع التعددية في الجماعات... هما موطن الإشارة في الآية الكريمة:**{يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ}** [الحجرات: ١٣] ولم يكن الإسلام دين النبى ﷺ وحده، وإنما كان دين الأنبياء جميعا، دانوا به؛ لأنه من عند الله رب العالمين.

قال تعالى:**{شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ}** [الشورى: ١٣].

ويكفى أن لفظ الإسلام ذاته مشتق من السلام، والمتأمل في أحكام دين الإسلام يراه أحق العقائد والدعوات بأن يسمى دين السلام، والله هو السلام، وهو القائل**{إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللهِ الإِسْلاَمُ}**.

ولكن مانراه اليوم من شتى الهجمات الباطلة على الإسلام والمسلمين، إنما يدل على حقد دفين في وجدان وعقل الغرب على الإسلام والمسلمين، بل ويزعمون بكذبهم وبهتانهم على أن الإسلام دين التطرف والإرهاب

والتطرف - إخوة الإسلام - معناه: الوقوف عند طرف واحد من الشيء والبعد عن الوسط فيه يمينا ويسارا. فالمتطرف هو: الذي يبتعد عن الحل الوسط، ويأخذ بالحلول التي تقف عند أحد طرفى المسألة.

والإسلام هو دين الوسطية، فهو ليس مع اليمين المتطرف، ولا اليسار المتطرف، قال تعالى{**وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا**} [البقرة: ١٤٣] وقد كان النبى ﷺ ينطلق دائما من منطلق الوسطية؛ لأنها هى الأفضل في تسيير أمور الناس في الحياة.

فالإسلام لم يكره أحدا على الإسلام. وإنما قال تعالى{**لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ**} [البقرة: ٢٥٦]. وقال تعالى حاكيا عن موقف وقول نبيه{**لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ**} [الكافرون: ٦].

ومن تلك المقولات التي يتشدق بها أعداء الإسلام، وتدل على حقدهم وكراهتهم لدين الحق قولهم: إن الإسلام انتشر بحد السيف.

إن الإسلام لم ينتشر بحد السيف، ويدل على ذلك أن أكثر المسلمين على مدار التاريخ إنما دخلوه بغير قتال أبدا، دفعهم إلى ذلك ماوجدوه في الإسلام والمسلمين من فضائل وأخلاق عظيمة، ومن زعم غير ذلك فليسأل شعوب شرق آسيا.

ولكن المسلمون أمروا بقتال من وقف في وجه الإسلام، وعارض وحارب ذلك النور من أن يصل إلى الناس جميعا. فأمر المسلمون بقتال الطواغيت الذين وقفوا حجر عثرة في طريق انتشار الإسلام ووصوله إلى الناس، وكان ذلك أيضا بعدما أوذى المسلمون إيذاء شديدا، فنزل الأمر من الله:{**أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ**} [الحج: ٣٩].

إخوة الإسلام:

إذا كان القانون الدولى يبرر استخدام القوة في بعض الحالات وهى:

❖ **حق الدفاع الشرعى:**

فإذا ما اعتدى عليك أحد تستطيع أن تستخدم القوة؛ لرد هذا العدوان.

❖ **حق تقرير المصير:**

فللشعوب والأمم التي يحتل غيرها أراضيها أن تقوم بالكفاح لتقرير مصيرها، فإما أن تغدو دولة مستقلة، وإما أن تتحد مع دولة أخرى، أو تنفصل مع دولة قائمة هو ما يعرف بحق تقرير المصير. فإذا ما كانت هناك أراض محتلة فإن من حق صاحب الأرض أن يقاوم المحتل، وأن يكافح في سبيل تحرير الأرض.

فإن المسلمين كان لهم الحق (وفقا لقواعد القانون الدولى الآن) في الدفاع عن أنفسهم، وتقرير مصيرهم، وتحرير أراضيهم، ولم يكن المسلمون بادئين بالعدوان. ومن هنا أيضا تعتبر المقاومة الفلسطينية وفق القانون الدولى دفاعا عن حق مشروع وأرض محتلة [١].

إن المقصود من كلمة " إرهاب " في الإسلام: هو الردع والدفاع عن الحق. ولايقصد بكلمة إرهاب في الإسلام العدوان أو استخدام العنف المجرد ويدل على ذلك قول الله**{تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوَّ الله وَعَدُوَّكُمْ}** [الأنفال: ٦٠] نحن ننوه وننبه على ذلك؛ لأن كلمة إرهاب قد ترجمت إلى لغات عديدة بمعنى " الرعب " مما جعل الأوروبيين يلصقون هذه التهمة بالإسلام ظلما وبهتانا.

ومن العجيب أن يظهر قول الحق على ألسنة أهل الكفر، وطواغيت العالم... فقد قال الرئيس الروسى (بوتين): إن الإسلام دين عالمى يستحق دعم روسيا. وقد ساد الإسلام دول العالم جميعا.

(١) مجلة الأزهر مقال للدكتور جعفر عبد السلام.

إخوة الإيمان والإسلام:

لقد حرم الإسلام سفك الدماء بغير حق؛ إذ بين لنا القرآن الكريم، أن في تطبيق العقوبات العادلة حياة آمنة للناس.

قال تعالى{**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالأُنثَى بِالأُنثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاء إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ**} [البقرة: ١٧٨].

والمعنى: ولكم أيها المؤمنون في مشروعية القصاص من الظالم والمعتدى حياة عظيمة فيها مافيها من الأمان والسلام والرخاء والاطمئنان. فنفذوا ماشرعه الله تعالى.. فإن في هذا التنفيذ سعادتكم وصلاحكم.

قال تعالى:{**مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا**} [المائدة: ٣٢].

وفى هذه الآية أسمى ألوان الترغيب في صيانة الدماء وحفظ النفوس من العدوان عليها، حيث شبه سبحانه قتل النفس الواحدة بقتل الناس جميعا - وإحياءها بإحياء الناس جميعا.

ولقد توعد القرآن من يقتل غيره عامدا متعمدا بسوء المصير.

قال تعالى:{**وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ الله عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا**} [النساء: ٩٣].

وقال النبى ﷺ:**لزوال الدنيا جميعا أهون على الله من دم سفك بغير حق**ـــ (١) ويقول عبد الله بن عمر ☻ : رأيت رسول الله ﷺ يطوف بالكعبة يقول:**ما أطيب ريحك، وما أعظمك وما أعظم حرمتك. والذى نفس محمد بيده لحرمة المؤمن** (٢) **أعظم من حرمتك**ـــ (٣).

كما ورد في صحيح البخارى (رحمه الله) قول النبى ﷺ:**أول ما**

(١) رواه البيهقي من حديث البراء.
(٢) أي: لمنزلة المؤمن.
(٣) رواه ابن ماجة.

يقضى بين الناس يوم القيامة في الدماء ـــ.

ولذا جاء النهى من الله ﷻ:**{وَلاَ تَقْتُلُواْ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ الله إِلاَّ بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ}** [الأنعام: ١٥١].

هكذا نرى أن الإسلام حرم سفك الدماء، والتطاول على الآخرين، وبين في آيات كثيرة أن نعمة الإيمان على رأس النعم التي يجب أن يحافظ عليها الإنسان؛ حتى يعيش عيشة فيها الاستقرار والرخاء والتواصل والإخاء، وفيها شيوع الخير بين الناس.

لقد أمر الإسلام أتباعه إلى نشر السلام والأمان فيما بينهم وبين الناس جميعا فقال:**{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ ادْخُلُواْ فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلاَ تَتَّبِعُواْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ}** [البقرة: ٢٠٨].

والمعنى: يامن آمنتم بالله تعالى إيمانا حقا، اعلموا أن إيمانكم يوجب عليكم جميعا أن تكونوا متصالحين لا متعادين، متحابين لا متباغضين، كما يوجب عليكم أن تسالموا من يسالمكم، وأن تردوا بالرد المناسب على من يعتدى عليكم.

بل إن الله عز وجل من أسمائه الحسنى: السلام.

قال تعالى:**{لَهُمْ دَارُ السَّلاَمِ عِندَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ}**.

وجاءت الأحاديث النبوية موضحة معنى السلام قال رسول الله ﷺ: **المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده. والمؤمن من أمنه الناس على دمائهم وأموالهم. والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه ـــ** (١).

وكان من دعاء النبى ﷺ:**اللهم أنت السلام، ومنك السلام، فحينا ربنا بالسلام ـــ** (٢).

إخوة الإسلام والإيمان:

لقد جاء الدين الإسلامى بمهام كثيرة منها:

١- إعلان الألفة بين الشعوب.

(١) متفق عليه من حديث أبي موسى.
(٢) العقيدة والأخلاق.

قال تعالى:{**وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُواْ وَاذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىَ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا**} [آل عمران: ١٠٣].

٢- دعوته إلى وحدة العقيدة الدينية من جهة أن أصل الأديان واحد.

قال تعالى:{**إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللهِ الإِسْلاَمُ**} [آل عمران: ١٩].

٣- نشرة المبادئ الإنسانية.

وذلك حينما شكا يهودى على بن أبى طالب إلى الفاروق عمر بن الخطاب فقال الفاروق لعلي اجلس يا أبا الحسن، فظهرت دلائل الغضب على وجهه، فلاحظ ذلك عمر فقال له: أكرهت يا على أن تجلس أمام خصمك؟ قال: لا. ولكنك ناديتنى بكنيتى فرفعتنى عليه.

٤- دعوته لتطهير القلوب.

قال تعالى:{**إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللهِ أَتْقَاكُمْ**} [الحجرات: ١٣] وقال:{**إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ**} [ق: ٣٧].

٥- دعوته إلى تأسيس دولة الحق في الأرض.

قال تعالى:{**إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا**} [البقرة: ١١٩].

٦- دعوته إلى الأخذ بالأحسن من كل شيء (١).

قال تعالى:{**وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ للهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ**} [النساء: ١٢٥].

إخوة الإسلام:

إن نعمة الأمان والإسلام من أجل النعم وأعظمها، وماحافظ عليها قوم إلا وعمهم الخير والبر والرخاء والاستقرار. فالسلام من الإسلام، والأمان من الإيمان. وقد أمرتنا شريعة الإسلام بأن نقول للناس حسنا، وبأن نعمل بكل وسيلة على أن نكون من الذين يستجيبون لقول الرسول ﷺ حيث قال:**أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم.. أفشوا السلام**

(١) مهمة الإسلام في العالم.

بينكمـــ [١] كما قال أيضا:**من أصبح آمنا في سربه، معافى في بدنه عنده قوت يومه، فقد حيزت له الدنيا بحذافيرهاـــ.**

من خلال ماسبق يتضح لنا أن الإسلام دين الأنبياء جميعا، من لدن آدم عليه السلام إلى محمد ﷺ، وأنه دين عالمى، يدعو إلى الأمن والأمان، ويدعو إلى السلم والسلام، كما قال ربنا على لسان يعقوب عليه السلام؛ وهو يوصي إلى أولاده:{**قُولُواْ آمَنَّا بِاللهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ وَالأسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ * فَإِنْ آمَنُواْ بِمِثْلِ مَا آمَنتُم بِهِ فَقَدِ اهْتَدَواْ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ * صِبْغَةَ اللهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدونَ**} [البقرة: ١٣٨].

نسأل الله أن ينصر الإسلام والمسلمين.

اللهم آمين.

* * *

(١) رواه مسلم من حديث أبي هريرة.

الفدائى الصبور

الحمد لله القائل:{**مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ**} [الفتح: ٢٩] ونشهد أن سيدنا محمدًا رسول الله القائل في الحديث الشريف:**أصحابى كالنجوم فبأيهم اقتديتم اهتديتم** (١).

وبعد:

إخوة الإسلام

إذا تغلغل الإيمان في أعماق قلب المؤمن، وملأ عليه كيانه كله، كان أقوى في ثباته وشموخه من الجبل الأشم، لايزعزعه عن معتقده إرهاب عتل جبار، ولا إغراء خبيث محتال؛ لأن الإيمان طمأنينة لا يجامعها خوف من أحد إلا الله. ومن المعلوم لدينا أن أصحاب النبى ﷺ كانوا من أكمل الناس إيمانا وأصدقهم يقينا، ولاسيما الذين أوتوا حظا وافرا من العلم والبطولة، ولازموا النبى الكريم ﷺ.

أما في زماننا هذا فقد استوقفنى شاب مسلم اسمه عبد الله، يؤذن للصلاة وتقام الصلاة بجواره، وهو غير عابئ بهذا النداء، وكأنه موجه إلى غيره من أصحاب الديانات الأخرى، وتحولت ببصرى فإذا بشاب آخر اسمه عبد الله يهز رأسه طربا، ويهتز لحمه وعظمه على أنغام مغن عربى!! وتقرأ المجلات فإذا ممن اسمه عبد الله وهوايته الرقص والموسيقى، وإذا ماشرقت أو غربت.. وتأملت فإذا الأمر أعظم من ذلك؟

وعلى العكس من ذلك تماما.. عندها انطلقت أستحث الخطا، وأسابق الركب عبر أربعة عشر قرنا؛ لأرى حال من كان اسمه عبد الله فعبادلة الإسلام كثير! فإذا أمة من الناس رفعوا للأمة رأسا، وأعلوا للدين منارا، ولايزال التاريخ يردد جهادهم وصبرهم، على صغر سن فيهم، وحداثة دين منهم (٢).

لكن نتوقف مع شخص مرت به أحداث خطيرة، ومواقف عظيمة،

(١) رواه أبي ابن عبد البر بسند ضعيف.
(٢) رسالة ورقية (من عبد الله بن حذافة إلى شباب المسلمين).

وقابل رؤساء أعظم دول عصره. استقبله كسرى ملك الفرس، وقيصر عظيم الروم، وهذا الصحابى الذي لاتهمه (البروتوكولات ولا التقاليد الرسمية)، لايعرف إلا شمسا محرقة، وسماء صافية، وخباء في ظل شجرة، يحوى كسرة خبز.. إنه صحابى من صحابة رسول الله ﷺ. إنه عبد الله بن حذافة بن قيس السهمى، أحد السابقين إلى الإسلام، هاجر إلى الحبشة فرارا من أذى المشركين، هو وأخواه (قيس، وخنيس) ثم عاد إلى مكة وهاجر إلى المدينة، وشهد غزوة بدر وغيرها.

إخوة الإسلام:

عرض على هذا الصحابى كل سبل الإغراءات إلا أنه كان له موقفه، منها:

- فتحت له الكنوز والخزائن.
- ألقت إليه الحضارة في حين بركابها، لكنه أبى أن يمتطيها، وأعرض عن زينتها.
- قاسمه كسرى ملكه الواسع، وغناه الفحش، لكنه رفض، قدم له ابنته الفاتنة، لكنه أشاح بوجهه وأبى!.. فبطلنا لايرضى بدينه بديلا، ولو اجتمعت له الدنيا بأسرها.

ومع إقامة الدولة الإسلامية في المدينة، ولرغبة المسلمين الأول في إخراج الناس من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد (وهى رغبة أهل الإيمان الصادقين جميعا)، ولتبليغ هذا الدين إلى أقصى الأرض، وفى السنة التاسعة عشرة للهجرة، وفى عهد عمر بن الخطاب ﷺ، بعث عمر جيشا لحرب الروم، وكان فيه وجوه الأمة ورجالها. وقد أفزع قيصر عظيم الروم هذا الزحف القادم من صحراء جزيرة العرب القاحلة ظن واستولى عليه الرعب والهلع. فأمر رجاله إذا ظفروا بأسير من أسرى المسلمين أن يأتوا به إليه ليرى حالهم، ويسمع من أفواههم. وكان ذلك الأسير الذي أخذ إلى ملك الروم هو: عبد الله بن حذافة.

ولم يكن قيصر إلا رجلا داهية وسياسيا محنكا، يعرف مواطن الضعف عند الرجال، ويعلم محبة النفوس للدنيا. تأمل قيصر في طلعة

عبد الله بن حذافة وصلابة عوده وقوة شكيمته، فبادره قائلا: إنى أعرض عليك أمرا، أعرض عليك أن تتنصر فإن فعلت أخليت سبيلك وأكرمت مثواك. فحبس أياما وأمر بأن يوضع له من لحم الخنزير طعاما ومن الخمر شرابا، ووكل من يراقبه؛ لينظر ماذا يفعل في هذا الطعام وهذا الشراب (ولعله كان يعلم أن الخمر والخنزير محرمات في الإسلام، فأراد أن يحرجه ويحمله قهرا على تناولهما). فمكث عبد الله ثلاثة أيام لا يأكل ولا يشرب حتى نحل جسمه والتوى عنقه، فسألوه عن السبب في امتناعه عن تناول لحم الخنزير والخمر، فقال: إن الله أباحهما للمضطر، ولكنى أخاف إن تناولتهما أن تشمتوا في المسلمين.

فأخرجه الملك من حبسه وأعاد عليه عرضا مغريا آخر، لكن القلوب تختلف، والرجال تتباين. وكان الرد الفورى والحازم ممن عمر الإيمان قلبه: هيهات هيهات، إن الموت لأحب إلى مما تدعونى إليه. تعجب قيصر، وأعاد الكرة مرة أخرى بعرض آخر يسيل له لعاب الكثير. قال له: إنى لأرى فيك صفات الرجل الشهم العاقل. فأجبنى إلى ما أعرضه عليك، فإن أجبتنى أشركتك في ملكى، وقاسمتك سلطانى تعال أيها العربى الذي أحرقت الشمس وجهه - أقاسمك مملكة الروم العظيمة، وأزوجك ابنة سيد الروم الجميلة.. عروض متتالية لرجل فقير مسكين رث الثياب، مجهد الخطوات، لايملك حفنة من الأرض، مقيد بالسلاسل! فماذا كان جوابه في تلك اللحظات الفارقة من حياته؟ قال عبد الله بن حذافة ﵁، بثقة المؤمن بربه، الراغب فيما عنده: والله لو أعطيتنى جميع ماتملك، وجميع ماملكته العرب على أن أرجع عن دين محمد طرفة عين مافعلت! نعم.. ليس ملكك فحسب، وليس تنصرا مستمرا، بل رجوع طرفة عين مافعلت.

إخوة الإسلام:

رأى قيصر أن هذا المؤمن لاتلين له قناة، ولن تنفع معه وسائل الإغراء، وطرق الترغيب. فهب واقفا وهو يصرخ متهددا متوعدا: إذا أقتلك! قال له ذلك والجلاد على رأس عبد الله والسيف مجرد من غمده.. وانتظر قيصر الجواب من عبد الله فإذا به يأتى كالسهم محمل بالإيمان والثبات: افعل مابدا لك. افعل ما بدا لك فأمر به فصلب ليرمى بالسهام

وقال لقناصه: ارموه قريبا من يديه، وهو يعرض عليه التنصر، ولكن عبد الله والسهام تتخطفه أبى! فقال: ارموه قريبا من رجليه، وهو يعرض عليه مفارقة دينه فأبى فدعا بِقدْر عظيم فصب فيه الزيت، ورفعه على النار، وارتفع صوته، وعبد الله ينظر، ثم أتى بأسير من أسرى المسلمين، فأمر به أن يلقى فيها، فألقى أمام عين عبد الله.. فإذا لحمه يتفتت وينسلخ ويظهر عظمه.

عند هذا المنظر الرهيب، والموقف العصيب التفت قيصر إلى عبد الله بن حذافة، ودعاه إلى النصرانية، والأحداث متسارعة، والقدر يغلى. لكن عبد الله كان أشد إباء لها من قبل، فلم تلن له قناة، لم تفت منه عضد! زاد ضيق قيصر.. وقال: ماهذا الرجل الذي أمامى، أعرض عليه ملكى وابنتى فيرفض، وأعرض بين يديه النار والقدر تغلى زيتا فيأبى.

عندها أمر رجاله وقد تطاير الشرر من عينيه: هيا ألقوا به مثل صاحبيه! حمل عبد الله على عجل، وارتفعت الأيدى، لتلقى به في القدر. فأبصر أحد رجال قيصر منه دمعة انحدرت... فقال لقيصر فرحا بالانتصار: لقد بكى! وظن أنه قد جزع مما يرى من الأهوال والشدائد، ورضى بالعروض المقدمة إليه. فقال قيصر: ردوه على. فلما ردوه إليه، ومثل أمامه، عرض عليه النصرانية فرفضها. فقال له متعجبا: ويحك، ماذا أبكاك؟ قال عبد الله: أبكانى أنى قلت في نفسى: تلقى الآن في هذه القدر فتذهب نفسك، وقد كنت أشتهى أن يكون لى بعدد ما في جسدى من شعر أنفس فتلقى كلها في القدر في سبيل الله!! فتعجب الطاغية الظالم، وقال: هل لك أن تقبل رأسى لأطلق سراحك؟ فقال عبد الله وهو يرى أُمة من المسلمين في الأسر، وعن جميع أسارى المسلمين كلهم؟ وكان في اعتقاد قيصر أن عبد الله سيمتحق ويأبى، ولكنه رجل تعلم من الإسلام أنه إذا فتح له باب خير ولجه قبل أن يغلق دونه، وأن تقبيل رأس الملك لا يقدم ولا يؤخر، وأنها لفرصة سانحة للبصق عليها في صورة تقبيل، وهى فرصة أيضا ليعرض عليه مطالبه التي لاتغيب عن ذهنه أبدا - وهى تخليص أسرى المسلمين من أيديهم. لقد فكر ودبر ودارت هذه الأهداف في ذهنه وفى رأسه فقال: نعم أقبل رأسك - أيها الملك - على أن

ترد جميع الأسرى إلينا. فقال: نعم، أفعل. فقبل رأسه، فصدقه الملك فيما وعد به، وأطلق الأسرى وأجازهم بأموال كثيرة [(١)] وكأن هذا الملك قد أيقن بصحة هذا الدين، وصدق معتنقيه فأسلم أو كاد يسلم، لأن إطلاق الأسرى، وتزويدهم بالمال الكثير يوحى بذلك، والله أعلم.

إخوة الإسلام:

ولما قدم عبد الله على عمر ☻ ومعه نحو ثلاثمائة أسير، وعرف الخبر منه ومن غيره - فرح فرحا شديدا، وقال: حق على كل مسلم أن يقبل رأس ابن حذافة، وأنا أبدأ بذلك، فقام فقبل رأسه. ونحن كمسلمين الآن نقبل رأس ابن حذافة، إن لم يكن ذلك بالحس فبالمعنى. وتابع عبد الله جهاده في فتح بلاد الروم فاشترك مع عمرو بن العاص في فتح مصر، وولاه عمر مدينة الإسكندرية، فأحسن إلى أهلها، وحكم بينهم بحكم الله العادل حينا من الزمان، ثم وافته المنية في عصر عثمان ﷺ ودفن في مصر.

ياعبد الله.. هذا الزمن

دعنا نقبل رأسك، وانطلق إلى المسجد مصليا.. دعنا نقبل رأسك وكن ثابت الإيمان، قوى الرسوخ والبنيان! ياعبد الله دعنا نقبل رأسك وفك أسرك من رق الشهوات، ومواطن الريب، دعنا نقبل رأسك مرات ومرات. ولاتكن إمعة يسيرك الأعداء حيث شاؤوا وهو ما نراه في مظهرك ومخبرك.

وصدق الله العظيم حيث قال:{**مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا**} [الأحزاب: ٢٣].

فهل آن الأوان أن نتربى مثل هؤلاء الرجال، ونتخرج من مدرسة سيد الأنام. فهل آن الأوان أن نتشبه بهؤلاء العظام.

تشبه بالرجال وإن لم تكن منهم ::: فإن التشبه بالرجال فلاح

نسأل الله أن يجمعنا مع نبينا وصحابته الكرام. اللهم آمين.

(١) رجال أحبهم الرسول د/ محمد بكر إسماعيل.

الصدق طمأنينة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، و بعد:

إخوة الإسلام:

قال تعالى:{**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللهَ وَكُونُواْ مَعَ الصَّادِقِينَ**} [التوبة: ١١٩]. ونقول مستعينين بالله ﷻ إذا كان الفرح حالة تعترى النفس، فإن الإنسان بطبيعته لايفرح إلا إذا كان عنده استقرار نفسى، والاستقرار النفسى يترجم أعمال الإنسان، في صدقه قولا وعملا، وفى معاملته مع الناس. ومن هنا فإن كلمة الصدق من الكلمات التي تطرق السمع، فيرتاح لها القلب، وتنشرح بها الأنفس، وتهفو إليها المشاعر؛ لأنها كلمة تدل في أصلها اللغوى على القوة والثبات. إذ إن معنى الصدق هو: مطابقة الخبر للواقع. أى ماينطق به اللسان لما هو مستكين في القلب، ولذلك يقول ربنا في كتابه:{**وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ**} [الأحزاب: ٣٥]. ثناء مطلق على جنس الصادقين.

ولقد قسم الإمام القسطلانى في (إرشاد السارى) الصدق إلى ستة أقسام؛ لأنها كلمة واسعة المدلول والمعنى.

* صدق اللسان. * صدق النية.
* صدق العزم. * صدق الوفاء بالعزم.
* الصدق في الأعمال. * الصدق في المقامات.

وفى الصدق فضائل كثيرة نذكر منها:

وأن الصدق صفة من صفات الله ﷻ، وهذا يدل على سمو مكانتها، وعلو شأنها. قال تعالى:{**وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللهِ قِيلاً**} [النساء: ١٢٢] وقال:{**وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللهِ حَدِيثًا**} [النساء: ٨٧] أى أنه: لا أحد أصدق في الحديث وفى القول من الله ﷻ.

والصدق صفة من صفات رسول الله ﷺ. قال تعالى:{**وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللهُ وَرَسُولُهُ وَمَا**

زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا} [الأحزاب: ٢٢].

وهى كذلك [١] صفة من صفات الرسل جميعا كما قال تعالى:**{وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ * قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَن بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ}** [يس: ٥٢].

إخوة الإيمان والإسلام:

فلقد قرر كل ذى عقل سليم أن على رأس الصفات الواجبة في حق الرسل جميعا صفة الصدق. ولقد كان رسول الله ﷺ حتى قبل بعثته يلقب بالصادق الأمين. فلما بعثه الله تعالى رحمة للعالمين، ازداد تمسكا بهذه الفضيلة، وشهد له أعداؤه بذلك، ويدل على ذلك أن أبا سفيان (وكان ما زال كافرا)، عندما سأله هرقل ملك الروم أسئلة معينة عن الرسول ﷺ وكان منها: بماذا يأمركم هذا النبى؟ فقال أبو سفيان: يأمرنا بعبادة الله وبالصلاة والصدق، فقال له: وهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ماقال؟ فقال أبو سفيان: لا. فرد عليه هرقل بقوله: ما كان ليترك الكذب على الناس ويكذب على رب الناس!! يقول عبد الله بن الحمساء: بايعت رسول الله ﷺ ببيع قبل أن يبعث، فبقيت له بقية، فوعدته أن آتيه بها في مكانه! فقال: (يافتى لقد شققت علي! أنا هنا منذ ثلاث أنتظرك) [٢].

ويقول عبد الله بن عمر ☻ : حفظت من رسول الله ﷺ قوله:**دع ما يريبك إلى ما لا يريبك، فإن الصدق طمأنينة** [٣].

وبغض النبى الكريم في الكذب، وجعله من صفات المنافقين، فقال:**آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، إذا وعد أخلف، وإذا أؤتمن خان** [٤].

ولقد أمرنا الله ﷻ بالصدق، ومدح الصادقين من عباده الصالحين، في قرآن يتلى إلى يوم الدين، فقال:**{وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا}** [مريم: ٤١]،**{وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا}** [مريم: ٥٦].

---

(١) العقيدة والأخلاق.
(٢) خلق المسلم.
(٣) رواه الترمذي عن علي بن أبي طالب.
(٤) رواه البخاري ومسلم.

عباد الله:

إن الصدق منهج تربوى إسلامى. حيث أمرت شريعة الإسلام أتباعها أن يغرسوا فضيلة الصدق في أولادهم منذ الصغر؛ لأن من شب على شيء شاب عليه، لأن من تعود الفضائل في صغره، سار عليه في كبره.

روى أبو داود في سننه عن عبد الله بن عامر ﷺ قال: دعتنى أمى يوما، ورسول الله ﷺ قاعد في بيتنا، فقالت لى: ها تعال أعطك. فقال لها النبى ﷺ: **يا أم عبد الله، ما أردت أن تعطيه؟ـــ** قالت: يا رسول الله، أردت أن أعطيه تمرا. فقال لها:**أما إنك لو لم تعطه لكتبت عليك كذبةـــ**.

وهكذا يلفت النبى ﷺ أنظار الآباء والأمهات إلى وجوب غرس فضيلة الصدق في قلوب أولادهم منذ الصغر، وأن يكونوا هم قدوة طيبة في التزام الصدق أمام أبنائهم الصغار. ويؤيد هذا أيضا ما رواه الإمام أحمد في مسنده، عن أبى هريرة ﷺ، أن النبى ﷺ قال:**من قال لصبى تعال، هاك. أى سأعطيك شيئا ثم لم يعطه فهى كذبةـــ**.

كذلك روى مسلم عن أسماء بنت يزيد ♥ أنها قالت: يا رسول الله، إن قالت إحدانا لشيء تشتهيه لا أشتهيه. أيعد ذلك كذب؟ فقال:**إن الكذب يكتب كذبا حتى تكتب كذيبةـــ**.

وروى في الصحيحين عن ابن مسعود ﷺ، عن النبى ﷺ أنه قال:**إن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، وإن الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقا، وإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذاباـــ**.

إخوة الإسلام:

إن للصدق ثمرات طيبة يجتنيها الصادقون منها:

* راحة الضمير وطمأنينة النفس.

قال النبى ﷺ:**الصدق طمأنينةـــ** (١).

* الفوز بمنزلة الشهداء.

(١) سنن الترمذي

قال النبى ﷺ:**من سأل الله الشهادة بصدق بلغه الله منازل الشهداء، وإن مات على فراشه**ـــ [(١)].

* البركة في الكسب وزيادة الخير.

قال النبى ﷺ:**البيعان بالخيار ما لم يتفرقا، فإن صدقا وبينا بورك لهما في بيعهما، وإن كتما وكذبا محقت بركة بيعهما**ـــ [(٢)].

* النجاة من المكروه.

قال النبى ﷺ:**تحروا الصدق وإن رأيتم الهلكة فيه، فإن فيه نجاة**ـــ [(٣)].

وعلى هذا فإن الصدق كله منافع، وكله محامد، تجعل الإنسان في أعلى الدرجات، ويبعد عن الهبوط إلى الدركات.

ولنضرب أمثلة في الصدق، تكون نبراسا للسالكين، ونموذجا للصالحين، لننظر عاقبة الصدق وثمراته الزكية.

خطب الحجاج بن يوسف الثقفى يوما فأطال في خطبته، فقام رجل من مجلسه (أى من المسجد) وقال: الصلاة فإن الوقت لا ينتظرك، والرب لايعذرك. فأمر الحجاج بحبس هذا الرجل. فجاء قوم هذا الرجل يستأذنوا لكى يصفح عنه. فقال الحجاج: أصفح عنه بشرط. أن يقر على نفسه بالجنون. فحينما جاؤوا بهذا الرجل وقالوا له ما قال الحجاج. فقال الرجل: كيف أجحد نعمة قد أنعم الله على بها وهى (العقل)، وادعى صفة قد أزالها الله عنى وهى الجنون. فأعجب الحجاج بصدق هذا الرجل وجرأته في الحق، وصفح عنه.

وروى أن الإمام البخارى حينما كان طالب علم، ذهب لرجل يأخذ عنه حديثا من أحاديث النبى ﷺ فحينما سأل البخارى عن هذا الرجل، قالوا له: أنه في مكان كذا وكذا. فذهب البخارى إليه، فوجده في مكان

---

(١) رواه مسلم من حديث سهل بن حنيف.
(٢) في الصحيحين من حديث حكيم بن حزام.
(٣) رواه ابن أبي الدنيا.

فسيح، ولكنه حينما وصل إليه، وجد أن ناقة الرجل قد ضلت منه، وتركته وأخذت تجرى، وأصبحت بعيدة عنه. فما كان من هذا الرجل إلا أن أخذ طرف ثوبه، وأخذ يخيل على الناقة أن معه طعاما لها (وهو لم يكن معه حينئذ)، ولما خيل إلى الناقة بذلك جاءت الناقة واقتربت منه، فأمسك بلجامها، والإمام البخارى ينظر إلى هذا الموقف من بعيد. فَهَمَّ البخارى حينئذ بالانصراف، فقال له صاحب الناقة: ألم تأت من أجل شيء؟ قال: نعم، جئت لآخذ منك حديثا عن رسول الله ﷺ. فقال الرجل: ولم هممت بالانصراف؟. فقال له البخارى؟ هل كان معك طعام حينما خيلت للناقة؟ فقال له الرجل: لا، ولكنى فعلت ذلك من أجل أن أمسك بلجامها، وهاهى بين يدى. فقال له البخارى: طالما أنك كذبت على الناقة فمن السهل ألا تكون صادقا مع الله، وتكذب على رسول الله ﷺ وتركه البخارى ومشى. ومن هذا الموقف يظهر حرص الإمام البخارى على تحرى الصدق في كل حديث يأخذه. بل وورد أن البخارى (رحمه الله) كان يتوضأ ويصلى ركعتين قبل أن يكتب أى حديث.

وهكذا يتضح لكل إنسان فضيلة الصدق وأثره في حياة الفرد والمجتمع.

نسأل الله أن يجعلنا من الصادقين، وأن يجمعنا مع النبيين والصديقين.

اللهم آمين.

* * *

آداب الاستئذان

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، ونشهد أن لا إله إلا الله، ونشهد أن محمدا رسول الله.. وبعد:

إخوة الإسلام:

عندما يكون أحدنا باب غرفته مفتوحا، سواء كانت إقامته في عمارة أو كوخ، ثم يدخل شخص عليه فجأة دون استئذان، فهذا موقف يدفع الشخص منا إلى الغضب والثورة.. لماذا؟ لأن هذا الدخيل دون استئذان قد انتهك حرمة البيت، ولم يرع قدسية المنزل، ولأنه أشبه باللصوص، الذين يتسللون إلى الديار في غفلة من أهلها جاعلا كل البيوت بيوته.

ولما كانت تلك الجريمة جريمة خلقية واجتماعية، فقد شدد الله عز وجل النكير على من يرتكبون هذا الفعل الخطير؛ لأنه ينافى آداب الإسلام وتعاليمه.

أخرج الفريابى وابن جرير عن عدى بن ثابت قال: جاءت امرأة من الأنصار، فقالت يا رسول الله، إنى أكون في بيتي على حال لا أحب أن يراني عليها أحد وإنه لا يزال يدخل عليّ رجل من أهلي وأنا على تلك الحال فماذا أصنع؟ فنزل قوله تعالى:{**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ * فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ والله بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ**} [النور: ٢٧، ٢٨].

فقال أبو بكر: يا رسول الله، فكيف بتجار قريش الذين يختلفون بين مكة والمدينة والشام، ولهم بيوت معلومة على الطريق، فكيف يستأذنون ويسلمون وليس فيها سكان؟ فنزل قوله تعالى:{**لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَّكُمْ والله يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ**} [النور: ٢٩].

ونتحدث - إخوة الإسلام - عن معانى تلك الآيات السابقة فنقول وبالله

التوفيق: لما حذر الله تعالى من قذف المحصنات، وشدد العقاب فيه، وكان طريق هذا الاتهام مخالطة الرجال للنساء، ودخولهم عليهن في أوقات الخلوات، أرشد تعالى إلى الآداب الشرعية في دخول البيت، فأمر بالاستئذان قبل الدخول وبالتسليم بعده. قال تعالى:{**حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا**} أى: لاتدخلوا بيوت الغير حتى تستأذنوا وتسلموا على أهل المنزل، ويكون هناك أنس وترحاب من أهل البيت للضيف.

وقوله تعالى:{**ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ**}. أى ذلك الاستئذان والتسليم خير لكم من الدخول بغتة؛ لتتعظوا وتعملوا بموجب هذه الآداب الرشيدة.

ويقول الإمام القرطبى: المعنى أن الاستئذان والتسليم خير لكم من الهجوم بغير إذن، ومن الدخول على الناس، أو من تحية الجاهلية. فقد كان الرجل منهم إذا دخل بيتا غير بيته قال: حييتم صباحا أو حييتم مساء ودخل، فربما أصاب الرجل مع امرأته في لحاف واحد، وعن عطاء بن يسار أن رجلا قال للنبى ﷺ: أأستأذن على أمى؟ قال:**نعم**ــ قال: ليس لها خادم غيرى، أأستأذن عليها كلما دخلت؟ قال:**أتحب أن تراها عريانة؟**ــ قال: لا، قال:**فاستأذن عليها**ــ.

ومعنى قوله تعالى:{**فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ**} أى: فإن لم تجدوا في البيوت أحدا يأذن لكم بالدخول إليها، وهل الولد الصغير والمرأة الأرملة والبنت والمرأة التي غاب عنها زوجها، ممن يأذنون للناس من أجل دخول البيت، حتى يقع الإنسان في دائرة الحرمة والشبهة، ويكون ثالثهما الشيطان.{**فَلَا تَدْخُلُوهَا**} [النور: ٢٩]، حتى يؤذن لكم من ربة البيت، أو ممن له أهلية التصرف، أو بوجود رب البيت.

وينبغى أن يستأذن ثلاث مرات، فإن أذن له وإلا انصرف.

وثبت في الصحيحين أن أبا موسى حين استأذن على عمر ثلاثا فلم يؤذن له انصرف. ثم قال عمر: ألم أسمع صوت عبد الله بن قيس يستأذن؟ ائذنوا له. فطلبوه فوجدوه قد ذهب. فلما جاء بعد ذلك قال: ما أرجعك؟ قال: إنى استأذنت ثلاثا فلم يؤذن لى، وإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول:**إن استأذن أحدكم ثلاثا فلم يؤذن له فلينصرف**ــ فقال عمر: لتأتينى على

هذا ببينة، وإلا أوجعتك ضربا. فذهب إلى ملأ من الأنصار فذكر لهم ماقال عمر. فقالوا: لايشهد لك إلا أصغرنا. فقام معه أبو سعيد الخدرى، فأخبر عمر بذلك، فقال: ألهانى عنه الصفق بالأسواق.

وفى الصحيحين عن رسول الله ﷺ أنه قال:**لو أن امرأ اطلع عليك بغير إذن فحذفته بحصاه ففقأت عينه، ما كان عليك من جناح**.

وقد كان عمر بن الخطاب يستأذن على النبى ﷺ قائلا:**السلام على رسول الله، السلام على رسول الله، أيدخل عمر**.

أما قوله تعالى:{**حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا**} المعنى: وإن لم يؤذن لكم وطلب منكم الرجوع فارجعوا ولا تدخلوا. فالرجوع أطهر وأكرم لنفوسكم، وهو خير لكم من اللجاج والانتظار على الأبواب.

*** على المستأذن بعض الآداب منها:**

١- التصريح باسمه: فعن جابر بن عبد الله قال: أتيت النبى ﷺ في دين كان لى على أبى، فدفعت الباب فقال:**من ذا بالباب** فقلت: أنا. فقال:**أنا**، كأنه كرهها. وذلك لما فيها من تعظيم النفس، وعدم الدلالة على المقصود.

٢- أن ينادى ثلاثا: فلا يكثر من دق الجرس، أو طرق الباب بشدة؛ لما في ذلك من أذى لأهل البيت.

٣- عدم النظر من صير الباب: فيقف الإنسان على يمين الباب أو على شماله؛ لعدم النظر في قعر الباب يقول النبى ﷺ:**لو أن امرًأ اطلع عليك بغير إذن فحذفته بحصاه ففقأت عينه، ما كان عليك من جناح**. ولذلك قيل: من نظر من صير الباب فقد دمر. وقوله تعالى:{**والله بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ**}. أى: هو عالم بالخفايا والنوايا بجميع أعمالكم فيجازيكم عليها. قال القرطبى: وفيه توعد لأهل التجسس على البيوت، ثم إنه تعالى لما ذكر حكم الدور المسكونة، ذكر بعده حكم الدور غير المسكونة.

ولقد حرم الله الهجوم على البيوت: إذ تكلم عمر مع رسول الله ﷺ قائلا: يا رسول الله، يدخل عليك البر والفاجر، فلو أمرت أمهات المؤمنين

بالحجاب فنزل قوله تعالى صيانة لهن من التهجم دون استئذان:{**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ**} [الأحزاب: ٥٣].

وذات مرة كان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ يتفقد أحوال المسلمين في ليلة من الليالى، فسمع من داخل أحد المنازل صوت سكير يعقر الخمر، فتسور الجدار ودخل على من في الدار، وواجهه بجريمته، وضبطه والكأس بيده، وأراد عمر أن يقيم عليه الحد، فإذا به سكير خطير. أراد عمر أن يحاكمه على خطأ واحد، فحاكمه هذا السكير على ثلاثة أخطاء. قال السكير: إن الله تعالى يقول:{**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا**}، وأنت لم تستأذن ولم تسلم. ويقول تعالى:{**وَأْتُواْ الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا**}، وأنت لم تأت البيت من بابه، ولكنك تسورت الجدار. ويقول تعالى:{**وَلَا تَجَسَّسُوا**} وأنت تجسست على. فأنا أناشدك العفو يا أمير المؤمنين. فعفا عنه عمر؛ مراعاة لمبدأ قانونى معروف وهو أن القاضى لا يحكم بعمله، بل لابد من شهادة الشهود.

وقوله تعالى:{**لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَّكُمْ والله يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ**} أى: ليس عليكم ذنب إذا دخلتم بيوتا بغير استئذان. لاتختص بسكنى أحد كالفنادق والحدائق والأماكن العامة وغيرها.{**فِيهَا مَتَاعٌ لَّكُمْ**} أى: فيها منفعة لكم، أو حاجة من الحاجات كالاستظلال من الحر وإيواء الأمتعة والرحال.

وقوله تعالى:{**والله يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ**} أى: يعلم ماتظهرون وماتسرون في نفوسكم، فيجازيكم عليه. وهذا وعيد لمن يدخل مدخلا لفساد أو للاطلاع على العورات.

ثانيا: الاستئذان الداخلى وآدابه

إخوة الإيمان والإسلام:

يقول المولى ﷻ:{**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِن قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ**

ثِيَابَكُم مِّنَ الظَّهِيرَةِ وَمِن بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَّكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَّافُونَ عَلَيْكُم بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ الله لَكُمُ الْآيَاتِ والله عَلِيمٌ حَكِيمٌ} [النور: ٥٨].

إن ما سبق بيانه - إخوة الإسلام - هو الاستئذان الخارجى أو استئذان الأجانب. أما في هذه الآية فهو الاستئذان الداخلى، أى استئذان الأقارب بعضهم على بعض.

وقوله تعالى:{**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنكُمُ**} أى: ليستأذنكم في الدخول عليكم العبيد والإماء الذين تملكوهم ملك اليمين.

{**وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنكُمْ**} أى: الأطفال الذين الذين لم يبلغوا مبلغ الرجال الأحرار ليستأذنوا أيضا (ثلاث مرات) أى في ثلاثة أوقات:

أولا:{**قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ**} أى: في الليل وقت نومكم وخلودكم إلى الراحة.

ثانيا:{**وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ الظَّهِيرَةِ**} أى: وقت الظهر حين تخلعون ثيابكم للقيلولة.

ثالثا:{**وَمِن بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ**}. أى: ووقت إرادتكم النوم واستعدادكم له فهذه ثلاثة أوقات يقل فيها تستركم، العورات فيها بادية والتكشف فيها غالب. فعلموا عبيدكم وخدمكم وصبيانكم ألا يدخلوا عليكم في هذه الأوقات إلا بعد الاستئذان.

وقوله تعالى:{**لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ**} أى: ليس عليكم ولاعلى المماليك والصبيان حرج في الدخول عليكم بغير استئذان بعد هذه الأوقات الثلاثة.

وقوله{**طَوَّافُونَ عَلَيْكُم**} أى: لأنهم خدمكم يطوفون عليكم للخدمة وغير ذلك. قال أبو حيان: أى يمضون ويجيئون ويدخلون عليكم في المنازل غدوة وعشية بغير إذن إلا في تلك الأوقات.

وقوله تعالى:{**كَذَلِكَ يُبَيِّنُ الله لَكُمُ الْآيَاتِ**} أى: مثل ذلك التوضيح والبيان يبين الله لكم الأحكام الشرعية والدين.

ويقول المولى ﷻ:{**وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ الله لَكُمْ آيَاتِهِ والله عَلِيمٌ حَكِيمٌ**}.

قوله تعالى:{**وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنكُمُ الْحُلُمَ**} أى: إذا بلغوا مبلغ الرجال، وأصبحوا في سن التكليف، فعلموهم الأدب السامى أن يستأذنوا في كل الأوقات؛ لأن العين تتطلع إلى كل ماهو جديد أمامها، كما يستأذن الرجال البالغون. وهذا تفصيل لكم في أمور الشريعة والدين

إخوة الإسلام

ونختم حديثنا في هذا الموضوع المهم الخطير، الذي يبين آداب الإسلام الرفيعة، وأخلاقه العظيمة، يقول الله ﷻ:{**وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ والله سَمِيعٌ عَلِيمٌ**}

القواعد من النساء هن النساء العجائز اللواتى قعدن عن طلب الزواج، لاحرج عليهن في أن تضعن ثيابهن كالرداء والجلباب، ويظهرن بملابس معتادة لاتلفت الانتباه؛ لأنه ربما هناك عجوز شمطاء يبدو بها الحرص على أن يظهر بها جمال.

وقوله:{**وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ**} أى: يستترن بارتداء الجلباب.

وقوله تعالى:{**والله سَمِيعٌ عَلِيمٌ**} أى: يسمع ويعلم كل شيء.

فهو مطلع على كل كبيرة وصغيرة ومطلع على ما تخفيه النفس حيث إنه يعلم السر وأخفى، فهذه هى آداب الإسلام ينبغى علينا أن نتعلمها ونتحلى بها كى نحقق السعادة في الدنيا والفوز في الآخرة.

اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا.

اللهم آمين.

* * *

نحن... والإسلام

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله. وأشهد ألا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله.. وبعد:

إخوة الإسلام:

إن المعاناة في أمور الحياة كثيرة، تتمثل في كل إنسان يؤدى عمله لله ويخلص فيه بجد وإتقان. كذلك تعانى أمة الإسلام من أمم الكفر ماتعانى. ولو علم أعداء الدين أن نجاحهم وفلاحهم في ديننا وعزتهم في اتباعنا؛ لانقلب حال البشر اليوم إلى إصلاح وإعمار بدلاً من فساد ودمار. وقد عبر القرآن الكريم عن ذلك بقوله تعالى:{**قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّا إِلاَّ أَنْ آمَنَّا بِاللهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ**} [المائدة: ٥٩].

تلك هى جريمة المؤمنين في نظر هؤلاء الكفار الجاحدين. وصدق الله العظيم إذ يقول:{**وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّاراً حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ**} [البقرة: ١٠٩].

ولنقف - إخوة الإسلام - وقفة متأنية مع قوله تعالى{**كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ**} [آل عمران: ١١٠].

عباد الله:

إن الله ﷻ قد حدد لهذه الأمة مهمتها التي لها خلقت، ورسالتها التي من أجلها وجدت، وذلك في قوله:{**وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**} [آل عمران: ١٠٤].

فهل وعت الأمة تلك الرسالة، وأدت تلك الأمانة على الوجه الذي يريده ربنا ويرضاه؟

يقول الشيخ محمد الغزالى في كتابه (الطريق من هنا): (إن الوظيفة الأولى لدولة الإسلام أن ترى الأمم الأخرى آفاق الخير الذي تدعو إليه... مشرقة في

حياتها، في أخلاقها وتقاليدها وعبارتها وتعاملاتها وآدابها وفنونها وملاهيها وأسواقها وقراها ومدنها... أى في جميع أنشطتها التي تكشف عن أعمالها وآمالها).

وما أشبه الليلة بالبارحة، ومـاأدق الشبه بين حال أمم الأرض في جاهليتها الأولى وحال أمم الأرض اليوم، التي ماتزال يحاوطها الإسلام من كل جانب، الأمة الوسط التي تحدث عنها ربنا بقوله:

{وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا} [البقرة: ١٤٣] ومايزال القرآن الكريم يناديها لتخرج من جديد على الناس. آمرة بالمعروف ناهية عن المنكر. مؤمنة بالله (١).

وإذا ظل المسلمون على حالهم تلك، مصرين على النظر إلى المدنية الغربية على أنها القوة الوحيدة لإحياء الحضارة الإسلامية الراكدة، فإنهم يدخلون الضعف على ثقتهم بأنفسهم ويدعمون بطريقة غير مباشرة ذلك الزعم الغربى القائل بأن الإسلام جهد ضائع.

أما آن لشخصيتنا المؤمنة وذاتيتنا المتحررة أن نطعم من مائدتنا الكبرى التي هيأها لنا ربنا ورسولنا وقرآننا وإسلامنا، ولم يعد هناك أى مجال أبدا لنبقى عالة على وارد غيرنا من الشعوب والأمم، حتى نستشهد بأقوالهم ونظن أنهم سبقونا إلى مبادئ الحق والخير والقوة.

وصدق الله حيث قال:**{وَقُل لِّلَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ اعْمَلُواْ عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَامِلُونَ * وَانتَظِرُوا إِنَّا مُنتَظِرُونَ * ولله غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ}** [هود: ١٢٣].

إخوة الإسلام:

نظرة على أرض الواقع حيث نرى في زماننا الذي نعيشه ونحياه، تسعى دول لا تملك حضارة ولا تراثًا - ليقنعوا العالم زورا وبهتانا أنهم أبناء حضارة - وأهل ثقافة - بينما الأمر كذلك إذ تنسلخ أمتنا في منأى ومعزل وتخبط أشبه بالمجنون الذي فقد رشده وضل سعيه وضل ضلالا

(١) الطريق من هنا.

بعيدا. إن حالنا اليوم أشبه بمن أصيب بشلل معنوى في جميع أجهزته ومواهبه وملكاته مما يجعلنا في حالة عجز عن الحركة الصحيحة.

ثم يقول الشيخ محمد الغزالى في كتابه (الطريق من هنا): مشخصا أدواء هذه الأمة بأنها " تشبه أحياء انقطع عنها التيار الكهربائى. فغرقت في الظلام ولابد من إصلاح الخلل، وعلاج الأعطال الشديدة أو الخفيفة بالكلام البليغ أو النصح المخلص.. لايكفى! بل لابد من إزالة أسباب الخلل، ومن إعادة الأوضاع إلى أسسها السليمة... إلى فطرتها الأولى{**فِطْرَةَ الله الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ الله**} [الروم: ٣٠].

ويقول الدكتور/ حمدى فتوح والى في مقالة له بعنوان (أين نحن من الإسلام) لقد ظن الكثير أنه مسلم بمجرد الصلاة والصوم والدعاء، ولكن الأمر ليس كذلك ولو كان مجرد الدعاء يكفى عن الجهاد وصيانة العرض، لاستغنى به النبى ﷺ وصحابته. ولكن الله أخبر{**وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ الله لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ**} [العنكبوت: ٦٩].

إخوة الإسلام:

إن من أعجب العجب أن يدرك أعداؤنا سر قوتنا وتميز شريعتنا، وإذا بنا نتخلى عنها ونعرض عنها. كيف ذلك؟ والقرآن حثنا على الاعتصام والوحدة فقال{**إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ**} [الأنبياء: ٩٢] وقال تعالى{**وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ الله جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُواْ وَاذْكُرُواْ نِعْمَةَ الله عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا**} [آل عمران: ١٠٣].

فهذا هو أقوى عامل على تقدم الأمة ونهضتها، وخير سبيل لعلو شأنها. وقد قال النبى ﷺ فيما رواه مسلم:**المؤمنون كرجل واحد، إذا اشتكى عينه اشتكى كله، وإذا اشتكى رأسه اشتكى كلهـــ.**

إن شعار الأمة المؤمنة هو صدق الاعتقاد، ودوام الاتحاد، واتصال الجهاد، حتى النصر والاستشهاد.

وإذا كان النبى ﷺ قد قال في حديثه الشريف الذي رواه أبو داود: **يوشك أن تتداعى عليكم الأمم كما تتداعى الأكلة على قصعتهاـــ** قالوا:

أو من قلة نحن يومئذ يا رسول الله؟ قال:**لا بل كثير ولكن غثاء كغثاء السيل**.

إخوة الإسلام:

علينا أن نتأسى بسلفنا الصالح الذين اعتصموا بحبل الله، ولم يتفرقوا فنصرهم الله على أعدائهم، وكانت لهم السيادة والريادة. فسادوا وقادوا وحكموا هذا العالم كله.

فإن الله تبارك وتعالى قد علم عباده أن طريق الخير والفوز هو طريق الإجتماع والاتحاد فحثهم على الوحدة والاعتصام، وحذرهم من الفرقة والشتات، فقال لهم:{**وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُواْ إِنَّ الله مَعَ الصَّابِرِينَ**} [الأنفال: ٤٦] وهذا الناصر صلاح الدين الأيوبى حينما قيضه الله لتحرير القدس استعان بالله، ثم وضع خطة محكمة، استمر أعدادها عشرين سنة، كان من عناصرها:

- ❖ توحيد الأمة الإسلامية بكل طوائفها وأجناسها وبيئاتها وثقافتها.
- ❖ إعداد جيل على أساس العقيدة الإسلامية وأخلاقها وقيمها السامية.
- ❖ الروح الإسلامية والصلة الوثيقة بكتاب الله وسنة رسول الله.
- ❖ التدريب المستمر على فنون القتال، انطلاقا من قوله تعالى:{**وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوَّ الله وَعَدُوَّكُمْ**} [الأنفال: ٦٠].
- ❖ بعد هذا كله قرر أن يخوض المعركة متوكلا على الله{**وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ الله الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ**} [آل عمران: ١٢٦].

إن أعداء الإسلام قد اتخذوا الإسلام هدفا أمامهم؛ من أجل هدمه في قلوب المسلمين. فهل نحن نملك القدرة النفسية والطاقة الإيمانية التي تجعلنا نصرخ في أهل الأرض جميعا، نلفتهم إلى قارورة الدواء التي في أيدينا ونرشدهم إلى طوق النجاة الذي ألقيناه إليهم ليعتصموا به قبل فوات الأوان.

وعزاؤنا أن الله ﷻ جعل الأيام دولا بين الناس، وأن الإسلام يسمو فوق كل الشدائد، وأن هذه الأمة كتبت لها شهادة ميلاد ولن تكتب لها

شهادة وفاة، فهى باقية إلى يوم الدين.

نسأل الله جلا وعلا أن يرد المسلمين إلى الإسلام ردا جميلا وأن ينصر الإسلام والمسلمين.

اللهم آمين.

* * *

الفصل الرابع: حقوق اسلامية

حقوق الإنسان فى الإسلام.
حق الزوج على زوجته.
حق الزوجة على زوجها.
حقوق الأبناء على الآباء.
حق المساكين (أصحاب الجنة).
تكريم الإسلام للمرأة.
جانب من حقوق المرأة فى الإسلام.
مشاركة المرأة فى أعباء الحياة.
واجب المرأة نحو المجتمع.
أحكام تعبدية فى فقه المرأة.
البركة... وصلة الرحم.
معالجة الإسلام لمشاكل البنات.

حقوق الإنسان في الإسلام

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد:

إخوة الإسلام:

لقد كان للشريعة الإسلامية فضلها الذي لا ينكر، حتى من أعداء الإسلام في ترسيخ دعائم الحق، ونشر قوانين العدالة التي أنقذت الإنسانية المعذبة من مخالب الضلالة، وأخذت بيد الضعف، ورفعت من قيمة البسطاء وكل فئات النوع الإنسانى التي كادت تجرفها تيارات الضياع والهلاك. وقد كان للشريعة دورها الذي لا ينكر في بيان حقوق الإنسان. كل ذلك قبل أن تعرف المواثيق الدولية حقوق الإنسان بأربعة عشر قرنا. وكل ذلك انطلاقا من قوله تعالى:{**ولله الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ**} [المنافقون: ٨].

وأولى هذه الحقوق:

*** حق الحياة:**

تحقيقا للأمان لهذه الحقوق نجد في الحدود الإسلامية مايحفظ للإنسان حقه في الحياة وفى المال وفى العرض وفى الحرية والمساواة والعمل والشورى والكرامة، ففى الاعتداء على حق الحياة مخالفة لشرع الله، ولهذا حرم الإسلام قتل النفس وقتل الغير بدون حق، حيث يقول ربنا:{**وَلاَ تَقْتُلُواْ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللّه إِلاَّ بِالحَقِّ**} [الإسراء: ٣٢].

وقد رتب الإسلام أكثر العقوبات، وهى القصاص على جرائم الجرح والقتل، واعتبرت الشريعة هى القصاص لحياة الناس وأمنهم. قال تعالى:{**وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَاْ أُولِيْ الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**} [البقرة: ١٧٩].

وبالنسبة لحق الإنسان في الأمن نجد الشريعة قد جعلت للاعتداء على هذا الحق حدا هو حد الحرابة، أنه اعتبر قتل نفس واحدة بمثابة قتل للبشر جمعاء. قال تعالى{**أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ**

النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا} [المائدة: ٣٢] وقد قال النبى ﷺ:**من قتل عبده قتلناه** (١).

*** الحق في العيش في أمان** (٢).

فالإسلام يحرم كل أشكال العدوان، وهذا ما أكده الرسول الكريم ﷺ في خطبة الوداع بقوله كما روى مسلم من حديث جابر حين قال: **إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام إلى أن تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا**.

وكذلك أكده المصطفى ﷺ في الحديث الذي رواه مسلم من حديث أبى هريرة رضي الله عنه حيث قال:**كل المسلم على المسلم حرام، دمه وماله وعرضه**.

فالحياة بدون أمان لاتساوى شيئا، حتى ولو كان يمتلك ما امتلكه قارون.

*** حرية الاعتقاد والتكليف في الإسلام.**

إخوة الإسلام:

فالإسلام لايكره أحدا على الدخول فيه، حيث يقول ربنا: **{لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ}** [البقرة: ٢٥٦] وقال (عز من قال):**{وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ}** [الكهف: ٢٩].

وقد أعطى الله للإنسان عقلا وحواسَّ وقدرة جسمية تمكنه من معرفة طريق الهدى من الضلال. قال تعالى**{أَلَمْ نَجْعَل لَّهُ عَيْنَيْنِ * وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ * وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ}** أما ماورد في قوله ﷺ فيما رواه البخارى: **أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله** فلفظ الناس الوارد فيه ليس عاما؛ فلا يقصد به الناس جميعا وإنما المقصود به أهل مكة من المشركين الذين آذوا المسلمين بشتى الطرق ومن هنا جاء قول الله تعالى:**{أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ * الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللهُ}** [الحج: ٣٩، ٤٠].

(١) البخاري ومسلم.
(٢) الإسلام وإقرار الأمن (بتصرف).

لهذا شرع الله الحدود وهى سبعة (حد الزنا - حد السرقة - حد القذف - حد الحرابة - حد شرب الخمر - حد الردة - حد البغى). كما شرع القصاص والدية وشرع العقوبات التقديرية فيما لم يرد فيه نص، وشرع الله تعالى تحريم الغيبة والنميمة والحسد، كما شرع آداب الاستئذان لدخول المنازل، وشرع ضرورة إفشاء السلام لشيوع المحبة والمودة بين الناس.

*** حق أبناء المجتمع المسلم في العمل وتولى الوظائف العامة .**

وذلك على أساس الكفاءة والإنجاز وليس على أساس القرابة أو الحسب أو الرشوة، فالأصل أن الإسلام أرسى مبادئ تكافؤ الفرص بين المجتمع، وعدم احتكار وظيفة بعينها أو عمل بعينه لايتولاه غير شخص أو أشخاص معينين، ولذا يقول المولى ﷻ:**{وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَى}** [النجم: ٣٩]. ويقول النبى ﷺ:**الناس سواسية كأسنان المشط**. والمعيار الوحيد لإسناد العمل إلى الناس هو الكفاءة المبنية على العلم والخبرة والإتقان ومراقبة الله في السر والعلن ويأتى التحذير من النبى ﷺ في هذا الصدد بقوله:**من ولى من أمر المسلمين شيئا، فولى رجلا وهو يجد من هو أصلح منه فقد خان الله ورسوله**. وهذا الأمر لا يوجد في التشريعات الوضعية في مجال حقوق الإنسان.

والإسلام يجعل إسناد الأمر إلى غير أهله، هو من قبيل تضييع الأمانة وهو من علامات الساعة، حيث يقول النبى ﷺ: **إذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة** قيل يا رسول الله: وما إضاعتها؟ قال:**إذا وُسِّد الأمر إلى غير أهله**. أى: إذا أسند إلى غير الأكفأ والأجدر به.

إخوة الإسلام:

*** ومن حقوق الإنسان في الإسلام: حق الإنسان أمام القضاء.**

ويلخص البيان الإسلامى لحقوق الإنسان هذه الحقوق إلى قسمين:

أولا: حق العدالة: حيث إن الإسلام هو العدل الذي يرفع الظلم الذي هو ظلمات في الدنيا والآخرة، وحق العدالة يتحقق بإرجاع الأمر إلى الله. قال تعالى:**{فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ}** [النساء: ٥٩].

وحق العدالة في الإسلام يستوجب كفالة حق الدفاع عن النفس في مواجهة كل أنواع الظلم والتعسف، يقول تعالى:{**لاَّ يُحِبُّ الله الْجَهْرَ بِالسُّوَءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلاَّ مَن ظُلِمَ**} [النساء: ١٤٨].

فمن الإنسان أن يرفع الظلم عن نفسه وأن يلجأ إلى سلطة شرعية تحقق العدالة. حيث يقول النبى ﷺ في الحديث الذي رواه الشيخان:**إنما الإمام جنة، يقاتل من ورائه ويحتمى بهـــ**.

ولا يجوز مصادرة حق الفرد في الدفاع عن نفسه، حيث يقول النبى ﷺ : **إن لصاحب الحق مقالاـــ** (١).

ثانيا: الحق في محاكمة عادلة: إذ أن الأصل في الإنسان البراءة، حسب قول النبى الكريم ﷺ:**كل أمتى معافى إلا المجاهرينـــ** (٢).

الأصل الثانى: أنه لاجريمة ولاعقوبة إلا بنص شرعى، تطبيقا لقول الله ﷻ:{**وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً**}.

الأصل الثالث: عدم تجاوز العقوبة المقدمة في الشريعة، وفى ذلك يقول المولى ﷻ:{**تِلْكَ حُدُودُ الله فَلاَ تَعْتَدُوهَا**}.

الأصل الرابع: عدم تحريم شخص وعدم معاقبته، إلا بناء على دلائل يقينية من خلال وسائل الإثبات. قال تعالى{**يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ**} [الحجرات: ٦].

الأصل الخامس: مراعاة الظروف والملابسات التي ارتكبت فيها الجريمة. لقول النبى الكريم - فيما رواه الحاكم والطبرانى -: **ادرأوا الحدود عن المسلمين ما استطعتم، فإن كان له مخرج فخلوا سبيلهـــ**.

حقوق الأقليات في الإسلام:

إن شريعة الإسلام تحمى حقوق غير المسلمين داخل المجتمع المسلم، وتؤمنهم على أنفسهم وعقائدهم وممتلكاتهم، والإسلام يأمر بحسن معاملة

(١) رواه الخمسة.

(٢) رواه الشيخان.

أهل الذمة. يقول نبى الهدى:**من قذف ذميا حد له يوم القيامة بسياط من نار**ـــ.

وفى رسالة عمر بن الخطاب إلى عمرو بن العاص ﷺ بعد فتح مصر يقول له: (إن معك أهل الذمة وأهل العهد؛ فاحذر ياعمرو أن يكون رسول الله خصمك). وقد أبيح لهم بناء الكنائس وإقامة الشعائر. والإسلام يأمر المسلمين بعدم التعرض بأى أذى لأصحاب الديانات الأخرى، وعدم سب آلهتهم حتى لا يسبوا الله تعالى عدوا بغير علم. قال تعالى:**{وَلاَ تَسُبُّواْ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ الله فَيَسُبُّواْ الله عَدْوًا}** [الأنعام: ١٠٨].

وقد شهد غير المسلمين بعظمة ونبل ورقة معاملة المسلمين لغير المسلمين، والحفاظ على كل حقوقهم في الدولة الإسلامية.

وعقيدة المسلم أن أهل التوحيد في الديانات السابقة جميعا لهم أجرهم عند ربهم كمن آمن بالله ورسوله محمد ﷺ بقوله تعالى:**{إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَالَّذِينَ هَادُواْ وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بالله وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحاً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ}** [البقرة: ٦٢].

وبدون تعليق فالفرق شاسع بين المسلمين مع الأقليات لأهل الديانات، حتى في حالتى السلم والحرب، وبين موقف الدول والحضارات والمواثيق الدولية والمحلية القديمة والمعاصرة (١).

إخوة الإسلام:

هذا جانب من بعض حقوق الإنسان في الإسلام - والحقوق أكثر من أن تعد. وإن حماية الإسلام لحقوق الإنسان تستوجب على المسلمين في كل الأرض أن يصونوا هذه الحقوق. ففى صيانة المسلم لحق غيره صيانة لحقه، وفى إهماله لحق غيره إهمال لحقه. وإنها لتستوجب على كل من ولى أمرا أن يرفق بعباد الله دون تضييع للحق ودون إهمال.

وإن كانت حقوق الإنسان لاتراعى بصورة كافية في العديد من مناطق العالم الإسلامى، فإن الإسلام ليس مسؤولا عن الممارسات

(١) الإسلام وقضايا التنمية الشاملة.

الخاطئة، حتى وإن كانت ترتكب باسمه. ومن يريد أن يتعرف على تعاليم الإسلام الحقيقية فليبحث عنها في مصادره الأصلية، وليس في سلوكيات خاطئة أو تفسيرات باطلة يرفضها الإسلام رفضا تاما [١].

ومن هنا يأتى قول النبى ﷺ:**اللهم من ولى من أمر أمتى شيئا فرفق بهم فارفق به، ومن ولى من أمر أمتى شيئا فشق عليهم فاشقق عليه** ويكفى خطبة النبى ﷺ في حجة الوداع عن حقوق الإنسان ببيان ماله وما عليه.

نسأل الله جل وعلا أن ينصر الإسلام ويعز المسلمين.

اللهم آمين.

* * *

(١) الإنسان في التصور الإسلامي.

حق الزوج على الزوجة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه. وبعد:

إخوة الإسلام:

لقد أوجب الإسلام للزوج حقوقا على زوجته؛ لكى يستقيم أمر الأسرة وتعطى أطيب الثمرات.

ومما لاشك فيه أن واجبات كل من الزوجين تتناسب مع طبيعته وفطرته التي فطره الله عليها. وأى خروج على ذلك يعتبر سبيل من سبل هدم الأسرة واستقرارها.

وهذا جانب من حق الزوج على زوجته:

*** القوامة .**

لقد أمر الله أن يكون زمام الأسرة في يد الرجل؛ لما حباه الله به من قوة وجلد وقدرة على السعى في الأرض.

والقوامة تعنى: إسناد إدارة الأسرة وتصريف شؤونها وتوجيه أفرادها إلى كل ما يحقق لهم الخير في الدنيا والآخرة إلى رب الأسرة وهو الزوج. فهى بهذا المفهوم تعنى: إلزام الرجل بالكدح ودفعه إلى العمل والكفاح، وهى أيضا تكليف وأعباء، حيث يقول ربنا:{**الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاء بِمَا فَضَّلَ الله بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ**} وقال أيضا:{**وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ والله عَزِيزٌ حَكُيمٌ**} [النساء: ٣٤].

فذلك حق طبيعى للرجل السوى، وليس فيه أدنى شائبة تسلط أو تعسف أو ظلم أو افتئات على حق المرأة وكرامتها. فليس الأمر سوى تحديد للمسؤوليات وتكليف للقادر وإعفاء للضعيف من تحمل الجهد وعناء الحياة الشاقة.

*** الطاعة في غير معصية الله:**

إخوة الإسلام:

لقد أوجب الله طاعة الزوج على زوجته في كل ما ليس فيه معصية لله أو مخالفة دينية كفعل منكر أو ترك عبادة. كما قال النبى ﷺ في الحديث الذي رواه ابن حبان من حديث على بن أبى طالب:**لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق**ـــ.

وعن عبد الله بن أوس قال: لما قدم معاذ بن جبل من الشام سجد للنبى ﷺ فقال له رسول الله ﷺ:**ما هذا؟**ـــ قال: يا رسول الله قدمت من الشام فوجدتهم يسجدون لبطارقتهم وأساقفتهم، فأردت أن أفعل ذلك بك. قال:**لا تفعل، فإنى لو أمرت أحدا أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها. والذى نفسى بيده لا تؤدى المرأة حق ربها حتى تؤدى حق زوجها**ـــ [١].

وعن عائشة ♥ قالت: سألت رسول الله ﷺ أى الناس أعظم حقا على المرأة؟ قال:**زوجها**ـــ. قلت: فأى الناس أعظم حقا على الرجل؟ قال:**أمه**ـــ.

وروى ابن ماجه والترمذى من حديث أم سلمة ♥ أن رسول الله ﷺ قال:**أيما امرأة ماتت وزوجها عنها راض دخلت الجنة**ـــ.

وعن ابن حبان من حديث أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ:**إذا صلت المرأة خمسها، وحصنت فرجها، وأطاعت بعلها، دخلت الجنة من أى الأبواب شاءت**ـــ.

☒ حسن التبعل:

إخوة الإسلام:

على المرأة المطيعة لزوجها أن تكون مرهفة الحس في حضرة زوجها، تطلب مرضاته وتوفر له القسط الأكبر من الراحة والقرار في البيت. ويكون ذلك بأن: تسكت عند كلامه في غير إعراض عنه أو عدم مبالاة به، تداوم على الزينة في حضرته، وتتركها في غيبته، وتعرض نفسها له عند النوم. كل ذلك في غير تكلف فإنها إن فعلت ذلك وداومت عليه، بحيث أصبح لها خلقا وسجية فإنها ستكسب مرضاته، وفى ذلك

(١) رواه أبو داود.

طريقها إلى الجنة، مع إتيانها بقية المأمورات، وتجنب المنهيات [١].

ومن الآثار والأخبار الدالة على حسن التبعل:

فقد روي مسلم في صحيحه أن أسماء بنت يزيد بن السكن الأنصارية خطيبة (النساء) أتت إلى النبى ﷺ وهو بين أصحابه فقالت: بأبى أنت وأمى يا رسول الله، أنا وافدة النساء إليك. إن الله بعثك بالحق للرجال والنساء كافة، فآمنا بك واتبعناك. وإنا (معشر النساء) محصورات قواعد بيوتكم، وحاملات أولادكم. وإنكم (معشر الرجال) فضلتم علينا بالجمع والجماعات وعيادة المرضى وشهود الجنائز والحج بعد الحج، وأفضل ذلك الجهاد في سبيل الله ﷻ وإن أحدكم إذا خرج حاجا أو معتمرا أو مجاهدا، حفظنا لكم أموالكم، وغزلنا أثوابكم، وربينا لكم أولادكم. أفنشارككم في هذا الأجر؟! فالتفت النبى ﷺ إلى أصحابه ثم قال:**أسمعتم مسألة امرأة قط أحسن من مسألتها في أمر دينها من هذا؟ــ** فقالوا: يا رسول الله، ماظننا أن امرأة تهتدى إلى مثل هذا. فالتفت النبى ﷺ إليها ثم قال:**افهمى أيتها المرأة، وأعلمى من خلفك من النساء أن حسن تبعل المرأة لزوجها وطلبها لمرضاته واتباعها موافقته يعدل ذلك كلهــ.** فانصرفت وهى تهلل، حتى وصلت إلى نساء قومها من العرب وعرضت عليهن ماقاله رسول الله ﷺ ففرحن.

وإننا لنعجب من عجب رسول الله وصحابته من فصاحة هذه المرأة الصالحة وحسن منطقها ورجاحة عقلها، فإن كانت النساء كمثل هذه لفضلت النساء على الرجال. حيث جاءت راغبة فيما عند الله، فأخبرها النبى ﷺ أن حسن تبعل المرأة لزوجها وطاعتها له يعدل كل الأعمال الصالحة التي يعملها الرجل. فياليت نساء المسلمين اليوم يتخذنها قدوة ويتبعن هذا الهدى النبوى العظيم.

وروى البخارى في صحيحه عن أسماء بنت أبى بكر الصديق ♥ قالت: تزوجت الزبير (أى: ابن العوام) وماله في الأرض من مال ولا مملوك ولا شيء غير ناضح (جمل يستسقى عليه الماء) وغير فرسه

(١) الإسرة المسلمة أسس ومبادئ.

فكنت أعلف فرسه وأستقى الماء وأخرز غربه وأعجن، ولم أكن أحسن أخبز. فكان يخبز جارات لى من الأنصار. وكنا نسوة صدق. وكنت أنقل النوى من أرض الزبير التي أقطعه رسول الله ﷺ على رأسى، وهى منى على ثلث فرسخ. فجئت يوما والنوى على رأسى فلقيت رسول الله ﷺ ومعه نفر من الأنصار فدعانى، ثم قال:**إخ إخــ** (ليبرك البعير على الأرض فأركب) ليحملنى خلفه. فاستحييت أن أسير مع الرجال، وذكرت الزبير وغيرته، وكان أغير الناس - فعرف رسول الله أنى قد استحييت فمضى. فجئت الزبير فقلت لقينى رسول الله وعلى رأسى النوى، ومعه نفر من أصحابه فأناخ لأركب، فاستحييت منه وعرفت غيرتك فقال: والله لحملك النوى أشد على من ركوبك معه. قالت: حتى أرسل إلى أبو بكر بعد بخادم يكفينى سياسة الفرس، فكأنما أعتقنى.

ونقول نحن: هذه المرأة مثل يحتذى به في مختلف أدوار حياتها (أما وزوجة وبنتا) وكان زوجها الزبير شديد الغيرة عليها، وأدركت منه هذا الشعور فلم تستغله ضده كما يفعل من لاخلاق لهن. بل إنها لم تدخر وسعا في المحافظة على شعوره هذا. وأبعد من هذا فقد كانت تساعده في عمل الحقل وسياسة فرسه، وبلغت من احترام شعوره أنها استحيت أن تركب خلف النبى ﷺ بما معها من نوى، لأنها تذكرت غيرة زوجها، ولم يكن هناك مخالفة في ركوبها خلف النبى ﷺ فقد كان محرما لها في ذلك الوقت، لأنه زوج أختها عائشة ♥.

وروى الأصمعى قال: دخلت البادية فإذا أنا بامرأة من أحسن الناس وجها، تحت رجل من أقبح الناس وجها، فقلت لها: يا هذه، أترضين أن تكونى تحت مثله؟! فقالت: يا هذا، اسكت فقد أسأت في قولك، لعله أحسن فيما بينه وبين خالقه فجعلنى ثوابه،، وبذلك كان شاكرا، ولعلنى أسأت فيما بينى وبين خالقى فجعله عقوبتى، أفلا ترضى بما رضى الله لى، فصبرت، والصابر والشاكر في الجنة [(١)].

وإذا كان لنا من تعليق على الرواية التي فيها عظات وعبر، فإننا

(١) إحياء علوم الدين.

نقول لنساء اليوم اللاتي أغراهن وأغواهن الشيطان، فراحت الواحدة منهن تكشف عن مفاتنها (التي ستكون يوم القيامة من أقبح مفاتنها) أمام جميع الناس بلا حياء ولا خجل ولاخوف من الله تعالى، أما إذا كانت المرأة جميلة فإننا نراها في كثير من الأحيان بل في الغالب تعصى زوجها وتترفع عليه، ناسية أومتناسية أن هذا الوجه قريبا سيدفن تحت التراب، وأن هذا العرى وهذا الضلال سيؤدى حتما إلى العذاب.

نقول لهن: هذه زوجة جميلة لاتثور على دمامة زوجها، ولم تبغ الخلاص منه، وإنما بررت موقفها الإيمانى الجميل تبرير المؤمنات الصادقات، وأن هذا قدر الله وهى به راضية.

ومن حقوق الزوج على زوجته:

أن تكون أمينة على عرضه وماله:

ويقتضى ذلك ألا تخونه في فراشه، فلا تدخل أحدا من الرجال حال غيابه في بيته أو فراشه، مهما كانت الدواعى والدوافع؛ لأن ذلك يوغر صدر الزوج، ويجر على البيوت المهالك والويلات، وناهيك عن دخول الأصدقاء ومايترتب على ذلك من مفاسد طفحت بها أخبار الحوادث، وخربت بسببها البيوت وشرد الأطفال.

ومن خطبته ﷺ في حجة الوداع:**ألا إن لكم على نسائكم حقا ولنسائكم عليكم حقا. فحقكم عليهن ألا يوطئن فرشكم من تكرهون، ولايأذن في بيوتكم لمن تكرهون**ـــ.

وروى الحاكم أن النبى ﷺ قال:**لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تأذن في بيت زوجها وهو كاره، ولا تخرج وهو كاره، ولا تطيع فيه أحدا، ولا تعتزل فراشه، ولا تضربه، فإن كان هو أظلم فلتأته حتى ترضيه فإن قبل منها فبها ونعمت، وقبل الله عذرها، وأفلح حجتها، ولا إثم عليها. وإن هو لم يرض فقد أبلغت عند الله عذرها**ـــ [(١)].

ومن حقوق الزوج على زوجته أيضا:

(١) صحيح الإسناد.

أن ترى القليل منه كثيرا:

فعلى المرأة المسلمة أن ترضى بالقليل من زوجها، وتراه كثيرا وأن تقابل فعله بالشكر، وأن ترى حاله بالفضل، وألا تقول له مقالة الجاهلات.

يقول طلحة بن عبيد الله: سمعت رسول الله ﷺ يقول:**أيما امرأة قالت لزوجها ما رأيت منك خيرا قط إلا آيسها الله من رحمته يوم القيامة.**

وروى أن النبى الكريم ﷺ قال:**إن الله لا ينظر إلى امرأة لاتشكر زوجها.**

وكانت المرأة في عهد النبى الكريم وفى صدر الإسلام (وكل امرأة صالحة) تقول لزوجها حين يخرج إلى العمل: (اتق الله فينا، فإننا نصبر على الجوع، ولانصبر على الحرام).

كذلك يجب على المرأة ألا تخون زوجها في ماله، ولاتتصرف فيه من غير إذنه، وإن فعلت غير ذلك كان له الأجر وعليها الوزر.

إخوة الإسلام:

ومن حقوق الزوج على زوجته:

إكرام أهل الزوج والوفاء له:

وذلك بأن تكرمهم وتلقاهم بالود والترحاب، وتبذل لهم الخير والفضل وألا تعبس في وجوههم، وبذلك يبقى حبل ودها متصلا بزوجها، والأمر يعود عليها بالخير والبركة.

وإذا كان الإسلام قد حث الزوج على الوفاء لزوجته، فإنه كذلك حث الزوجة على الوفاء لزوجها. وماذلك إلا لأن الوفاء خلق جميل نابع من الأصالة والإيمان الصادق الخالص.

ولنضرب على ذلك أمثلة توضح هذا الخلق الجميل:

* رفع ولى أمر على زوج ابنته دعوى يطالبه فيها بخمسمائة درهم قيمة صداق ابنته، وفى مجلس القضاء طلب القاضى الشهود. فلما حضروا قال القاضى للمرأة: أسفرى عن وجهك (أى: اكشفى عنه) ليراك الشاهد، ويشير إليك بأنك صاحبة الحق. فقال الزوج: والله لايرى وجهها

أجنبى، وأنا مقر بالدعوى دون حاجة إلى شهود وقالت المرأة: صدق أبى ولكنى أبرئ زوجى من صداقى في الدنيا والآخرة. فقال القاضى: يكتب هذا في مكارم الأخلاق [١].

* شكا أعرابى من بنى عذرة إلى معاوية بن أبى سفيان عامله مروان ابن الحكم، وذلك لرغبته في التفريق بين العذرى وزوجته رغما عنها؛ لفقر نزل بزوجها بعد عز؛ ولرغبة مروان في أن يتزوج منها لجمالها. فلما حضرت أمام معاوية، قال لزوجها مازحا: نخيرها بيننا. فقال الزوج الواثق من مشاعر الزوجة: ذلك، إليك - يا أمير المؤمنين - فقال لها معاوية: ياسعدى، أينا أحب إليك؟ أمير المؤمنين في عزه وشرفه وقصوره، أم مروان بن الحكم في غضبه واعتدائه. أم هذا الأعرابى في جوعه وأطماره (ثيابه البالية)؟ فأشارت الجارية إلى ابن عمها وزوجها الأعرابى وأنشدت تقول:

هذا وإن كان في جوع وأطمار ::: أعز عندى من أهلى ومن جارى

وصاحب التاج أو مروان عامله ::: وكل ذى درهم منهم ودينار

ثم قالت: والله - يا أمير المؤمنين - إنى لست لحدثان الدهر بخاذلته، ولقد كانت لى معيشة راضية، وأنا أحق من صبر معه على الضراء والسراء، وعلى الشدة والرخاء، وعلى العافية والبلاء، وعلى القسم الذي كتب الله لى معه، فأعجب معاوية بعقلها وكمالها ومروءتها، وأمر لها بعشرة آلاف درهم، وألحقها بصدقات بيت المسلمين.

* ذهبت امرأة إلى أحد ولاة المسلمين وقالت له: يا أمير المؤمنين الفقر مر المذاق، من أجله وقفنا على الطلاق، فأعطنا شيئا ليوم التلاق، ماعندكم ينفد وما عند الله باق. فأعجب بكلامها وكمالها ورجاحة عقلها، وأجزل لها العطاء.

نسأل الله عز وجل أن يهدى نساء المسلمين.

اللهم آمين.

(١) نظام الأسرة في الإسلام.

حق الزوجة على زوجها

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد ألا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، وبعد:

إخوة الإسلام:

كما أوجب الإسلام حقوقا على الزوجة، فقد أوجب لها الأخرى حقوقا على زوجها. والحقوق كثيرة فضلا عن الطعام والشراب والكسوة والمسكن وقد أشار النبى الكريم ﷺ إلى هذه الحقوق إجمالا، كما جاء ذلك في خطبته الشهيرة خطبة الوداع فقال:**أيها الناس، إن لنسائكم عليكم حقا ولكم عليهن حقا. لكم عليهن ألا يوطئن فرشكم أحدا تكرهونه، وعليهن ألا يأتين بفاحشة مبينة..ـــ.**

ونتعرض إلى جانب من هذه الحقوق:

تعليمها ماتحتاج إليه في دينها ودنياها :

وهذا الأمر مهم نظرا لانشغال الناس عنه بغيره من الحقوق واطراحهم له وراءهم ظهريا، حتى أصاب العلاقات الزوجية من الخلل ما أصابها، فعلى الزوج أن يعلم زوجته ماتحتاج إليه في دينها من أحكام الطهارة والعبادات، وما تحتاج إليه في علاقتها مع الناس من السلام والكلام وحدود المخالطة، وأن يعلمها حقوق الجيران وأن يرفق بها في التعليم وفى العمل، فذلك خيرا لها في الدنيا والآخرة.

ولايصح للمرأة أن تتأبى على تعلم هذه الأمور أو مراجعتها بقصد التثبت منها بحجة أنها امرأة عصرية مثقفة؛ وأن الأخذ بهذه الأمور يخضع للحرية الشخصية وقد جاءت نصوص الشريعة متوافرة ومتضافرة في هذا المعنى. قال تعالى:{**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ**} [التحريم: ٦] وقال تعالى:{**وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلوةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى**} [طه: ١٣٢].

وقد قال النبى ﷺ:**الله الله في النساء، فإنهن أمانات عندكم. فمن لم**

يأمر امرأته بالصلاة فقد خان الله ورسولهـــ [١]. وقال أيضا:**كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيتهـــ**. وقال في حديث آخر:**رحم الله رجلا قال: يا أهيلاه صلاتكم صيامكم زكاتكم مسكينكم يتيمكم جيرانكم، لعل الله يجمعكم معهم في الجنةـــ** [٢].

معاشرتها بالمعروف:

إخوة الإسلام:

ويقصد بالمعاشرة حسن عشرة الزوجة، بدءًا من الملاطفة والقول الجميل ومرورًا بالرعاية والنفقة والعدل في كل ذلك حتى عند تعدد الزوجات. فيعدل بينهن في البيت والنفقة وسائر المتطلبات مع عدم الميل والجور. لذا يقول الله ﷻ:**{وَعَاشِرُوهُنَّ بِالمعْرُوفِ}** [النساء: ١٩]. وقال في موضع آخر:**{وَلَـهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ}** [البقرة: ٢٢٨].

وقد أخبر الصادق المصدوق ﷺ فيما رواه الترمذى من حديث أبى هريرة فقال:**أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا، وخياركم خياركم لنسائهمـــ**.

ولما بين النبى الكريم أن الإساءة على الزوجة بضربها أمر معيب لا يتأتى معه حسن العشرة. فقال ﷺ:**لا يجلد أحدكم امرأته جلد العبد، ثم يجامعها آخر النهارـــ**.

وقد أخبر الله ﷻ في كتابه:**{وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا}** [النساء: ٢١]. فهذا وصف لعقد الزواج بأنه ميثاق غليظ، وليس أمرا هينا.

مراعاة شعورها:

إخوة الإسلام والإيمان:

يجب على الزوج أن يحترم مشاعر زوجته، ويحافظ على شعورها، وأن يتصرف معها التصرف اللائق احتراما لإنسانيتها وصونا لآدميتها، وأن يعاملها معاملة حسنة.

(١) الأسرة المسلمة أسس ومبادئ.
(٢) المرجع السابق.

عن عطاء بن أبى رباح قال: انطلقت أنا وعبيد بن عمير إلى عائشة ♥ فكلمتنا وبيننا وبينها حجاب. فقالت: يا عبيد، ما يمنعك أن تزورنا؟ قال: قال رسول الله ﷺ:**زر غبا تزدد حبا**. قال ابن عمير: فأخبرينا بأعجب شيء رأيته من رسول الله ﷺ. قال: فبكيت، وقالت: كل أمره كان عجبا. أتانى في ليلة حتى مس جلده جلدى، ثم قال:**ذرينى أتعبد لربى**. فقام إلى القربة فتوضأ منها، ثم قام يصلى. فبكى حتى بل لحيته، ثم سجد حتى بل الأرض، ثم اضطجع على جنبه حتى أتى بلال يؤذن لصلاة الصبح. فقال: يا رسول الله ما يبكيك، وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟! فقال:**ويحك يا بلال، ومايمنعنى أن أبكى وقد أنزل الله على في هذه الليلة:{إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِّأُوْلِي الألْبَابِ * الَّذِينَ يَذْكُرُونَ الله قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىَ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ* رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ}** [آل عمران: ١٩٠ - ١٩٢]، **ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها**.

وغاية التفكر فيهن أن تقرأهن وتعقلهن - كما حكى الأوزاعى - فأنت ترى - رحمنى الله وإياك - أن النبى ﷺ حينما أراد أن يقوم للعبادة بعد أن أنست إليه زوجه ومس جلده الشريف جلدها لم يتركها بغتة ولم يتجاهل عواطفها، وإنما استأذنها قائلا:**ذريني أتعبد لربي**.

عدم إفشاء سرها:

فقد قدس الرسول ﷺ أسرار الحياة الزوجية واحترام أسرار الزوجية في علاقتها بزوجها. فشدد النكير على من يفشى شيئا من هذه الأسرار فقال ﷺ كما روى أحمد ومسلم:**إن من أشر الناس عند الله منزلة يوم القيامة الرجل يفضى إلى المرأة وتفضى إليه ثم ينشر سرها**.

وفى حديث آخر رواه أحمد وأبو داود:**إنما ذلك مثل شيطانة لقيت شيطانا في السكة فقضى منها حاجته والناس ينظرون إليه**.

عباد الله.. أما عن خامس هذه الحقوق فهو:

الوفاء لها:

فلقد حضت الشريعة المطهرة على وفاء الزوج لزوجته، كما طالعتنا كتب السنة بذلك بصور وضيئة لوفاء النبى ﷺ. فقد روت عائشة ♥ أن عجوزا جاءت النبى ﷺ وسألها: من أنت؟ قالت: جثامة (المزينة). وبعد أن انصرفت سألته عائشة عنها قائلة: لم تقبل على هذه العجوز هذا الإقبال. قال:**إنها كانت تأتينا زمن خديجة، وإن حسن العهد من الإيمان** قالت عائشة: ماغرت على أحد من نساء النبى ماغرت على خديجة، ومارأيتها قط، ولقد كان رسول الله ﷺ يكثر ذكرها، وربما ذبح الشاة ثم يقطعها أجزاء أو أعضاء، ثم يبعثها في صدائق خديجة، وربما قلت له: كأن لم يكن في الدنيا امرأة إلا خديجة؟ فيقول:**إن كانت وكانت، وكان لى منها ولد، خير نسائها مريم، وخير نسائها خديجة**، وأشار إلى السماء والأرض.

واعلم أن أول مايسأل عنه الرجل يوم القيامة الصلاة ثم زوجه، فالحذر الحذر من ظلم الزوجة أو الإساءة إليه. وصدق الله العظيم حيث قال:**{وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا}** [الفتح: ١٠].

وفى النهاية نقول لمن يشترط العشق بين الزوجين قبل الزواج هو رأى باطل وكانت العرب تقول: إن الزواج يفسد الحب، وإنما القاعدة الصحيحة لهناء الزوجية ماقاله أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه لامرأة خاصمت زوجها إليه وصرحت له بأنها لاتحبه، فقال لها: إذا كانت إحداكن لا تحب الرجل منا فلا تخبره بذلك، فإن أقل البيوت ما بنى على المحبة. وإنما يتعاشر الناس بالحب والإسلام، يعنى التزام كل واحد منهما بتعاليم الإسلام تنتظم الحياة الزوجية ويعيش الناس العيشة الهنية وينبغى لكل من الزوجين أن يتكلف التحبب على الآخر بأكثر مما يجده له في قلبه فإن التطبع يصير طبعا [1].

نسأل الله أن يصلح ذات بيننا.

اللهم آمين.

* * *

(١) حقوق النساء في الإسلام، نداء للجنس اللطيف.

حقوق الأبناء على الآباء

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد:

إخوة الإسلام :

إذا كان الإسلام قد أوجب للآباء حقوقا على الأبناء من الإحسان إليهم، ولين القول لهم، وتوقيرهم، والدعاء لهم، والبعد عن عقوقهم، والإنفاق عليهم عند الحاجة، بل وأعد لهم حقوقا بعد الوفاة. فكذلك هناك حقوق للأبناء على الآباء كثيرة.

وقبل أن نتحدث عن هذه الحقوق، نذكر تلك الرواية التي تلقى الضوء على بعض حقوق الأبناء على الآباء.

جاء رجل إلى عمر بن الخطاب ﷺ يشكو عقوق ابنه إليه. فسأل هذا الولد عمر بن الخطاب قائلا: أو ليس هناك حقوق للابن على أبيه؟ قال عمر: نعم. فقال الولد: ماهى؟ قال عمر: حسن اختيار الأم له، وأن يحسن اختيار اسمه، وأن يعلمه شيئا من القرآن. فقال الولد: لقد اختار لى أما كانت أمة عند مجوسي، واختار لى اسما سمانى جعلانا – أو جعرانا -، ولم يعلمنى شيئا من كتاب الله. فقال عمر لوالد الطفل: لقد عققته قبل أن يعقك.

وعلى ضوء هذا الحديث نستطيع أن نقول: إن من أهم حقوق الابن على أبويه: -

انتقاء أمه.

فمن حق الطفل على أبيه أن يحسن اختيار الزوجة الصالحة؛ حتى تكون أما صالحة له. ففى الحديث الذي رواه البخارى من حديث أبى هريرة ﷺ قال رسول الله ﷺ:**تنكح المرأة لأربع: لمالها، ولحسبها ولجمالها ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك.**

ففى الحديث يرغب النبى ﷺ في نكاح المرأة الصالحة صاحبة الدين نظرا لأن كل من يقبل على الزواج ينظر إلى الأمور الأخرى من المال

والجمال والحسب؛ لأن الزوجة هى أهم ركن من أركان إقامة المجتمع المسلم، إذ هى التي تربى الأطفال وتنشئهم، وعنها يرثون كثيرا من المزايا أو الصفات، وفى أحضانها تتكون عواطف الطفل، وتتربى في مملكته، ويكتسب كثيرا من تقاليده وعاداته، ويتعرف دينه، ويتعود السلوك الاجتماعى [١].

ففى الحديث الذي رواه ابن ماجه من حديث عبد الله بن عمر، قال النبى ﷺ: **لاتزوجوا النساء لحسنهن، فعسى حسنهن أن يرديهن، ولا تزوجونهن لأموالهن، فعسى أموالهن أن تطغيهن، ولكن تزوجوهن على الدين. ولأمة خرماء سوداء ذات دين أفضل**.

وفى الحديث الذي رواه مسلم من حديث عبد الله بن عمرو، قال النبى ﷺ: **الدنيا متاع، وخير متاعها الزوجة الصالحة**.

ومن أفضل أسس اختيار الزوجة - إخوانى في الله -:

انتقاء البيئة أو الوسط الذي نشأت فيه الفتاة. وقد ذكر بعضهم:

- ❖ لاتسأل عن المدرسة التي تعلمت فيها الفتاة، قبل أن تسأل عن البيت الذي رُبيت فيه.
- ❖ تزوج ابنة والدة صالحة.
- ❖ الزواج شركة معيشية. فاختر لك شريكة توافقك

وفى ذلك يقول النبى ﷺ: **إياكم وخضراء الدِّمن**، قالوا: وما خضراء الدمن يا رسول الله؟ قال: **المرأة الحسناء في المنبت السوء** [٢].

فكأن الجمال البدنى للمرأة التي نشأت في بيئة فاسدة، بعيدا عن التمسك بقيم الدين وآدابه، لا ينبغى أن يكون بحال من الأحوال محرضا على الارتباط بها.

أن تكون متدينة:

وفى ذلك يقول نبى الهدى ﷺ: **إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه**

(١) البداية والنهاية في الخطب المنبرية للمؤلف.
(٢) جامع الأحاديث للسيوطي.

فأنكحوه [١]. وآى القرآن جاءت متوافرة حول هذا المعنى حيث يقول ربنا:{**وَأَنكِحُوا الْأَيَامَى مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ**} [النور: ٣٢].

ولذلك قد ورد عن السلف الصالح أن أحد الصالحين قال لابنه: لقد أحسنت إليك قبل أن تحسن إلى. وكنت بارا بك قبل أن تكون بارا بى. قال الابن: وكيف ذلك؟ قال له: لقد أحسنت إليك حينما أحسنت باختيار أمك.

وهذا يدل - إخوانى في الله - أن الأم هى الوعاء، وهى مصدر الرعاية للولد لذا ينبغى أن يحسن الرجل اختيار زوجته، حتى ينشأ الجيل على خلق ودين.

وكذلك من حقوق الابن على أبويه:

حسن اختيار الاسم :

فلقد حث الإسلام على حسن تسمية المولود؛ لما للاسم الجميل من آثار نفسية وتربوية كثيرة ومتنوعة: فهو يدخل السرور والغبطة على نفس المسمى، ويدخل الفخر والراحة على نفس أبويه. وعلى خلاف ذلك فإن الاسم القبيح يجلب على صاحبه الهم والحرج بسبب ما يتعرض له من السخرية والاستهزاء من الآخرين، مما يؤدى إلى آثار نفسية. ففى الحديث الذي رواه أحمد من حديث أبي الدرداء أن رسول الله ﷺ قال:**إنكم تدعون يوم القيامة بأسمائكم وأسماء آبائكم. فحسنوا أسمائكم**.

وروى مسلم من حديث ابن عباس ☻ أنه قال: (كانت جويرية اسمها برة. فحول رسول الله ﷺ اسمها إلى جويرية. وكان يكره أن يقال: خرج من عند بره) [٢].

عباد الله

*** والأسماء على ثلاثة أقسام :**

القسم الأول: ما أضيف إلى الله أو صفة من صفاته (عبد الله - عبد الرحمن).

---

(١) رواه الترمذي.
(٢) تربية الأولاد في الإسلام، منهج السنة النبوية في تربية الإنسان.

القسم الثانى: وهو أوسطها، وهو أسماء الأنبياء، كأسماء نبينا محمد ﷺ وسائر الأنبياء.

القسم الثالث: وهو أصدقها. وهو ماكان وصفا للإنسان كحارث وهمام. بعكس الأسماء الذميمة التي فيها ميوعة وميولة.

وقد كان النبى ﷺ يغير الأسماء القبيحة. ومن الطريف في هذا الشأن ما رواه يحيى بن سعيد أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال لرجل: ما اسمك؟ قال: جمرة، قال: ابن من؟ قال: ابن شهاب. قال: ممن؟ قال: من الحرقة. قال: أين مسكنك؟ قال: بحرة النار. قال: بأيتها، قال: بنات لظى. قال عمر: أدرك أهلك فقد هلكوا واحترقوا. فكان كما قال عمر (١).

*** ومن حقوق الابن أيضا على أبويه:**

أن يعلمه شيئا من القرآن.

إخوة الإسلام:

إن الإسلام قد أوجب على الأب تعليم أبنائه، والنصوص متوافرة ومتضافرة في هذا المعنى. قال تعالى{**اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ**} [العلق: ١ - ٥] وقال تعالى:{**وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا**} [طه: ١١٤].

وروى ابن ماجه من حديث أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:**طلب العلم فريضة على كل مسلمـ.**

وروى مسلم عن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:**من سلك طريقًا يلتمس فيه علما، سهل الله له طريقا إلى الجنةـ.**

وروى الترمذى عن أبى أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:**فضل العالم على العابد كفضلى على أدناكم. إن الله وملائكته وأهل السماء وأهل الأرض، حتى النملة في جحرها، وحتى الحوت في الماء، ليصلون على معلمى الناس الخيرـ.**

ويكفى أن صاحب القرآن يشفع في أربعين من أهل بيته؛ ولذلك يقول

(١) رواه مالك في الموطأ.

الشافعى (رحمه الله): من أراد الدنيا فعليه بالقرآن، ومن أراد الآخرة فعليه بالقرآن. ومن أرادهما معا فعليه بالقرآن.

ويقول محمد بن كعب القرظى: من قرأ القرآن فكأنما رأى النبى ﷺ. ثم قرأ هذه الآية:{**وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللهِ آلِهَةً أُخْرَى قُل لاَّ أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَـهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ**}.

وروى أحمد أن عدد درج الجنة على عدد آى القرآن، فيقال للقارئ يوم القيامة:**اقرأ وارتق. فإن كان معه نصف القرآن يقال له: لو كان عندك زيادة لزدناك**.

وهكذا يتضح لنا أن الإسلام دين حقوق فكلما أعد للوالدين كثيرا من الحقوق والبر بهما فإنه قد أعطى أيضا حقوقا للأبناء على آبائهم ورحم الله والدا أعان ولده على بره.

نسأل الله أن يعلمنا ما ينفعنا.. اللهم آمين.

* * *

حق المساكين [أصحاب الجنة]

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمد رسول الله، وبعد:

إخوة الإسلام

إن القصص القرآنى ليس قصصا عشوائيا، وإنما يهدف إلى دروس وعبر، حيث إن غايته هو الدعوة إلى الحق والهداية إلى مواقع الخير. ومن مجمل هذه القصص قصة أصحاب الجنة التي وردت في سورة القلم. حيث بينت ما كان عليه أصحاب هذه الحديقة من (بخل وشح)، وما آل إليه مصيرهم في نهاية المطاف بسبب ما أسروه وما أضمروه في أنفسهم.

بالنظر إلى حال النبى الكريم ﷺ نجده كان جوادا كريما سخيا معطاء. ولعلك تلحظ هذا الأمر عندما دخل عليه رجل ذات مرة وظل يطلب منه العطاء مرارا وتكرارا. فقال له رجل آخر: كفى يا رسول الله حتى لا ينفد ماعندك، عندها يتغير وجه النبى ﷺ، فيقول بلال بن رباح رضي الله عنه: أنفق يا رسول الله ولا تخش من ذى العرش إقلالاً، عندئذ يظهر البشر مرة أخرى على وجه النبي رضي الله عنه.

ونعود سريعا إلى سورة القلم حيث تطالعنا بقصة هؤلاء النفر الذين بخلوا بما عندهم، ولم يؤدوا حق الله فيه.. ألا وهو حق المساكين، الذي افترضه الله عز وجل عليهم. فما قصة هؤلاء؟

قال تعالى:{**إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ * وَلَا يَسْتَثْنُونَ * فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ * فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ * فَتَنَادَوا مُصْبِحِينَ * أَنِ اغْدُوا عَلَى حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَارِمِينَ * فَانطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ * أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ * وَغَدَوْا عَلَى حَرْدٍ قَادِرِينَ * فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُّونَ * بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ * قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ * قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ * فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَلَاوَمُونَ * قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ * عَسَى رَبُّنَا أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا رَاغِبُونَ * كَذَلِكَ الْعَذَابُ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ**

لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ} [القلم: ١٧ - ٣٣].

إخوة الإيمان والإسلام:

جاءت هذه القصة لتبين عاقبة هؤلاء الرجال، الذين بخلوا بما آتاهم الله من فضله وتعاهدوا على حرمان الفقراء والمساكين حقهم الذي افترضه الله لهم.

وهذه القصة من ناحية الأداء الفني تمثل إحدى طرق الأداء الفنى للقصة في القرآن، وفيها مفاجآت مشوقة، كما أن فيها سخرية بالكيد البشرى العاجز أمام تدبير الله وكيده. وفيها حيوية العرض؛ حتى لكأن السامع - أو القارئ - يشهد القصة حية تقع أحداثها أمامه وتتوالى (١).

وهذه القصة وقعت في شبه الجزيرة العربية، وأغلب الظن أنها كانت باليمن، بقرية يقال لها (ضروان) بالقرب من صنعاء. فقد كان لرجل فيها جنة عظيمة غرسها بنفسه وجعلها بينه وبين الفقراء، يأخذ لنفسه ما يكفيه، ويعطيهم سائرها، وربما كان من أهل الكتاب كما قال بذلك ابن عباس ☻.

وقال بعض المفسرين: كان أصحاب هذه الجنة بعد عيسى عليه السلام بقليل، وكان لهذا الرجل ثلاثة أولاد. فلما توفى ورث أولاده هذه الجنة العظيمة، وزادهم الله بسطة في الرزق، ولكنهم بخلوا بما آتاهم الله من فضله، ومنعوا الفقراء والمساكين حظهم من هذه الجنة. وقيل: كان منهم فتى عاقل صالح دعاهم إلى البذل والعطاء فلم يستمعوا لنصحه. فأقسما عليه أن يرضى بما عزما عليه، فأقسم وهو كاره. وبينما هم نائمون، طاف على الجنة طائف من ربك فأحرقها. فلما اقتربوا منها وانتهوا إليها حسبوا أنهم قد ضلوا، ولكنهم مالبثوا أن تداركوا أمرهم، واعترفوا بخطئهم وخطيئتهم، فندموا وتابوا وأحسنوا فيما بينهم وبين ربهم... وسألوا الله أن يبدلهم خيرا منها فبدلهم خيرا منها على ما قيل(٢).

وقوله تعالى:**{إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ}** أى: اختبرناهم وهم

(١) سيد قطب (في ظلال القرآن).
(٢) قصص القرآن.

كفار قريش فيما أهدى لهم من الرحمة، وهو بعثة النبى ﷺ، كما ابتلينا أصحاب البستان المشتمل على أنواع الثمار والفواكه - حينما حلفوا فيما بينهم ليجذن ثمرها ليلا؛ لئلا يعلم بهم فقير ولا سائل؛ ليتوفر ثمرها عليهم. ولايتصدقوا منه بشيء.

وقوله تعالى:{**وَلَا يَسْتَثْنُونَ**}. أى: فيما حلفوا به. ولهذا حنثهم الله في إيمانهم فقال تعالى:{**فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ**}.

ويذكر الدكتور/ محمد بكر إسماعيل في كتابه (قصص القرآن) أن أكثر المفسرين يفسرون قوله تعالى:{**وَلَا يَسْتَثْنُونَ**} بأنهم لم يقولوا: إن شاء الله. وهو يرى أن ماقاله المفسرون غير مقبول من وجوه:

الأول: أن تأويلهم هذا مخالف للنظم؛ إذ لو كان كما قالوا لقال جل شأنه: (ولم يستثنوا) لأن الله عبر عن القسم بالفعل الماضى، والحرف (لم) يقلب الفعل المضارع إلى الماضى، فيتحد النظم. فلابد أن يكون قوله: (ولا يستثنون) من كلامهم، أن يصرمنها مصبحين ولايستثنون من ثمرها شيئا يتعلق نظر الفقراء به.

الثانى: من جهة المعنى. وذلك لو كان الاستثناء بمعنى المشيئة لكان في ذلك إفساد للمعنى. إذ أنهم لو قالوا: إن شاء الله، لما عزموا عليه متحققا، ولكنه لم يتحقق. وهل كان عملهم هذا مبرورًا حتى يقولوا فيه إن شاء الله؟! ولو ذكروا الله تعالى حين أقسموا ما أقسموا إلا على خير. وهل القسم يكون على أمر منكر كهذا فيطلب له تزكية المشيئة، حتى يكون في ذلك ضمان لتحققه. فالاستثناء بالمشيئة لايكون إلا في الأمور المحمودة طلبا للتوفيق. وقوله تعالى:{**فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ * فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ**}. طاف من ربك.. طائف فقط!! لاندرى ماهو على وجه الحقيقة. ولكن نحن فقط الذي نقرأ الآيات، نراه في ظلام الليل، ولانتبين ماهو.. لكل مانعلمه أنه طائف من ربك.. أجل فقد شهدنا تلك اليد الخفية اللطيفة تمتد إليها في الظلام فتذهب بثمرها كله. ورأيناها كأنما هى مقطوعة الثمار بعد ذلك الطائف الخفى الرهيب [1].

(١) في ظلال القرآن.

والمتأمل لقوله تعالى:{**فَطَافَ عَلَيْهَا**} يجد فيها بيانا لمعاجلتهم بالعقاب عقب قولهم مباشرة، كما تدل الفاء الدالة على الترتيب والتعقيب والجزاء. وكأن هذا الطائف حقق لهم ما أرادوا وأرادوا أن يريحهم من هذا العناء والمكابدة، أليس هذا ما أرادوه! ولكن أين ذهب الثمر؟ إنهم لو وجدوه بين أيديهم لعدوا ذلك من نعمة الله عليهم، ولكن أين ذهب هذا الثمر؟ (١).

وقوله تعالى:{**فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ**}. قال ابن عباس: أى كالليل الأسود. وقال الثورى والسدى: مثل الزرع إذا حصد أى هشيما يبسا.

وقال ابن أبى حاتم بسند موصول عن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ:**إياكم والمعاصى. إن العبد ليذنب الذنب فيحرم ربه رزقا قد هيئ لـه** ثم تلا رسول الله ﷺ{**فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ * فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ**}. وقوله تعالى:{**فَتَنَادَوا مُصْبِحِينَ**}. لما كان وقت الصباح نادى بعضهم بعضا ليذهبوا إلى الجذاذ، أى: القطع. وقوله تعالى{*** أَنِ اغْدُوا عَلَى حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَارِمِينَ**} أى: تريدون الصرام. قال مجاهد: كان حرثهم عنبا. وقوله تعالى:{**فَانطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ**}. أى: يتناجون فيما بينهم، بحيث لا يُسمعون أحدا كلامهم ولكن الذي يعلم السر وأخفى أظهر ماكانوا يتخافتون به.

وقوله تعالى:{**أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ**}. أى: لاتمكنوا فقيرا يدخلها عليكم فهم قادرون على حرمان الفقراء والمساكين (٢).

وقوله تعالى:{**فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُّونَ * بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ**}. فلما انتهى أصحاب الجنة إلى مكان جنتهم فوجدوه حالك السواد. فقالوا: إنا مخطئون في ارتياد هذا المكان. فليس هو المكان الذي فيه جنتنا، وذلك لشدة المفاجأة وهول الصدمة. ورجعوا إلى صوابهم أيقنوا أنهم محرومون، فالجزاء من جنس العمل.

وقوله ﷻ:{**قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ**}. قال ابن عباس ومجاهد وغيرهما: أى: أعدلهم وخيرهم. ومعنى تسبحون: أى تشكرونه

(١) قصص القرآن.
(٢) تفسير ابن كثير.

على ما أعطاكم وأنعم به عليكم. وكلمة التسبيح واسعة المدلول ومعناها واسع. وقوله تعالى:{**قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ**}. والمعنى: أتوا بالطاعة حيث لاتنفعن وندموا حيث لاينجح ولهذا قالوا:{**إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ * فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَلَاوَمُونَ**}. والمعنى: أصبح يلوم بعضهم بعضا على ما اقترفوه، ووجدوا أنه لاينفع إلا التوبة والندم.{**قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ * عَسَى رَبُّنَا أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا رَاغِبُونَ**} أى: إنا قد اعتدينا وبغينا وطغينا وجاوزنا الحد حتى أصابنا ما أصابنا.

فرغبوا في بذلها في الدنيا. وقيل: احتسبوا ثوابها في الدار الآخرة. والله أعلم بذلك.{**كَذَلِكَ الْعَذَابُ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ**} أى: هكذا عذاب من خالف أمر الله وبخل بما آتاه الله وأنعم به عليه، ومنع حق المساكين والفقراء وذوى الحاجات، وبدل نعمة الله كفرا. فهذه هى عقوبة الدنيا كما سمعتم وعذاب الآخرة أشق. وقال النبى ﷺ فيما رواه البيهقى؛ من حديث الحسين بن على رضي الله عنه عن أبيه عن جده أن رسول الله ﷺ نهى عن الجذاذ بالليل والحصاد بالليل (١).

وهكذا يتضح أن القصة كانت مثلا لكل من كفر بأنعم الله، ولم يؤد شكرها، أنه سيكون حاله في الدنيا كحال هؤلاء الذين عقدوا العزم على منع الفقراء والمساكين من حقهم، وهو نوع من العذاب العاجل ينزل من الله مقدمة للعذاب الآجل وهو أكبر وأقطع. وكما يقول علماء التفسير: إن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب. فكل من سار على منهجهم وعلى شاكلتهم حاق به العذاب إما في الدنيا أو في الآخرة. وصدق الله العظيم حيث قال:{**هَاأَنتُمْ هَؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا فِي سَبِيلِ الله فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِ والله الْغَنِيُّ وَأَنتُمُ الْفُقَرَاء وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ**} [محمد: ٣٨] وقال تعالى:{**كَذَلِكَ الْعَذَابُ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ**} [القلم: ٣٣].

نسأل الله جلا وعلا ألا يؤاخذنا بذنوبنا وأن يجعلنا من أهل العطاء.. اللهم آمين.

(١) تفسير ابن كثير سورة القلم.

تكريم الإسلام للمرأة

الحمد لله رب العالمين، الذي بدأ خلق الإنسان من طين، ثم جعله نطفة في قرار مكين، ثم خلق النطفة علقة، ثم العلقة مضغة، ثم المضغة عظاما، ثم كسا العظام لحما. فتبارك الله أحسن الخالقين. وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لاشريك له، وأشهد أن سيدنا محمدا رسول الله، المبعوث رحمة للعالمين، ثم أما بعد:

إخوة الإسلام:

قال تعالى:{**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا**} [النساء: ١].

وقال تعالى:{**أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى * أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَى * ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى * فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى**} [القيامة: ٣٦ - ٣٩].

فالرجل والمرأة مصدرهما واحد. وعلى الإنسان المسلم أن يطلب من الله ﷻ أن يرزقه الذرية الصالحة سواء ذكرا أو أنثى.

قال تعالى على لسان نبي الله زكريا:{**رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً**} [آل عمران: ٣٨]. فنراه لم يطلب ذكرا على وجه الخصوص.

وقال تعالى على لسان إبراهيم عليه السلام:{**رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ**} [الصافات: ١٠٠] ولم يقل ذكرا أو أنثى.

وعلى ذلك لم يفضل الإسلام الذكر على الأنثى، بل ربما كانت الأنثى أفضل من الذكر. فهذه مريم ابنة عمران وكذلك آسية زوجة فرعون فضلهما على نساء العالمين وهما خير من ملايين الرجال الذين لم يتمكن الإيمان من قلوبهم. قال تعالى:{**وَضَرَبَ اللهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ آمَنُوا اِمْرَأَةَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ * وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ**} [التحريم: ١١، ١٢].

وكذلك نجد الغلام في قصة (موسى والخضر) الذي ورد ذكره في

سورة الكهف وقد قتله الخضر عليه السلام حيث كان فاسدا. قال تعالى:{**وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا * فَأَرَدْنَا أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا**} [الكهف: ٨٠ - ٨١].

ويستحب طلب الولد، ويكره السخط لإنجاب البنات، لأن الذي يرزق هو الله عز وجل. قال تعالى:{**لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ * أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَن يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ**} [الشورى: ٤٩ - ٥٠].

فانظر - أخى في الله - كيف قدم الله عز وجل الأنثى على الذكر؛ لأن أهل الجاهلية كانوا يستاءون من ذلك ' ولجبر النقص عند النساء، وجبر نقص التأخير بالتعريف (١).

قيل: يكفى المرأة رجل واحد حتى تعرف جنس الرجال، ولا يكفى الرجل مائة امرأة حتى يعرف جنس النساء.

إخوة الإسلام:

تعالوا ننظر سويا كيف كانت المرأة في الجاهلية؟ وكيف أصبحت؟ وماذا أعد الإسلام لها وهى صغيرة؟ وفى ريعان شبابها؟ وهى أم؟ وماذا قال عنها النبى ﷺ في حجة وداعه؟ وماذا قال عنها في نهاية حياته؟

وإذا نظرنا إلى المرأة في الجاهلية، نجد صورة قاتمة حالكة السواد، وتكفى الإشارات التالية لتبين ذلك: لقد كان أهل الجاهلية يئدون البنات؛ مخافة العار والفقر؛ أو لأجل الحمية، رغم أنها لم ترتكب شيئا أو إثما يستوجب ذلك. ولاعجب أن نرى من يقذف ابنته في البئر فيقتلها خشية العار أو الفقر.

وروى ابن ماجة والترمذى أن قيس بن عاصم رضي الله عنه أتى النبى ﷺ وقال له: إنى وأدت ثمان من البنات كن لى في الجاهلية. فقال رسول الله ﷺ: **فأعتق عن كل واحدة منهن رقبة**. فقال: إنى صاحب إبل. فقال رسول الله ﷺ:**فأهب عن كل واحدة بدنة، إن شئت**.

ولقد شدد القرآن الكريم النكير على هذا الفعل الفاحش والذنب

(١) تحفة المودود.

العظيم، وذلك في كثير من آيات الذكر الحكيم.

قال تعالى:{**وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالأُنثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ**} [النحل: ٥٨].

قال تعالى:{**وَإِذَا الْمَوْؤُودَةُ سُئِلَتْ * بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ**} [التكوير: ٨، ٩].

قال تعالى:{**وَلاَ تَقْتُلُواْ أَوْلادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاقٍ**} [الإسراء: ٣١].

قال تعالى:{**قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُواْ أَوْلاَدَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُواْ مَا رَزَقَهُمُ اللهُ افْتِرَاءً عَلَى اللهِ قَدْ ضَلُّواْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ**} [الأنعام: ١٤٠].

❖ وكانت المرأة في الجاهلية لاترث؛ بحجة أنها لاتقاتل ولاتدافع عن حمى العشيرة.

وقد رفض الإسلام العظيم هذا المسلك المشين، فقال تعالى:{**لِّلرِّجَالِ نَصيِبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاء نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا**} [النساء: ٧].

❖ كانت المرأة في الجاهلية لايعتد لها برأى وكانت تورَّث، أن يلقى أخو زوجها ثوبه على خيمتها بعد وفاة زوجها فتصبح ملكا له.

❖ كذلك نجد أن الإسلام رفض هذا الظلم. قال تعالى:{**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُواْ النِّسَاء كَرْهًا وَلاَ تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُواْ بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلاَّ أَن يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا**} [النساء: ١٩].

وروى ابن ماجة أن خنساء بنت خذام جاءت إلى النبى ﷺ فقالت: يا نبى الرحمة. إن أبى أنكحنى ولم يشعرنى. وإن عم ولدى أبا لبابة بن عبد المنذر أحب إلى فقال:**لا نكاح له. أنكحى ما شئت**.

❖ كانت المرأة في الجاهلية من السهل أن تقذف بأنها: زانية، أو يقال لها: يا فاجرة، أو تقذف بأى لون من الألوان. جاء الإسلام فحافظ على كرامة المرأة وشرفها، وجعل لقذف المرأة عقوبات شديدة يتأدب بها من تسّول له نفسه أن يرميها بالفاحشة دون أن يكون معه الدليل الأكيد لكى يثبت ادعاءه.

قال تعالى:{**وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ**

فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ} [النور: ٤].

قال تعالى:{**إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ**} [النور: ٢٣].

❖ كانت المرأة في الجاهلية تكره على فعل الفاحشة، وإن لم يكن برضاها فرغم أنفها.

فأبى الإسلام العظيم ذلك وحرمه. قال تعالى:{**وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ الله مِن بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ**} [النور: ٣٣].

إخوة الإسلام والإيمان:

هذه هى المرأة في الجاهلية، تعيش عيشة نكدة ذليلة، تعامل معاملة الحيوانات، مسلوبة الكرامة، مهيضة الجناح، لا كرامة لها.

جاء الإسلام العظيم فأعطى المرأة حقوقها، ورفع من شأنها وحافظ على كرامتها، ومن ذلك:

❖ جعل الإسلام للمرأة حق الزواج:

قال تعالى:{**وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ**} [الروم: ٢١].

❖ وحث الإسلام على حسن معاشرة النساء

❖ قال تعالى:{**وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ**} [النساء: ١٩]. وقال تعالى:{**هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ**} [البقرة: ١٨٧].

وقال النبى ﷺ فيما رواه ابن ماجه وابن حبَّان:**خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلى**ــ. وقال في حديث آخر:**حبب إلى من دنياكم الطيب والنساء**ــ.

ووصى النبى الكريم بالنساء خيرا فقال:**استوصوا بالنساء خيرا؛ فإنهن خلقن من ضلع أعوج، وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه، إن ذهبت تقيمه كسرته، وإن تركته لايزال أعوج. فاستوصوا بالنساء**

خيرا (١).

وراعى الإسلام ما قد يصدر من المرأة من انحراف في القول وحدة في المزاج لما تمر به من العادة الشهرية، ولأنها بطبيعتها تميل إلى العاطفة. وأمر الإسلام الرجال بالصبر ابتغاء وجه الله تعالى.

يقول النبى الكريم ﷺ:**لو صنعت الدهر معها معروفا، ثم رأت منك إساءة واحدة لقالت: مارأيت منك خيرا قط** (٢).

ومع ذلك على المرأة المؤمنة الحكيمة العاقلة أن تتريث في الرد على زوجها. وذلك أن الرجل والمرأة كل منهما لايستغنى عن الآخر. يصورلنا هذا الموقف أحد الشعراء وزوجته حين قال:

إن النساء شياطين خلقن لنا ::: نعوذ بالله من شر الشياطين

فقالت له زوجته:

إن النساء رياحين خلقن لكم ::: وكلكم يشتهى شم الرياحين

فإذا كانت المرأة محتاجة إلى الرجل. فكذلك الرجل محتاج إليها، بل هو لا يستغنى عنها أبدا.

❖ كذلك ساوى الإسلام بين الرجل والمرأة.

وإذا كان الله ﷻ يقول:{**الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاء بِمَا فَضَّلَ اللّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ**} [النساء: ٣٤].

فإن القوامة ليست قوامة تفضيل وتمييز، وإنما قوامة تكليف، إذ أن الرجل هو مصدر الكسب.

يقول النبى ﷺ:**إنما الناس شقائق الرجال، ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف** (٣).

❖ وكذلك جاء الحث على أمور العبادة الرجل والمرأة سواء بسواء.

قال تعالى:{**فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لاَ أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ**

(١) رواه مسلم بلفظ يقاربه.
(٢) عناية الإسلام بالمرأة في ضوء السنة.
(٣) رواه الترمذي.

أُنثَى بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ} [آل عمران: ١٩٥].

قال تعالى:{**مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ}** [النحل: ٩٧].

❖ دفع الإسلام بعض الشبهات عن المرأة:

ومن ذلك: يقال أن حواء سبب خروج آدم من الجنة فرد القرآن هذا القول فقال تعالى:{**فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَاتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلاَّ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ}** [الأعراف: ٢٠].

وفى قصة هاجر وإسماعيل حينما تركهما الخليل إبراهيم في صحراء جدباء لازرع فيها ولاماء، يقول الكثير أن إبراهيم فعل ذلك بناء على طلب سارة ورغبة لها حيث غارت من هاجر وهذا أمر مخالف للصواب حيث إن هاجر ♥ قالت لإبراهيم: آلله أمرك بهذا، قال: نعم، قالت: إذًا لا يضيعنا الله أبدا.

☒ أوصى الإسلام بالمرأة خيرا من ذلك:

* وصية الرسول بالمرأة في حجة الوداع. قال:**اتقوا الله في النساء فإنكم أخذتموهن بأمانة الله، واستحللتم فروجهن بكلمة الله** (١).

* وصية النبى الكريم في آخر حياته بالمرأة حيث قال:**الصلاة الصلاة، وما ملكت أيمانكم**.

* رفض الإسلام كراهية النساء، وجعلهن من أسباب دخول الجنة، قال تعالى:{**فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا}** [النساء: ١٩].

وقال رسول الله ﷺ:**من عال جاريتين حتى تبلغا، جاء يوم القيامة أنا وهو** " وضم أصابعه " (٢).

فهذا قليل من كثير، وغيض من فيض، من تكريم الإسلام للمرأة. فهل

(١) رواه مسلم.
(٢) الحاكم في المستدرك.

تلك الحضارة الحديثة المزعومة أعطت للمرأة تلك الحقوق التي كفلتها الشريعة الإسلامية؟ والجواب: لا، وألف لا.

نسأل الله الهداية والتوفيق.

* * *

جانب من حقوق المرأة في الإسلام

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، وسار على هداه، وأشهد أن لا إله إلا الله، أحق الحق وأمر باتباعه، وأبطل الباطل وأمر باجتنابه، وأشهد أن سيدنا محمدًا رسول الله، خير من دعا إلى الحق حتى توفاه الله. ثم أما بعد:

إخوة الإيمان والإسلام:

تتمة لما سبق بيانه عن تلك الحقوق التي أعطاها الإسلام العظيم للمرأة بعدما كانت من سقط المتاع في الجاهلية، نذكر اليوم - إن شاء الله تعالى - عددا وجانبا من الحقوق الأخرى التي أعطاها الإسلام للمرأة ومن هذه الحقوق مايلى:

❖ حق إبداء الفكر والرأى:

فقد أعطى الإسلام للمرأة حق إبداء الفكر والرأى، وقد ثبت ذلك في القرآن الكريم، حيث حلف أوس بن الصامت على زوجه (خولة بنت ثعلبة) بالظهار، وحاورت رسول الله ﷺ. فقال لها النبى ﷺ:**لا أرى إلا أنك قد حرمت عليه**. فقالت: يا رسول الله، عيالى إن تركتهم إليه ضاعوا، وإن ضممتهم إلى جاعوا.

وقد جاء في كتاب (الأسرة المسلمة أسس ومبادئ) مايلى:

لقد رفع الله شأن المرأة، واحترام رأيها، وجعلها مجادلة ومحاورة مع الرسول ﷺ، وجمعها وإياه في خطاب واحد**{والله يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا}** وكيف قرر رأيها وجعله تشريعا عاما خالدا لتعلم أن آيات الظهار وأحكامه في الشريعة الإسلامية وفى القرآن الكريم، وأن سورة المجادلة لم تكن إلا أثرا من آثار الفكر النسائى، وصفحة إلهية خالدة تلمح فيها على مر العصور والدهور صورة احترام الإسلام لرأى المرأة، وأن الإسلام لايرى المرأة مجرد متعة للرجل، بل هى مخلوق كريم عاقل مفكر، له رأى، وللرأى قيمته ووزنه.

❖ حق التعليم:

فالإسلام العظيم أعطى المرأة حق التعليم. فضمن لها حق التعليم، والوصول إلى أعلى الدرجات العلمية، ولكن شريطة أن تلتزم بالزى الشرعى؛ مخافة الأهواء والفتن.

ويقول النبى ﷺ:**طلب العلم فريضة على كل مسلم**ـ[1]. ومسلمة أيضا وهذا باتفاق العلماء وإن كانت لفظ مسلمة لم ترد في الحديث. ويقول عن السيدة عائشة رضي الله عنها:**خذوا نصف دينكم عن هذه الحميراء**ـ. أى: علم المواريث، إذ أنه نصف الدين، والسيدة عائشة كانت مرجعا للصحابة (رضوان الله عليهم) في هذا الأمر.

فالمرأة من حقها معرفة العقائد والعبادات والحلال والحرام وأهلية العقود من بيع وشراء وغيرهن وأتاح لها التوكيل فيما لا تريد مباشرته بنفسها. فقد منحها الإسلام باعتبارها إنسانا كامل الأهلية والتصرف.

بينما المرأة في الغرب لاتستطيع التصرف في مالها إلا بإذن زوجها، ولم تصل إلى التمتع بالحق الإنسانى الذي تمتعت به المرأة في ظل الإسلام.

❖ حق المرأة في العدة:

حيث شرع الإسلام العدة صيانة للأنساب وتحصينا لها من الاختلاط. إذ إن المراد معرفة أن رحم المرأة خال من الحمل من زوجها الأول قبل أن يباح لها التزوج بغيره، وأعطى الفرصة لمراجعة الزوجة قبل انقضاء العدة.

يقول الله تعالى:**{وَالْمـُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلاَثَةَ قُرُوءٍ}** [البقرة: ٢٨٨].

❖ حق الطلاق:

إخوة الإيمان والإسلام:

لقد أعطى الإسلام للمرأة حق الطلاق، إذا انعدمت العشرة بين الطرفين.

---

(١) رواه البخاري.

قال تعالى:{**وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً**}. فإذا انقطعت المودة والرحمة كان الطلاق فيصلا بين الطرفين. وكان بيد الرجل دون المرأة لأنه يتحمل تبعات الحياة والزواج والأسرة، ولأن انتهاء الزواج يصيبه بخسائر فادحة. أما المرأة فإنها بطبيعتها تميل إلى العاطفة والحنو، وكثيرا ما تتسرع في هذه الأمور، ولذلك كان من شأنها التربية والرعاية على حال الأسرة والأولاد.

وإذا كرهت المرأة المعيشة مع زوجها لسبب من الأسباب أو مخافة أن تعصى الله ﷻ جعل الإسلام لها الخلع، بأن تخلع نفسها. وترد على زوجها ما أخذته، كما حدث من امرأة ثابت بن قيس، حين اشتكت إلى النبى ﷺ فقال له النبى:**اقبل الحديقة وطلقها تطليقة**.

❖ حق التكريم في الجنة:

فمن الحقوق التي أعطاها الإسلام للمرأة أيضا (حق التكريم في الجنة)، وهذا من أعظم أنواع التكريم.

قال تعالى:{**إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاءً * فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا * عُرُبًا أَتْرَابًا**} [الواقعة: ٣٥ - ٣٧]. ومعنى هذا: أن يعاد خلقهن من جديد، حتى يكن في أحسن صورة بخلاف الدنيا. فالعجوز تعود شابة، والقبيحة تكون جميلة، ويجعلهن الله ﷻ عذارى، وكلما أتاهن أزواجهن وجدوهن أبكارا. ومعنى (عُرُباً) أى متحببات لأزواجهن عاشقات لهم. ومعنى (أترابا) أى: مستويات في السن أبناء ثلاث وثلاثين.

وفى الحديث أن امرأة عجوز أتت النبى ﷺ وقالت: ادعُ الله لى أن يدخلنى الجنة. فقال لها رسول الله ﷺ:**الجنة لا يدخلها عجوز** فبكت المرأة. فقال لها النبى ﷺ:**ألم تقرئى قول الله:{إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاءً * فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا * عُرُبًا أَتْرَابًا}**.

ويكفى المرأة الصالحة في الجنة قول النبى ﷺ فيما رواه الحاكم في المستدرك:**ما من امرأة ماتت وزوجها راض عنها، إلا قيل لها: ادخلى الجنة من أى باب شئت**.

إخوة الإسلام:

هناك بعض الأمثال التي قيلت في المرأة ونود أن نضع هذه الأمثال في ميزان الشرع.

ومن هذه الأمثال:

❖ المرأة نصف المجتمع:

ونحن نقول: أن المرأة هى المجتمع كله؛ لأنها الأم والزوجة والبنت والأخت والعمة والخالة، ومنها عمار الدنيا إن كانت صالحة تقية. أما إذا كانت المرأة طالحة فهى سبب خراب المجتمع.

❖ وراء كل عظيم امرأة:

ونحن نقول: إذا كانت المرأة عونا لزوجها ومعينة له على نوائب الدهر، وتعطيه حينما يحرمه الناس، فهى تستحق هذا القول. وكانت خديجة ﵁ أسوة للمؤمنات جميعا. لذا قال عنها رسول الله ﷺ:**أعطتنى إذ حرمنى الناس**.

وكذلك كانت أمهات المؤمنين جميعا قدوات للمؤمنات والمسلمات.

قال تعالى:**{وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ اللهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا}** [الأحزاب: ٢٩].

إخوة الإسلام:

إن الإسلام يريد المرأة المؤمنة التي تتقى ربها، وتطيع زوجها، ولاتحمله ما لاطاقة له به، ترضى بالقليل الحلال، وترفض الحرام قل أو كثر. إذ أن المرأة دورها عظيم في المجتمع المسلم. لذا أمر الإسلام باختيار الزوجة المسلمة.

ويروى في ذلك أن سيدنا إبراهيم ﵇ كان في زيارة لابنه إسماعيل. وسأل زوجته عن حال المعيشة، فاشتكت له. فقال لها: قولى لزوجك حينما يأتى غيّر عتبة بيتك. (أى: غير زوجتك) ومرت الأيام وذهب نبى الله إبراهيم ﵇ مرة أخرى لزيارة ولده إسماعيل قالت زوجته الثانية حينما سألها عن المعيشة: إنها بخير والحمد لله ﷻ فقال لها: قولى لزوجك ثبت عتبة بيتك.

وكانت المرأة في العصر الأول من الإسلام تقول لزوجها: اتق الله فينا فإننا نصبر على الجوع ولانصبر على الحرام.

إخوة الإيمان والإسلام:

وقد جاء ذكر المرأة في القرآن الكريم، وذلك في كثير من آى القرآن، مما يدل على عناية هذا الدين العظيم بالمرأة.

قال تعالى:**{ضَرَبَ اللهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَةَ نُوحٍ وَامْرَأَةَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ * وَضَرَبَ اللهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَةَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ * وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ}** [التحريم: ١٠ - ١٢].

ونريد أن نتجول حول بعض المعانى في الآيات السابقة، فنقول: معنى قوله تعالى:**{فَخَانَتَاهُمَا}** أى: قامتا بأفعال شائنة تتنافى مع صلتهما بهذين النبين الكريمين.

قال ابن كثير (رحمه الله): أى لم يوافقاهما على الإيمان ولا صدقاهما في الرسالة. وليس المقصود خيانة فاحشة.

ومعلوم أن خيانة امرأة نوح عن طريق إفشائه سره. وخيانة امرأة لوط كانت عن طريق إرشاد قومه إلى ضيوفه. مع استمرار هاتين المرأتين على كفرهما (١).

قال تعالى:**{وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ امْرَأتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ}** [القصص: ٢٣].

إخوانى في الله:

ولقد اهتم الإسلام اهتماما بالغا بالمرأة أما.

فهذا النبى الكريم ﷺ يقول:**إن الله حرم عليكم عقوق الأمهات** (٢).

---

(١) الكشاف للزمخشري.

(٢) رواه البخاري عن المغيرة.

وقال النبى الكريم ﷺ حينما جاءه رجل يسأله: من أحق الناس بحسن صحابتى؟ فقال:**أمك**ـــ قال: ثم من؟ قال:**أمك**ـــ قال: ثم من؟ قال:**أمك**ـــ قال: ثم من؟ قال:**أبوك**ـــ.

ويروى أن عبد الله بن عمر ﷺ رأى رجلا يحمل أمه فوق كتفيه، ويدور بها حول الكعبة، ثم قال لابن عمر: أبذلك قد أديت حقها؟ قال: ولا بطلقة من طلقاتها (١).

وصدق الشاعر حين قال:

الأم مدرســــــة إذا أعــــــــددتها ::: أعــــدت شـــعبا طيـــب الأعـــراق

وإعداد الأم متمثل في تربيتها، منذ أن كانت بنتا فشابة، كما حثت على ذلك الشريعة.

وإذا كان الإسلام قد أمر ببر الوالدين، خاصة الأم، فإن هذه الحضارة الغربية المزعومة لاتأمر إلا ببر الأم يوما واحدا في العام كله. وهو يوم الاعتراف بالأب والأم أو مايسمى بعيد الأم.

وأول من دعا إلى عيد الأم (آنا جارثيت) وقد نقل إلينا عن أمريكا. وكانت ولاية (وست فرجينيا) أول من استجابت لذلك، وانتشر سنة ١٩١٣ من الميلاد، وحدد يوم الأحد الثانى من شهر مايو. ثم انتشر على مستوى أمريكا كلها عام ١٩١٤ من الميلاد. ومن مظاهره: حمل زهرة قرنفل بيضاء إن كانت الأم ميتة، ووردية اللون إن كانت الأم حية.

ولكن بالنظر إلى القرآن الكريم نجد أن الله تبارك وتعالى أخبر عن أم موسى وعن صبرها وقوتها في تحمل المشاق فقال:**{وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ}** [القصص: ٧]. وكما ورد عن جريج عابد بنى إسرائيل حين كان يصلى ونادت عليه أمه ولم يجبها فدعت عليه: اللهم لا تمته حتى ينظر إلى فروج المومسات. ووقع جريج في ضائقة شديدة

(١) الكبائر للذهبي.

ومحادثات مريبة حتى نجاه الله منها مع النظر إلى بر الوالدين دومًا [١].

فاللهم إنا نسألك الثبات حتى الممات.

اللهم آمين.

* * *

(١) انظر تنبيه الغافلين.

مشاركة المرأة في أعباء الحياة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه.. وبعد:

إخوة الإسلام والإيمان:

من رحمة الإسلام بالمرأة خفض لها جناح الرحمة فيما يتعلق بتكاليف الحياة، وكفل لها من أسباب الرزق مايصونها عن التبذل، ويحميها من شرور الكدح في الحياة، فلم يضع على كاهلها أى عبء من الأعباء الاقتصادية اللازمة لمعيشتها هى نفسها. فإذا لم تكن في عصمة زوج ولا معتدة من زوج فنفقتها واجبة على أصولها أو فروعها أو أقربائها حسب الترتيب في الفقه الإسلامى لهم وجوب النفقة. وإذا كانت في عصمة زوج فنفقتها واجبة على زوجها. لافرق في ذلك بين أن تكون موسرة قادرة على الإنفاق على نفسها، أو معسرة عاجزة عنه وإن لم يكن لها زوج ولاقريب قادر على الإنفاق عليها فنفقتها واجبة على بيت المال.

و الإسلام الحنيف بتشريعاته الحكيمة و تعاليمه السمحه لم يمنع المرأه من الخروج و العمل خارج البيت و الكدح في الحياة إلى جانب الرجل و إذا كانت هناك ضروره تدفعها إلى ذلك لكي تعول نفسها أو إذا كانت تعول إخوه أو أقارب... إلى غير هذه الأمور.

إخوة الإسلام:

والأصل في المرأة هو المكث في البيت لمراعاة بيتها و أولادها، إذ أن الله فطرها علي هذه الخلقة و حث علي ذلك فقال**{وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلوةَ وَآتِينَ الزَّكَوةَ وَأَطِعْنَ الله وَرَسُولَهُ}** [الأحزاب: ٣٣].

و المستفاد من الآية:

* المكث في البيت و عدم التبرج كما كان يحدث في الجاهلية الأولى و ما نراه اليوم من تبرج و سفور هي الجاهلية الحديثة.

* إقامة الصلاة و إيتاء الزكاة و طاعة الله ورسوله كذلك نجد المولي

ﷻ يقول في كتابه الكريم{**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللهُ غَفُورًا رَّحِيمًا**} [الأحزاب: ٥٩].

و هذا الأمر الإلهي بالتستر والعفة و عدم التبرج لئلا يحصل لهن الأذى من مرضى القلوب (١).

وإذا كان الإسلام الحنيف قد أباح للمرأة ماذكرنا من الخروج والعمل، فإنه يباح لها ذلك مادامت تؤدى عملها في وقار وحشمة، وفى صورة بعيدة عن مناطق الفتنة، ومادامت تؤدى محافظة على ماسنته الشريعة الإسلامية في هذا الصدد، ومادام ذلك لايؤدى إلى ضرر خلقى أو اجتماعى ولايعوقها عن أداء واجباتها الأخرى نحو زوجها وأولادها ولايتعارض مع أوضاعها في الأسرة والمجتمع، ولايكلفها ما لاطاقة لها به، وما لاتحسن أداءه بطبعها. كما يبيح لها أن تتبرع برضاها وعن طيب خاطر لزوجها وأولادها وبيتها بثمرة جهودها أو شيء من أموالها عن الوقت المستقطع من حق بيتها وزوجها..

قال تعالى:{**فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَّرِيئًا**} [النساء: ٤].

وفى القرآن والسنة مايدل على جواز خروج المرأة إلى العمل عند الضرورة لمعاونة الرجل ومشاركته في أعباء الحياة. فنجد قصة موسى عليه السلام مع شعيب وبناته.

قال تعالى:{**وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ**} [القصص: ٢٣].

ففى هذه الآيات يصور الله لنا محنة موسى عليه السلام عندما خرج من مصر فريدا وحيدا مطاردا، وانتهى به سفره الطويل المحاط بالمتاعب والمخاطر إلى ماء مدين وهو مجهود مكدوح. وإذا به يرى مشهدا لا

(١) عناية الإسلام بالمرأة.

تستريح إليه النفس ذات المروءة السليمة الفطرة كنفس موسى ﷺ، حيث وجد الرعاة يوردون أنعامهم لتشرب من الماء، ووجد امرأتين تمنع غنمهما من ورود الماء، ودار مادار بينهما من حوار كما حكى القرآن الكريم عن ذلك:

* بيان سبب اضطرارهما للخروج من بيتها للعمل في رعى الغنم ومكابدة الحياة، وهو أن أباهما شيخ كبير، لايقدر على الرعى، ومجالدة الرجال، وليس عندهما من يقوم بهذه المهمة.

* أنهما التزمتا بالأداب التي ينبغى أن تتحلى بها المرأة وإذا اضطرتها الظروف إلى الخروج للعمل، حيث أنهما امتنعتا عن مزاحمة الرجال على الماء والاختلاط بهم.

* تلمس الطهر والعفاف والصفات الطيبة والخصال الفاضلة والنظافة التي ينبغى أن تتحلى بها المرأة عند خروجها إلى العمل.

* حينما ذهبت إحداهما إلى موسى ﷺ تطلبه لأبيها مشت على استحياء، وطلبت كل ماتريد في أقصر لفظ وأخصره. وكأن الحياء جُعل بساطا لها.

قال تعالى:{**إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا**} [القصص: ٢٥].

فمع الحياء والإبانة والدقة والوضوح، لا التلجلج والتعثر والربكة وذلك من إيحاء الفطرة النظيفة السليمة المستقيمة.

نلمح من خلال هذه القصة أن المرأة بطبيعتها تميل إلى القرار في البيت والقيام بشؤون الزوج وتربية الأبناء، ولذا عليها إذا اضطرتها الحاجة إلى الخروج للعمل خارج البيت أن تعود إليه وتستقر فيه بمجرد زوال السبب، لممارسة مهمتها الأصلية التي خلقت من أجلها (١).

إخوة الإسلام:

وكذلك دلت السنة المطهرة على أن المرأة خرجت للعمل خارج البيت ولكن عند الضرورة، ووفق الضوابط الشرعية.

(١) عناية الإسلام بالمرأة.

فقد روى الشيخان من حديث أسماء بنت أبى بكر ♥ قالت: تزوجنى الزبير، وماله في الأرض من مال ولامملوك ولا شيء غير فرسه. قالت: فكنت أعلف فرسه وأكفيه مؤنته وأسوسه، وأدق النوى لناضحه وعلفه، وأستسقى الماء، وأخرز عِرْبَه (أى: الدلو الكبير) وأعجن، ولم أكن أحسن أخبز، وكان يخبز لى جارات من الأنصار، وكن نسوة صدق. قالت: وكنت أنقل النوى من أرض الزبير، التي أقطعه رسول الله ﷺ على رأسى - وهى على ثلث فرسخ - قالت: فجئت يوما والنوى على رأسى، فلقيت رسول الله ﷺ ومعه نفر من أصحابه. فدعاني ثم قال لي: إخ إخ ليحملني خلفه. قالت فاستحييت و عرفت غيرة الزبير. فقال الزبير: والله لحملك النوى علي رأسك أشد من ركوبك معه. قالت: حتى أرسل إلى أبو بكر بعد ذلك بخادمه فكفاني سياسة الفرس، فكأنما أعتقني.

إخوة الإسلام:

هذا الحديث الشريف يشتمل على أمرين هامين:

الأمر الأول: يتعلق بمهمة المرأة الأساسية، وهى رعاية شؤون زوجها في بيته والقيام على قضاء حوائجه.

الأمر الثانى: يتعلق بخروجها من بيتها للعمل عند الاضطرار والحاجة ونقف بعض الوقت على هذين الأمرين:

أما الأمر الأول: فيتعلق بأسماء بنت أبى بكر ♥، وكانت تقوم بعلف فرس زوجها الزبير ﷺ، تكفيه مؤنته وتسوسه، وتدق النوى لناضحه وتعلفه، وتسقى الماء، وتعجن، وهذا كله من المعروف ومن المروءات التي أطبق الناس عليها - وهو أن المرأة تخدم زوجها بهذه الأمور المذكورة ونحوها من الخبز والطبخ وغسل الثياب وغير ذلك، وكله تبرع من المرأة، وإحسان منها إلى زوجها، وحسن معاشرة، وفعل معروف معه.

أما الأمر الثانى: فيتعلق بخروج أسماء ♥ للعمل، وتحمّل المشاق في جمع النوى من أرض الزبير، التي كانت تبعد بمسافة من بيتها، ثم تحمله لهذا النوى على رأسها، وتعود به إلى بيتها؛ لتعمل شغل بيتها. وقد بينت

أسماء سبب خروجها بقولها: تزوجنى الزبير وماله في الأرض من مال ولامملوك. وخرجت كذلك بسبب شغل زوجها وأبيها بالجهاد وغيره مما يأمرهم به النبى ﷺ ويقيمهم فيه.

وبذلك ضربت أسماء ♥، أروع الأمثال في أنها لم تستفز زوجها، ولم تستخدم هذا الأمر لتشين زوجها (أى: تغضبه وتنقص من شأنه).

والخلاصة:

إذا كان الإسلام قد أباح للمرأة الخروج إلى العمل في ظل نطاق شرعى، فإن الأفضل لها عملها في بيتها. أما خروجها للعمل من غير ضرورة في الجرى وراء الكماليات، والتكالب على متاعب الحياة، غير مبالية بقوله تعالى:**{وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ}** سوف يحولها إلى منهومة مال لا تشبع أبدا مهما استكثرت منه.

نعم.. من حق المرأة المسلمة أن يكون لها بيت حسن، وملبس حسن، ومطعم حسن. ولكن هذا الحسن المطلوب مشروط في الإسلام بأن يكون من غير إسراف ولا مخيلة. أما أن يكون الحصول على ذلك في مقابل التضحية بواجب الزوج والبيت والأولاد، فهذا مالايجوز لامرأة مسلمة أن تفعله (١).

إخوة الإسلام:

للمرأة نصيبها الفعال في أعباء الدعوة إلى دين الله تعالى.

قال تعالى:**{وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللهُ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ}** [التوبة: ٧١].

وقال تعالى:**{وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}** [آل عمران: ١٠٤].

(١) المرأة المسلمة وفقه الدعوة إلى الله.

وعن أبى سعيد الخدرى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:**من رأى منكم منكرا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه. وهذا أضعف الإيمان** [١]. فلفظ (من) تشمل الذكور والإناث.

ومن النساء اللاتى باشرن مهمة الدعوة: أم شريك العمرية، وأم سليم الخزرجية، أم ورقة بنت عبد الله بن الحارث الأنصارية وغيرهن كثيرات.

وللمرأة دورها في الجهاد فقد أخرج مسلم عن أم عطية الأنصارية ♥ قالت: (غزوت مع رسول الله ﷺ سبع غزوات أخلفهم في رحالهم، فأضع لهم الطعام، وأداوى الجرحى، وأقوم على المرضى).

وكذلك الصحابية الجليلة رفدة الأسلمية.

أما آن لنساء اليوم أن يتعلمن من هؤلاء؟!

نسأل الله الهداية والتوفيق.

* * *

(١) رواه مسلم من حديث أبي سعيد الخدري.

واجب المرأة نحو المجتمع

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه.. وبعد:

إخوة الإسلام:

إن الواجبات التي أناطها الإسلام بالمرأة، تعد امتدادا طبيعيا لاهتمام الإسلام بالمرأة. إذ أنها لو كان ينظر إليها باعتبارها كما مهملا، لما حمَّلها هذه المسؤولية، ولما ناط بها هذه الواجبات.

والإسلام دين الوسطية. ومن أعظم خصائصه: خاصية التوازن. فحينما أعطى المرأة الحقوق العظيمة التي سبق ذكرها في اللقاءات السابقة، فإنه في الوقت ذاته حملها هذه الواجبات؛ لتحقيق التوازن بين الجانبين. ومن هنا كان الحديث عن أهم هذه الواجبات التي كلف الإسلام المرأة بها، ومن خلالها يستطيع المجتمع المسلم أن يحصل على حقوقه.

إن واجبات المرأة نحو المجتمع لاتغنى عنها واجبات الرجل نحو المجتمع، ولعل السر في ذلك أن المجتمع الذي يبنى بناء سليم لابد أن يسهم في بنائه كل فرد فيه من رجل وامرأة، ومن صغير وكبير، ومن ضعيف ومن قوى، ومن أهم هذه الواجبات:

❖ **غض البصر عما حرم الله:**

فمن المعروف أن البصر هو الباب الواسع للقلب، وهو الذي يزين للقلب الشر والباطل، بل يملأه أحيانا بالمرض والتطلع إلى الحرام.

ولقد طالب الإسلام النساء بما طالب به الرجال بوجوب غض البصر عما حرم الله حيث قال تعالى:{**وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ**} [النور: ٣١].

وإنما خصهم بالذكر مع أنهن داخلات في عداد المؤمنين المطالبين بغض البصر في قوله:{**قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ الله خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ**} [النور: ٣٠]. لزيادة التأكيد على مطالبة النساء بغض البصر، أو لرفع توهم أن المرأة قد لايفتنها رؤية ما

لايحل لها من الرجل، فتطيل النظر إليه، ولو إلى وجهه تماما. كما منع الإسلام الرجل أن يمد عينيه إلى المرأة. فتلك فطرة فطر الله الناس عليها. الرجل يطلب المرأة، والمراة تطلب الرجل. ولاصحة لهما نفسيا وبدنيا واجتماعيا إلا بهذا التلاقى المشروع. والأديان كلها تنظم هذا التلاقى، وتضع له الشروط والآداب.

فقد أخرج أبو داود والترمذى وأحمد أن أم سلمة وميمونة قالتا: بينما نحن عند رسول الله ﷺ أقبل ابن أم مكتوم فدخل عليه، وذلك بعدما أمرنا بالحجاب. فقال رسول الله ﷺ:**احتجبا منه**ـــ فقلت: يا رسول الله أليس هو أعمى لايبصرنا ولايعرفنا؟ فقال رسول الله: **أوعمياوان أنتما. ألستما تبصرانه؟**ـــ.

فدل هذا الحديث على حرمة النظر من المرأة للرجل؛ لما يترتب عليه من مفاسد أخلاقية. أما نظرة الفجأة فإنه يعفى عنها، ولا يحاسب عليها. بخلاف النظرة الثانية فإنه يحاسب عليها، ولما ورد عنه ﷺ أنه قال لعلى رضي الله عنه فيما رواه أبو داود:**يا على، لا تتبع النظرة النظرة، فإن الأولى لك، وليس لك الآخرة**ـــ.

❖ على المرأة المسلمة من أجل المجتمع الذي تعيش فيه أن تختمر.

فعلى المرأة المسلمة أن تستر رأسها ومايبدو من جسمها ومن فتحة ثوبها في الصدر ورقبتها، وموضع القرط من أذنيها، فذلك مطلب شرعى مامنه فكاك. كما أنه مطلب لا يخضع لاجتهادات الناس في العصور أو البيئات المختلفة، فيقال: إن عصرا كهذا يمكن أن يخفف فيه فتكشف المرأة كذا. أو أن بيئة كذا شديدة الحرارة فيمكن أن تكشف المرأة فيها كذا، لأنه قد ورد في ذلك نص، وهو من الثوابت في الشريعة الإسلامية التي لاتتغير بتغير الزمان أو المكان، وإنما هو مستمر طالما كان على الأرض حياة إسلامية، وذلك بنص القرآن، فقال تعالى: **{وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ}** [النور: ٣١].

فقد روى البخارى بسنده عن عائشة ♥ قالت: يرحم الله نساء المهاجرات الأول. لما أنزل الله**{وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ}** شققن

مروطهن - وهو الإزار - فاختمرن بها).

وروى الإمام مالك بسنده عن علقمة عن أمه أنها قالت: دخلت حفصة بنت عبد الرحمن على عائشة زوج النبى، وعلى حفصة خمار رقيق. فشقته عائشة وكستها خمارا كثيفا.

وهذه الأحاديث - إخوة الإسلام - تدل دلالة واضحة على مدى سرعة استجابة نساء المهاجرين والأنصار لأمر الله تعالى بتغطية الرأس، وموضع الزينة من المرأة صيانة لها من النظرات الجائعة والسهام المسمومة، وصيانة للمجتمع من التفسخ وانتشار الرذيلة (١).

والمرأة المسلمة في هذه الأيام مطالبة أكثر من أى وقت مضى بأن تتخذ خمارا تغطى به رأسها، وسائر بدنها. وفى هذا حماية لأفراد المجتمع أن تقع عيونهم على مواضع زينة المرأة.

وبعيدا عن الخلاف المذهبى في أمر (النقاب أو الخمار). فعلى أسوأ الأمور تلجأ المرأة إلى الخمار. ولكن على أى مذهب تكشف عن شعرها ومواضع زينتها؟!!

وعلى المرأة أن تمتنع تماما عن مشية تسمع فيها صوت خلخالها أو شيئا من زينتها فإن سماع صوت الزينة كإبداء الزينة، بل أشد في إثارة الانتباه والفتنة. والمطلوب من المرأة التستر لا إظهار الزينة ولا إثارة الانتباه وقد نهى الله عن ذلك فقال:{**وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ**} [النور: ٣١].

قال ابن كثير (رحمه الله): كانت المرأة في الجاهلية، إذا كانت تمشى في الطريق، وفى رجلها خلخال صامت لايعلم صوتها، ضربت برجلها الأرض. ومن المعلوم أن الرجل الذي يغلب عليه شهوة النساء إذا سمع صوت الكعب العالى يصير داعية زائدة في مشاهدتهن.

ويقول صاحب الظلال: (إنها لمعرفة عميقة بتركيب النفس البشرية وانفعالاتها واستجاباتها. فإن الخيال يكون أقوى في إثارة الشهوات من

(١) عناية الإسلام بالمرأة.

العيان. وكثير تثير شهواتهم رؤية حذاء المرأة أو ثوبها أو حليها أكثر مما تزيد رؤية جسد المرأة ذاته. وهى حالات معروفة عند علماء الأمراض النفسية اليوم (١).

❖ ترك التعطر عند الخروج من البيت:

فلقد نهى الإسلام الحنيف عن كل ما من شأنه أن يفتح باب الفتنة على الرجال، ويثير كوامن شهواتهم، ليمضى المجتمع سليما معافىً خاليا من أدران المعصية محاطا بالعفاف والطهر؛ ولذا فإن الرسول ﷺ قد شدد العقوبة على من تخرج من بيتها وهى متعطرة؛ لما يؤديها من فتنة بعض الرجال.

والمرأة في عصرنا الحالى غريبة في هذا الأمر. إذا ماكانت ملازمة لبيتها فإنها ترتدى الثياب المهلهلة والملابس الممزقة، مما جعل الزوج ينفر منها، ويزهد فيها، ويتطلع إلى غيرها. وإذا ماكانت خارج البيت ارتدت أجمل ماعندها، وكانت في أبهى حللها. والرسول الكريم يقول في الحديث الذي رواه داود من حديث أبى موسى الأشعرى رضي الله عنه:**كل عين زانية، والمرأة إذا استعطرت فمرت بالمجلس، فهى كذا وكذا** (يعنى: زانية).

وذلك لأنها هيّجت بالتعطر شهوات الرجال، وفتحت عيونهم التي بمنزلة بريد الزنا، فحكم عليها بما حكم على الزانى.

❖ على المرأة المسلمة حفاظا منها وصيانة للمجتمع الذي تعيش فيه من الفتنة وأسبابه ألا ترقق صوتها أو تلينه.

لأن ذلك من الأمور التي حرمها الله تعالى، حيث يطمع في ذلك من كان في قلبه مرض من الرجال، أو تطلع لفسق أو غزل.

قال تعالى:{**يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا**} [الأحزاب: ٤٤].

فانظر - يا أخى رعاك الله - تجد الخطاب موجها لنساء النبى الكريم،

(١) عناية الإسلام بالمرأة.

الطاهرات العفيفات.. فما بالك بغيرهن؟! وفى زمن النبى وليس في زماننا؟

وذلك لأن الله ﷻ هو الذي خلق الرجال والنساء، ويعلم أن في صوت المرأة حين تخضع القول، وترقق اللفظ، مايثير الطمع في القلوب، ولو كانت هى زوج النبى الكريم ﷺ وأم المؤمنين. وفى ذلك سد لباب الدعابة والمزاح بين الرجل والمرأة الأجنبية؛ حتى لايكون مدخلا إلى شيء آخر قريب أو بعيد.

إخوة الإسلام:

ومن واجبات المرأة نحو المجتمع:

❖ تعلم العلم وتعليمه للآخرين:

وذلك إن كان عندها القدرة على التفهم والتفقه والتدريس. ولقد كان النساء الأول يأتين النبى ﷺكلما عنّ لهن سؤال، أو بدت لهن حاجة دون اللجوء إلى زوج أو محرم ليقوم هو سؤال النبى ﷺ؛ فربما يتكاسل أو لايفهم السؤال على حقيقته.. إلى غير ذلك. فكانت المرأة تذهب للقاء الرسول ﷺ فقالت: إن أمى نذرت أن تحج. فلم تحج حتى ماتت. أفأحج عنها؟ قال:**نعم حجى عنها**ـــ.

وروى البخارى من حديث أم سلمة قالت: جاءت أم سليم إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله إن الله لايستحى من الحق.. فهل على المرأة من غسل إذا احتلمت؟ فقال لها النبى ﷺ:**نعم، إذا رأت الماء**ـــ فغطت أم سلمة (تعنى: وجهها) فقالت: يا رسول الله أوتحتلم المرأة؟ قال:**نعم، تربت يمينك، فبم يشبهها ولدها**ـــ.

وهناك جملة من الواجبات على المرأة نحو مجتمعها أكثر من أن تحصى منها:

❖ أن تلتزم في معاملاتها بكل ما يرضى الله. وأن تلتزم بالأوامر، وتجتنب النواهى [١].

(١) عناية الإسلام بالمرأة، الأسرة المسلمة أسس ومبادئ.

❖ وختاما.. أحبائى في الله

أوجه إلى كل أخت مسلمة نداء أن تقر في بيتها قدر الاستطاعة، وألا تكون سببا من أسباب الإثارة والفتنة في عملها وفى مدرستها وعليها أن تتأدب بآداب الدين وتعاليمه، وأن تسد باب الفتنة، طاعة للملك الوهاب، ثم رحمة بالشباب.

وأقول: ألا فليتق الله النساء في الرجال.

أسأل الله جلا وعلا أن يهدينا جميعا وأن يثبتنا قولا وعملا.

اللهم آمين.

* * *

أحكام تعبدية في فقه المرأة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه.. وبعد:

إخوة الإسلام والإيمان:

يقول النبى الكريم ﷺ في الحديث المتفق عليه، عن ابن عمر ☻: **كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته. الرجل راع في بيته ومسؤول عن رعيته.**

فالمرأه المسلمة تعيش في زماننا بين قوى كثيرة، منها ما يرغبها في الخير، ومنها ما يرغبها ويحاول جذبها إلى السوء والفساد والإفساد في الأرض.

ولقد كانت المرأة في عهد اليونان والرومان أمة مملوكة في بيت وليها وأبيها، وإذا انتقلت إلى بيت زوجها فليس لها الحق في أن تملك شيئا. فجاء الإسلام وحرر المرأة، ورد إليها كرامتها واعتبارها. فهى أمام التكاليف الشرعية شقيقة الرجل: تصلى وتصوم وتزكى.

ولقد جاءت بعض النسوة إلى النبى الكريم ذات مرة وقلن له: يا رسول الله، لماذا نرى الله يذكر الرجال في القرآن الكريم كثيرا، ولايذكر النساء؟ فنزل قوله تعالى:{**وَلاَ تَتَمَنَّوْاْ مَا فَضَّلَ اللهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُواْ وَلِلنِّسَاء نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ وَاسْأَلُواْ اللهَ مِن فَضْلِهِ إِنَّ اللهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا**} [النساء: ٣٢].

ومن عناية الإسلام بالمرأة أن أنزل في كتابه سورة طويلة تسمى (سورة النساء)، و (سورة الطلاق) التي تسمى سورة النساء الصغرى. تناولت هاتان السورتان الكثير من الأحكام المتعلقة بالمرأة.

وانطلاقا من حديث رسول الله ﷺ الذي رواه البخارى من حديث أم سلمة قالت: جاءت أم سليم إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله إن الله لايستحى من الحق.. فهل على المرأة من غسل إذا احتلمت؟ فقال لها النبى ﷺ:**نعم، إذا رأت الماء** فغطت أم سلمة (تعنى: وجهها) فقالت: يا

رسول الله وتحتلم المرأة؟ قال:**نعم، تربت يمينك، فبم يشبهها ولدها**.

إخوة الإسلام:

سنتناول في هذا اللقاء بعض الأحكام التي تتعلق بالمرأة من جانب العبادات، حتى تكون على أرض راسخة، وعقيدة ثابتة، وتعبد ربها حق العبادة.

بداية: تحية إلى كل امرأة ترضى ربها، وتطيع نبيها ﷺ.

تحية إلى كل امرأة تتمسك بأمر دينها في زمن الأهواء والفتن.

تحية إلى كل امرأة تصلى وتعبد ربها في هذا الزمن على بصيرة.

وهذه هى بعض الأحكام:

أولا: حكم الأذان للمرأة:

يجوز للمرأة الأذان، وتقيم، ولكن في حالة واحدة: إذا كانت في جمع من النساء فلها ذلك. ولا يجوز مطلقا أن تؤذن في حضور الرجال، وأذانها في تلك الحالة باطل ولايعتد به. وهذا ما اتفق عليه أهل السنة والسلف الصالح.

ففى الحديث الذي رواه البيهقى في السنن الكبرى من حديث أم المؤمنين عائشة ♥ أنها كانت تؤذن، وتقيم، وتؤم النساء، وتقوم في وسطهن) (١).

ثانيا: حكم ذهاب المرأة للمسجد:

سأل رجل الإمام مالك بن أنس (عالم المدينة): هل يجوز للمرأة أن تخرج من بيتها لأداء صلاة الجماعة إذا استأذنت زوجها وأمنت الفتنة، ولم تكن قد مست شيئا من طيب، فأجاز ذلك، ثم استشهد بعدة أحاديث منها:-

ما رواه البخارى من حديث ابن عمر ☻ أن رسول الله ﷺ قال: **لا تمنعوا إماء الله مساجد الله**.

(١) فقه النساء.

وحديث أم المؤمنين عائشة ♥ أنها قالت: كانت نساء المؤمنات يشهدن مع رسول الله ﷺ صلاة الفجر، متلفعات بمروطهن، ثم ينقلبن إلى بيوتهن حتى يقضين الصلاة، لايعرفهن أحد من الغلس (١) (أى: الظلمة).

أما اليوم فإن النساء يعرفن بالواحدة وبالاسم لما نشاهده ونراه في زماننا هذا ولكن السؤال الذي يطرح نفسه: ماهو الأفضل أن تصلى المرأة في البيت أم في المسجد؟ والجواب: أفتى علماء المسلمين بأن صلاة المرأة في دارها أفضل من صلاتها في المسجد واستشهد بأحاديث منها:

ما رواه البيهقى في " السنن الكبرى " عن عبد الله عن النبى ﷺ أنه قال:**صلاة المرأة في حجرتها خير من صلاتها في بيتها، وصلاتها في مخدعها أفضل من صلاتها في بيتها—.**

وحديث:**ما صلت امرأة صلاة أحب إلى الله من صلاتها في أشد بيتها ظلمة—.**

وما رواه الطبرانى بإسناد حسن:**النساء عورة. وإن المرأة لتلبس ثيابها فيقال: أين تريدين؟ فتقول: أعود مريضا أو أشهد جنازة أو أصلى في المسجد، وما عبدت امرأة ربها مثل أن تعبده في بيتها—.**

ما رواه أحمد والطبرانى أن أم حميد الساعدية جاءت إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله، إنى أحب الصلاة معك. فقال النبى الكريم:**قد علمت. وصلاتك في حجرتك خير لك من صلاتك في بيتك...—.**

ثالثا: حكم إمامة المرأة:

جوز الإمام أحمد أن تؤم المرأة الرجال عند الحاجة. وهذا الرأى فيه نظر. فلا يجوز لها بأى حال من الأحوال.

وإذا أمت المرأة النساء وقفت في وسط الصف، ولا تقف أمامهن.

وبالنسبة للرجل فيجوز له أن يؤم النساء وحدهن، على أن يكون على مقربة منهن، وعدم مخافة الافتتان.

---

(١) فتح الباري.

وإذا أصاب المرأة شيء في الصلاة كعارض ونحوه، تقوم بالتصفيق.

ويدل على ذلك مارواه البخارى عن أبى هريرة ﵁ أن النبى ﷺ قال: (التسبيح للرجال، والتصفيق للنساء).

والحكم الرابع - إخوة الإسلام - حكم صلاة الجمعة والعيدين للمرأة [(١)].

في الحديث المتفق عليه من حديث أم عطية قالت: " أمرنا أن نخرج العواتق [(٢)] والحيض في العيدين؟ يشهدن الخير ودعوة المسلمين، ويعتزل الحيض المصلى ".

وروى أن ابن عباس ☻ قال: أن رسول الله ﷺ كان يخرج نساءه وبناته في العيدين.

أما بالنسبة لصلاة الجمعة - فلا جمعة عليها، وإن أدتها سدت مسد الظهر.

ومن هنا نستطيع أن نقول: إن صلاة المرأة في بيتها أفضل من صلاتها في المسجد. وليس هناك مانع أبدا من خروجها؛ لاستماع دروس العلم وخطب الجمعة وصلاة العيدين والكسوفين إذا التزمت الآداب الشرعية.

خامسا: عورة المرأة في الصلاة:

قال الحافظ في الفتح: ذهب الجمهور إلى أن ستر العورة من شروط صحة الصلاة. قال النبى ﷺ فيما روته السيدة عائشة، والحديث رواه أصحاب السنن:**لا يقبل الله صلاة حائض إلا بخمار**. أى: من بلغت سن المحيض.

وعلى المرأة أن تختمر بدرع وخمار. أم الدرع السابغ فهو القميص أو الجلباب كامل السترة الذي يفيض عليه القدم. والخمار هو ثوب تغطى به المرأة رأسها.

(١) فقه المرأة المسلمة.
(٢) أي النساء الأبكار.

قال ابن عبد البر: وقد أجمعوا على أن المرأة تكشف وجهها في الصلاة والإحرام. أى من ترتدى النقاب ترفعه من على وجهها حين تصلى، قلت: وكذلك اليدين تخلع القفازين.

أحبابى في الله:

هناك خطأ يقع فيه الرجال والنساء. إذا كان ساجدًا فإنه من تمام السجود تمكين الأنف والجبهة من الأرض، فإن بعض الرجال يقع في خطأ حين لايرفع عن جبهته ما يرتديه مثل الطاقية. وبعض النساء يقع في خطأ حين لاترفع الخمار أو جزء من النقاب من تحت جبهتها.

وهناك خطأ آخر حين يرفع البعض أصابع القدمين أثناء السجود، بل على المصلى أن يمكن بطون أصابعه من الأرض موجها الأصابع نحو القبلة (١).

وهذا سؤال آخر. مالحكم لو ظهر شيء من الشعر أو القدم. هل تبطل الصلاة أم لا؟

الجواب: إذا انكشف شيء يسير من الشعر، لايصل إلى ربع الشعر

بالنسبة للمرأة فليس عليها إعادة. أما إذا انكشف شيء كثير يتعدى ربع الشعر وجب الإعادة.

أما بالنسبة للقدمين: يستثنى ظاهر القدمين، فإنه ليس بعورة على الأصح. بخلاف باطنهما فإنهما عورة.

فقد روى الجماعة عن ابن عمر ☻ أنه قال: قال رسول الله ﷺ: **من جر ثوبه خيلاء، لم ينظر الله إليه يوم القيامة**ـــ. فقالت أم سلمة: فكيف تصنع النساء بذيولهن؟ قال:**يرخين شبرا**ـــ. قالت: إذن تنكشف أقدامهن. قال:**فيرخينه ذراعا ولا يزدن عليه**ـــ.

وأنت ترى - معى أخى المسلم - أننا في هذه الأيام نخالف هذا الهدى النبوى الشريف. فقد تفننت النساء في تقصير الثياب، ناهيك عن التكشف والعرى. كذلك نرى كثيرا من الرجال يجرجن ثيابهن كأنهم ينظفون

(١) فتاوي النساء، ابن تيمية.

الطريق مما فيه من أذى مخالفين هدى رسول الله ﷺ حيث يقول أمر الرجال بتقصير ثيابهم:**ذلك أنقى لثوبك، وأتقى لربك**.

والحكم الآخر - عباد الله - حكم لبس البنطال؟

إذا كان مجسدا للعورة، مخالفا للشرع يبطل الصلاة، وذلك الرأى الراجح، والأولى الخروج من هذا المأزق، أو ينزل عليه شيء طويل ساتر له.

- حكم حمل المرأة للصغير أو الصغيرة أثناء الصلاة.

قد تضطر بعض الأمهات إلى تأخير الصلاة أحيانا، لبكاء وليدها أو وليدتها، وعدم كفه عن البكاء إلا بحمله. فهل لو أنها حملته هل تجوز صلاتها؟

نعم تجوز صلاتها. ويدل على ذلك مايلى:

ثبت عن النبى ﷺ كما روى أصحاب السنن، أنه صلى وأمامة بنت زينب ابنته على رقبته. فإذا ركع وضعها، وإذا قام من سجوده أخذها فأعادها على رقبته.

* وكان الحسن والحسين يركبان على ظهر النبى ﷺ في الصلاة أثناء السجود، فكان يطيل السجود؛ حتى يقضيا حاجتهما.

- حكم صيام المرأة إذا نزل عليها الدم:

إذا نزل الحيض على المرأة ولو قبل المغرب بدقائق تفطر، وإن لم تفعل تكن آثمة، وتقضى ماعليها من صيام، ولاتقضى ماعليها من صلاة. وإذا طهرت المرأة من الدم قبل الفجر بقليل تصوم ولها أن تغتسل بعد ذلك. كما أن الرجل إذا جامع زوجته ليلا، فلهما أن يؤخرا الغسل للصباح للضرورة.

إخوة الإسلام:

وهناك بعض الأحكام الأخرى التي تتعلق بفقه المرأة:

*** حكم أخذ الحبوب لمنع الدورة:**

هذا شيء كتبه الله على بنات آدم وحواء. فإذا لم تجد المرأة ضررا في هذا الأمر، فلا بأس به وإن وجدت فلتفطر فهى من ذوى الأعذار.

*** حكم من قامت فوجدت نفسها محتلمة:** تغتسل وتكمل صومها.

*** حكم المرأة إذا أدخلت أصبعها في فرجها وهى صائمة:** هناك خلاف بين العلماء، والأصح ألا شيء عليها.

*** صيام المرأة الحامل:**

للحامل والمرضع إن خافتا الضرر أن تفطرا، وعليهما القضاء. وكذلك يجوز الفطر للنفساء.

*** اعتكاف المرأة:**

الاعتكاف جائز في حق النساء. ولكن بشروط:

أن يكون في المسجد، ويكون هناك أمن من الفتنة عليها. خلافا للحنفية حيث قالوا بجواز الاعتكاف بعد استئذان ولى الأمر.

إخوة الإسلام:

والاعتكاف معناه: الإخلاص والقرب من الله ﷻ، حيث إن الإنسان في معتكفه يقضى وقتا طيبا مباركا في طاعة الله ﷻ، ولايلتمس شيئا من الاعتكاف إلا القرب من الله ﷻ.

أما بالنسبة للمريض والمشلول فلهما أن يعتكفا في بيتهما إذا لم يقويا على الذهاب إلى المسجد، طبقا للقاعدة الشرعية: (الضرورات تبيح المحظورات). فهذه بعض الأحكام التي تتعلق بالمرأة وهى في حاجة ماسة إلى معرفتها حتى تعبد ربها عبادة صحيحة فتفلح في الدنيا وتنجح في الآخرة.

نسأل الله أن يعلمنا ما ينفعنا وأن ينفعنا بما علمنا.. اللهم آمين.

* * *

البركة . . . وصلة الأرحام

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه.. وبعد:

إخوة الإسلام:

إن الله سبحانه وتعالى حينما خلق الإنسان سخر له الكون ومافيه، وعلمه ماينفعه، وأطلعه الله على بعض الأمور التي تختص به. وكذلك أطلع الله نبيه على بعض الغيبيات المطلقة، واستأثر الله نفسه بأمور الغيب، وهو الغيب المقيد. ومن هذه الغيبيات التي استأثر الله نفسه بها: الرزق والأجل ولقد جاءت الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، وبينت أن الله ﷻ هو الذي قد تكفل بالأرزاق، وجعل التفاوت بين الناس، وبين أيضا أن الأجل بالنسبة للإنسان إنما هو بيد الله عز وجل.

قال تعالى في الرزق:{**وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ * فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ**} [الذاريات: ٢٣]. وهذه الآيات حينما سمعها أعرابى لبيب قال من ذا الذي أغضب الجليل حتى حلف.

وقال تعالى:{**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ * مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ**} [الذاريات: ٥٦، ٥٧]. فالهدف الرئيسى من خلق الإنسان هو عبادة الله عز وجل وتوحيده.

وقال تعالى:{**والله فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الْرِّزْقِ فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُواْ بِرَآدِّي رِزْقِهِمْ عَلَى مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ أَفَبِنِعْمَةِ الله يَجْحَدُونَ**} [النحل: ٧١].

وقال تعالى في قضية الأجل:{**إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَلاَ يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلاَ يَسْتَقْدِمُونَ**} [يونس: ٤٩].

ويقول النبى ﷺ في الحديث الصحيح:**إن أحدكم يُجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوما نطفةً، ثم يكون علقةً مثل ذلك، ثم يكون مضغةً مثل ذلك، ثم يُرسل إليه الملك فينفخ فيه الروح، ثم يُؤمر بأربع كلمات: رزقه، وأجله، وعمله، وشقي أو سعيد**ـــ إذا فرزق الإنسان وأجله أمر عينى

لايعلمه إلا الله ويكتب للإنسان وهو مازال في بطن أمه وقبل خروجه إلى الحياة روى الإمامان البخارى ومسلم من حديث أنس بن مالك، أن النبى ﷺ قال:**من سره أن يبسط له في رزقه، وينسأ له في أثره، فليصل رحمه**.

ونقف - إخوة الإسلام - مع هذا الحديث الشريف.

قوله ﷺ:**من سره**: السرور أشد من الفرح، وأبعد عن العجب والغرور، ولايؤدى بالعبد إلا إلى محمود الخصال والأفعال. قال تعالى:{**فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ * فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا * وَيَنقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا**} [الانشقاق: ٧ - ٩].

وقوله ﷺ:**أن يبسط له في رزقه** على سبيل الحقيقة. وهو من البسط، وهو الاتساع الذي لايحد بحد. فيذوق العبد حلاوة الرزق ويوفق لشكر الله، وينال ثواب الدنيا والآخرة. وقد يكون على سبيل الكناية: أى كناية عن البركة؛لأن صلة أقاربه صدقة والصدقة تربى المال فتزيد فيه فينمو بها، فيشعر الإنسان بالقناعة وسد الحاجة (١).

قال تعالى:{**قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ**} [سبأ: ٣٦].

وقول النبى الكريم:**وينسأ له في أثره** أى يؤخر في بقية عمره، وسمى الأجل أثرا لأنه يتبع العمر فإن من مات لايبقى له حركة، فلا يبقى لقدمه في الأرض أثر.

إخوة الإيمان والإسلام: والسؤال الذي يفرض نفسه الآن: هل تأخير الأجل في هذا الحديث على سبيل الحقيقة أم المجاز؟

والجواب: للعلماء في ذلك أقوال: -

القول الأول: أن التأخير كناية عن البركة في العمر. وذلك بسبب التوفيق إلى الطاعة، وعمارة الوقت بما ينفع في الآخرة، وصيانة الوقت عن أن يضيع فيما لافائدة فيه. ويؤيد هذا القول ماورد أن النبى ﷺ أعطاه

(١) وصايا الرسول، د/ بكر إسماعيل.

ليلة القدر؛ بسبب تقاصر أعمار أمته بالنسبة لأعمار من مضى من الأمم.

وحاصل ذلك: أن صلة الرحم تكون سببا للتوفيق للطاعة، والصيانة عن المعصية فيبقى بعده الذكر الجميل، كأنه لم يمت.

وقد أخرج الطبراني في الصغير والكبير بسند ضعيف عن أبى الدرداء ﷺ قال: (ذكر عند رسول الله من وصل رحمه، أنسئ له في أجله فقال:**إنه ليس زيادة في العمر، قال تعالى:{إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَلاَ يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلاَ يَسْتَقْدِمُونَ} ولكن الرجل تكون له الذرية الصالحة، يدعون له من بعده ـــ**.

قال ابن فورك [1]: زيادة العمر نفى الآفات عن صاحب البر في فهمه وعقله.

القول الثانى: أن الكلام على سبيل الحقيقة. وذلك بأنه إذا وصل رحمه (أتم وزكى) وإن قصر نقص. وقد سبق في علم الله أن يصل أو يقطع. أو أنه يكتب مقيدا بشرط، كأن يقال: إن وصل رحمه فله كذا، وإلا فكذا.

قال ابن قتيبة: يحتمل أن يكتب أجل العبد مائة سنة، وتزكيته عشرين. فإن وصل رحمه زاد التزكية.

ولنعلم أن المكتوب عند الملك الموكل به، غير المعلوم عند الله. فالذى اطلع عليه الملك هو الذي يدخله الزيادة والنقصان والمحو والإثبات والحكمة في ذلك: ليعلم فضل البر وشؤم القطيعة. ومافى علم الله ثابت قال تعالى:**{يَمْحُو اللهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ}** [الرعد: ٣٩].

فما في علم الكتاب قضاء مبرم. أما مافى علم الملائكة فقضاء معلق وورد عن عمرو بن العاص ﷺ كما في الترغيب والترهيب:**إن الإنسان ليصل رحمه، ومابقى من عمره إلا ثلاثة أيام، فيزيد الله في عمره ثلاثين سنة. وإن الرجل ليقطع رحمه، وقد بقى من عمره ثلاثون سنة. فينقص الله من عمره حتى لا يبقى إلا ثلاثة أيام ـــ**.

---

(١) فتح المبدي في مختصر الزبيدي.

وقول النبى الكريم (فليصل رحمه): وهو كل رحم أو وارث أو قريب مطلقا من جهة الأب أو الأم.

ومفهوم الصلة إما أن يكون بالمال أو بالخدمة، أو بالزيارة أو بالمراسلة قال تعالى:**{وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلاَ تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا}** [الإسراء: ٢٦].

وروى مسلم من حديث أبى هريرة ﵁ أن رجلا قال: يا رسول الله، إن لى قرابة أصلهم ويقطعوننى، وأحسن إليهم ويسيئون إلى. وأحلم عنهم، ويجهلون على. فقال الرسول ﷺ:**إن كان كما قلت فكأنما تسفهم المل** (١)**، ولايزال معك من الله ظهير** (٢) **مادمت على ذلك**.

وقول النبى الكريم كناية عن مضاعفة الأجر له، وشدة العذاب لهم.

ولهذا يتضح أن صلة الرحم تكون سببا رئيسيا في سعة الرزق وتأخير العمر أيا كان ذلك على سبيل الحقيقة أو على سبيل المجاز أى (البركة في الشيء).

نسأل الله جل وعلا أن يجعلنا ممن يصلون أرحامهم.

ويبارك لهم في أرزاقهم.

اللهم آمين.

* * *

(١) الملل: الرماد المحمى.

(٢) ظهير: ناصر ومعين.

معالجة الإسلام لمشاكل البنات

الحمد لله الذي أعطى وأكدى، أغنى وأقنى، وأشهد ألا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، وبعد:

إخوة الإسلام:

لله إرادة ولله مشيئة في أن يتنوع الإنجاب بين الذكور والإناث، أو يقتصر على جانب منهما، وربما يكون الإنسان عقيما لا ينجب، وهو من تمام قدرته.

والله عز وجل يحب من عباده أن يأخذوا بالأسباب ويترك الأمر لله جل وعلا.

قال تعالى:{**لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ * أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَن يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ**} [الشورى: ٣٩].

يقول ابن القيم في (تحفة المودود): بدأ بالإناث جبرا لهن، وقيل هو أحسن؛ لأنه فاعل ما يشاء، لا ما يشاء الأبوان، وجبر نقص الأنوثة بالتقديم، وجبر نقص التأخير بالتعريف.

إخواني في الله:

ننبه على أخطاء يقع فيها الكثير من الرجال. ومن هذه الأخطاء:

❖ **الحزن إذا بشر الإنسان بالأنثى:**

فهذا خلق جاهلي، نهى عنه الإسلام. ذلك أن الإنسان المؤمن بربه ينبغي أن يكون فرحه بالأنثى أكثر وأشد من فرحة الذكر؛ حتى يخالف أهل الجاهلية.

قال تعالى:{**وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ * يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلاَ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ**} [النحل: ٥٨، ٥٩].

❖ **ظلم المرأة إذا أنجبت بنات ولم تنجب ذكرا:**

فنجد المشاكل الكثيرة تقع بين الزوجين؛ بسبب إنجاب البنات، فيتطلع إلى الزواج بأخرى، وكثيرا مايؤذى زوجته بهذا الأمر. وهذا الأمر إنما يدل على عدة أمور منها:

* **اليأس من رحمة الله تعالى:** فالله أكبر من كل شيء. وكم من نساء كثيرات قد أنجبن البنات، ثم رزقهن الله بالذكور قبل سن اليأس.

* وما فعله الزوج إنما هو ظلم فادح للمرأة، حيث لا دخل لها في هذا الأمر.

وقد يسعى الرجل للزواج بزوجة ثانية وربما ثالثة؛ لينجب ذكرا.

ونحن نعرف أن الإسلام أباح للرجل أن يجمع بين أكثر من زوجة إلى أربع زوجات. ولكن بشروط وضعها الشرع الحكيم منها: أن يكون عنده المقدرة على ذلك، ومرض الزوجة الأولى مثلا... إلى غير ذلك. لكن الزواج لمجرد إنجاب الذكر فقط فهذا فيه خطر شديد على الرجل، لأنه غالبا سيسيء معاملة البنات، ولن يحسن تربيتهن. ونقول لهذا الرجل: اتق الله، وعامل زوجتك بما يرضى الله، وتول رعاية بناتك، فرب بنت خير من عصبة من الرجال، ولقد حذر النبى الكريم من ظلم الزوجة فقال ﷺ: **من كانت له امرأتان، ولم يعدل بينهما. جاء يوم القيامة وشقه مائل**ـــ [١].

ومن الأخطاء الفادحة التي يقع فيها أيضا الكثير من الرجال وأولياء الأمور:

❖ **عدم مراقبة البنات.**

فالنبى ﷺ يقول:**من ابتلى من هذه البنات بشيء، فأحسن إليهن كن له سترا من النار**ـــ [٢].

(١) رواه النسائي وأحمد عن أبي هريرة.
(٢) رواه البخاري من حديث عائشة.

ومع هذا الأجر الجزيل الذي يناله من يحسن تربية بناته، فإننا كثيرا مانرى مواقف خاطئة، أو سلوكيات منحرفة، أو أحلاما طائشة. فالفلاح يكمن في حسن التربية الخلقية؛ حتى يتسنى للإنسان فيما بعد أن ينمى ملكة المراقبة الذاتية، بحيث يستشعر كل إنسان حقيقة أن الله مطلع عليه ويراقبه. كما أخبرنا ربنا في كتابه على لسان لقمان وهو يعظ ابنه:{**يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللهُ إِنَّ اللهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ**} [لقمان: ١٦].

وعند تحقق المراقبة الذاتية لايحدث انحراف في السلوك.

❖ عدم الاهتمام بفقه البنات:

فلا بد أن نوقن - إخوة الإسلام - أن من الجوانب المهمة، ذات التأثير البالغ في سلوكيات الفتاة، أن ترى القدوة الحسنة متمثلة في أمها. كل ذلك مترجم عمليا. وإذا ماكان الخجل والحياء يعترى الفتاة عند بلوغها؛ لما طرأ عليها من تغيرات نفسية وبدنية، فإن هذا الأمر يتطلب معرفة الفتاة كل مايخصها من هذه السن؛ حتى تستطيع أن تتعامل معه. ولا يكون هذا إلا من خلال " الفقه الإسلامى " وذلك من خلال جوانب الطهارة. فإذا كنا في سن السابعة نقول للصغير: توضأ؛ وإذا ماحدث منك أحد نواقض الوضوء جدد وضوءك، فيجب أن تتعلم الفتاة كيفية الغسل؛ فإن صحة الصلاة موقوفة على صحة الطهارة. وقد قال النبى ﷺ:**لا يقبل الله الصلاة بغير طهور ـــ** (١).

وهناك أبواب كثيرة في الفقه تتمثل في الحديث عن الحيض والنفاس والاستحاضة وموجبات الغسل ومايحرم على الجنب إلى غير ذلك. وكل ذلك في إطار شرعى بحت. وقد أخبر النبى ﷺ في الحديث المتفق عليه، من حيث معاوية:**من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين ـــ**.

إخوة الإسلام:

لقد أباح الإسلام للبنات والنساء ممارسة الرياضة، التي تحفظ لهن

(١) رواه الجماعة إلا البخاري.

أبدانهن سليمة قوية، ولكن بشروط: ألا تكون رياضة محرمة كرياضة الجمباز للنساء، وألا تؤدى إلى كشف عوراتهن، وألا تكون رياضة مثيرة لفتنة وما عمت به البلوى الآن (مصارعة النساء ورفع الأثقال).

ويمكن أن نقول: إن النساء بصفة عامة محظور عليهن ممارسة الرياضة أمام الرجال، فمهما كانت المرأة ملتزمة بالزى الإسلامى، فإنه لا يليق أمام تجمعات الرجال. فإذا أضيف إلى ذلك عرى شبه كامل لبدن المرأة، فهذا خزى وعار لا يليق بالمسلمة بأى حال من الأحوال.

وقد قال الله ﷻ:**{وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ}** [النور: ٣١].

فإذا كان هذا كما قال المفسرون القدامى أن المرأة تلبس في رجلها خلخالا، وتمشى بطريقة معينة فيها فتنة وإثارة - فاليوم تمتد الآية الكريمة لتشمل الرقص بأنواعه كلها؛ فهو قائم على ضربة الرجل وحركتها بطريقة معينة تثير الغرائز وتذهب بحياء المرأة.

إخوانى في الله:

وأود أن أقف مع حضراتكم لبعض الوقت مع تلك المشكلة الخطيرة وهى مشكلة (هروب البنات).

فقد ذكر فضيلة الدكتور / محمد سيد المسير في مقال له أن هناك أسبابا عدة أدت إلى ظهور ظاهرة هروب البنات وهى:

أولا: السبب التربوى: ذلك لأن هروب فتاة في مقتبل الحياة ومرحلة المراهقة يعد مؤشرا خطيرا لسوء التربية داخل الأسرة، ودليلا على تفكك العلاقة الأسرية وانهيار القيم، وأن حسن التربية يقتضى أن يكون في إطار المودة والرحمة عنوانا للأسرة. يقول تعالى:**{وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ}** [الروم: ٢١]. ويأتى ذلك في الأب والأم والحفاظ على أولادهم. كل ذلك في إطار قوله تعالى:**{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ}** [التحريم: ٦].

وعند فساد الجانب التربوى تحدث الهزات، وتؤدى إلى هروب البنات، لنقص تربيتهن وضمور عقولهن.

ثانيا: السبب الاجتماعى: فهناك أسباب اجتماعية قد تدفع البنت إلى الهروب فقد تمر الأسرة بظروف كموت الأب أو فقد العائل أو موت الأم وزواج الأب بامرأة أخرى أو سفر الأب وعمل الأم.

كل ذلك يجعل البيت بلا رقابة ولامسؤولية. ولو أن الدين متمكن في النفوس ومسيطر على العلاقات ما وقعت هذه المآسى، حيث إنه بوقوع هذه الأشياء أو أحدها لابد من التعامل مع الواقع.. وإذا قلنا أن الإنسان في حاجة ماسة إلى المال. فما هو قيمة المال مع الانحراف؟ وماقيمة المال في يد السفهاء؟

ثالثا: السبب الاقتصادى: وليس المقصود بالسبب الاقتصادى الفقر وحده. بل قد يؤدى الغنى إلى نفس الظاهرة. فالغنى إذا وصل إلى مرحلة الترف أصبح قاتلا. فإذا أخذ الأبناء والبنات أموالا تفوق حاجتهم قد يدفعهم ذلك إلى الانحراف. ويتمثل هذا الانحراف في أحد جانبين:

إما حب الظهور والكبرياء - وإما الوقوع في الحرام مما يؤدى إلى هروب البنات، والفقر والغنى وحده ليس مسؤولا. إنما سيظهر ذلك عند فقد وضعف الدين.

ولن يعيب البنت أن تكون من أسرة فقيرة طالما كانت شريفة العرض، زكية النفس، ولن تشرف البنت بالأموال إذا كانت سفيهة متندلة، لاتمنع يد لامس. إن الفقر ليس عيبا، وإن الغنى ليس شرفا. وإنما كرامة الإنسان في دينه وعقله وأخلاقه.

وهذه نصيحة ثلاثية إذا ما أردنا علاج ظاهرة هروب البنات.

فعلاج هذه الظاهرة يشتمل على أطراف ثلاثة:

أولاً: الأسرة:

ننصح الأسرة بأن تحدد الواجبات من خلال تعاليم الإسلام، وأن يلتزم كل إنسان فيها بما يرضى الله عز وجل، وعلينا أن نفسح قدرا للمشورة

داخل الأسرة وتبادل المعرفة، حتى لايكون هناك تسلط للرأى. ومهما كانت الخلافات فعند الخشية من الله تزول كثير من الأهواء.

ثانيًا: البنت الهاربة:

ننصح البنت الهاربة بأن تضبط مشاعرها، وأن تتحفظ في أخلاقها، وأنها في بعدها عن الأسرة تكون في مهب الريح، وتفقد الكثير مما ستندم عليه بعد ذلك، وتذرف بدل الدمع دما... ولات ساعة مندم... وعندها تتلقفها شياطين الإنس، ويتخذونها بضاعة مزجاة في أسواق النخاسة.

ثالثًا: من يلتقى بالبنت الهاربة:

نتوجه إليه بالنصح بأن يكون أمينا معها، يأخذ بيدها إلى أسرتها، ويعيدها إلى رشدها، ويؤكد لها خطيئة فعلها، ويعالج مع أسرتها أسباب الخلاف.

ألا وليتذكر مثل هذا الإنسان أن له بنات وأخوات، يمكن أن يحدث لهن مثل ما حدث لهذه البنت - فليتعامل معها بما يجب أن تتعامل به بناته وأخواته إذا وقفن مثل هذا الموقف.

البر لا يبلى، والذنب لا ينسى، والديان لا يموت، اعمل ما شئت فكما تدين تدانـــ كما أخبر النبي الكريم ﷺ.

وهكذا يتضح أن حسن التربية يؤدى إلى الاستقرار والأمان وأن سوء التربية يؤدى إلى الفساد والهلاك.

نسأل الله السلامة من كل إثم، والغنيمة من كل بر، اللهم آمين.

* * *

الفصل الخامس
أخلاق نهى عنها الإسلام

لا تغضب.
القلق النفسي.
الكذب وعواقبه الوخيمة.
آ كلة لحوم البشر.
الغفلة المهلكة.
الكبر وخيم العاقبة.
الكبر بين القرآن والسنة.
أسباب التكبر.
كيفية معالجة الكبر.

لا تغضب

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد ألا إله إلا الله، وحده لاشريك له.. وبعد:

إخوة الإسلام:

وسنتحدث في هذا اللقاء عن هذا المرض العضال، والداء القتال - ألا وهو الغضب - في العناصر الخمسة التالية:

أولا: مفهوم الغضب

ثانيا: فضل من يكظم غيظه وغضبه.

ثالثا: الغضب المحمود

رابعا: مواقف في الصبر على الغضب.

خامسا: ماهو العلاج؟

❖ **أولا: مفهوم الغضب:**

إن الغضب - ياعباد الله - آفة تسلب لب الإنسان في كثير من الأحيان، وتطغى على مشاعره الجياشة بالحب؛ فتفسدها وتعكس أوضاعها، وتحدث في النفس لوعة وأسى، والغضب كما يؤثر على القوى العقلية والنفسية، يؤثر بالضرورة تأثيرا شديدا على القوى العصبية والأوعية الدموية، فيصاب المرء المغضب أو المغضوب باضطراب شديد في هذه الأجهزة وارتفاع في ضغط الدم، وسرعة شديدة في ضربات القلب. وأكثر الأمراض التي يعانى منها الإنسان سببها الغضب الشديد كما يقرر الأطباء.

وفى الحديث الذي رواه البخارى من حديث أبى هريرة ﷺ أن رجلا قال للنبى ﷺ أوصنى. قال:**لا تغضب**ـــ ورددها النبى ﷺ مرارا، قائلا:**لا تغضب**ـــ وهذه الوصية من الوصايا التى جمعت أسباب الخير كلها أو أكثرها، وحذرت من خلائق الشر كلها أو أكثرها، ونبهت القلوب الواعية إلى أخطار الغضب وويلاته وثمراته المرة وعواقبه الوخيمة وآثاره المدمرة. لهذا نجد أن النبى ﷺ لم يرد على هذا الرجل في هذه الوصية مع

الحاح الرجل في الزيادة عليها، وكأن النبى الكريم يريد أن يخبره بأن الغضب لا يأتى بشيء، وأن في تركه سلامة الدين ومتعة الحياة. ذلك أن الإسلام يدعو إلى مكارم الأخلاق، والحلم والعفو، والصفح من أعظمها.

والغضب يحدث هيجانا حادا عند الإنسان ينتج عنه احمرارا في الوجه، وخفقانا في القلب، وزيادة في النبض، وتتابع في الأنفاس. إنه تحول عجيب يخرج الإنسان عن طوره، فينقلب إلى شكل مخيف تأباه النفوس وتكرهه القلوب وأشمل وصف لحالة الغضب، وصف النبى ﷺ للغضب في الحديث الذي رواه أحمد في مسنده، يقول فيه النبى الكريم:**ألا وإن الغضب جمرة في قلب ابن آدم. أما رأيتم إلى حُمرة عينيه وانتفاخ أوداجهـــ**.

والغضب - والعياذ بالله - مرتبط بالكبر والاستعلاء والظلم والتعدى؛ ولهذا كان طريقا مهلكة وأرضا موحشة تأباه القلوب الكريمة، والعقول الكبيرة، والفطر السليمة [١].

روى أحمد في مسنده من حديث ابن عباس ☻ أن النبى ﷺ قال:**إذا غضب أحدكم فليسكتـــ** قالها ثلاثا.

وروى البخارى ومسلم في صحيحيهما عن سلمان بن صرد ؓ قال: " استتب رجلان عند النبى ﷺ، ونحن عنده جلوس، وأحدهما يسب صاحبه مغضبا قد احمر وجهه. فقال النبى ﷺ:**إنى لأعلم كلمة لو قالها لذهب ما يجد، لو قال: أعوذ بالله من الشيطان الرجيمـــ**. فقالوا للرجل: ألا تسمع ما يقول النبى ﷺ؟! قال: " إنى لست بمجنون ". وقول الرجل إنى لست بمجنون كلمة فيها غلظة وسوء أدب. ودفعه لقولها الغضب، نعوذ بالله من شره.

وعلى المسلم إذا اشتد غضبه أن يذكر قول الله تعالى في أوصاف المؤمنين:**{وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ}** [الشورى: ٣٧].

وقد روى البخارى ومسلم في صحيحيهما عن أبى هريرة ؓ أن

(١) وصايا الرسول طه العفيفي.

النبى ﷺ قال:**ليس الشديد بالصُّرَعة، إنما الشديد الذي يملك نفسه عن الغضب**ـــ.

وفى صحيح مسلم عن ابن مسعود ؓ أن النبى ﷺ قال:**ما تعدون الصرعة منكم؟**ـــ قلنا: الذي لاتصرعه الرجال. قال:**ليس ذلك، ولكنه الذي يمسك نفسه عند الغضب**ـــ.

وروى أبو داود أن النبى ﷺ كان ذات يوم جالسا بين أصحابه، فوقع رجل بأبى بكر ؓ فآذاه. أى: سبه فصمت عنه أبو بكر. ثم آذاه الثانية، فصمت عنه أبو بكر. ثم آذاه الثالثة، فانتصر أبو بكر فقام الرسول ﷺ فقال أبو بكر ؓ أو حدث على يا رسول الله؟ فقال رسول الله:**نزل ملك من السماء يكذبه بما قال لك. فلما انتصرت ذهب الملك وقعد الشيطان. فلم أكن لأجلس إذن مع الشيطان**ـــ.

❖ ثانيا: فضل من يكظم غيظه وغضبه

إخوانى في الله: في الحديث الذي رواه ابن عباس ☻ أن رسول الله ﷺ قال:**ثلاث من كن فيه أواه الله في كنفه** (١)**، وستر عليه برحمته، وأدخله في محبته: من إذا أُعطى شكر، وإذا قدر غفر، وإذا غضب فتر**ـــ (٢).

وعن معاذ بن جبل ؓ أن رسول الله ﷺ قال:**من كظم غيظا، وهو قادر على أن ينفذه، دعاه الله سبحانه على رءوس الخلائق على مشهد من أهل الموقف، حتى يخيره من الحور العين ما شاء**ـــ.

وروى ابن ماجه من حديث ابن عمر ☻ أن رسول الله ﷺ قال:**ما من جريمة أعظم عند الله من جريمة غيظ كظمها عبد ابتغاء وجه الله**ـــ.

إخوة الإسلام:

ونتحدث بحول الله وقوته عن العنصر الثالث من عناصر هذا اللقاء وهو: الغضب المحمود.

(١) أي في حمايته ورعايته.
(٢) رواه أصحاب السنن.

فالغضب المحمود والمطلوب هو ماكان لله وفى الله إذا انتهكت محارم الله كما كان النبى ﷺ يغضب. وذلك كثير في حياته عليه الصلاة والسلام.

تقول السيدة عائشة ♥ فيما رواه البخارى ومسلم: **ما خير رسول الله ﷺ بين أمرين قط، إلا أخذ أيسرهما ما لم يكن إثما، فإن كان إثما كان أبعد الناس عنه، وما انتقم رسول الله لنفسه في شيء قط، إلا أن تنتهك حرمة الله فينتقم لله تعالى.**

فالغضب لله تعالى محمود في عواقبه مطلوب في كل أمر دعا الشرع فيه إلى إظهار الشدة والحمية والغيرة على الدين والحرمات. فقد كان النبى ﷺ يغضب حتى تحمر وجنتاه من شدة الغضب إذا انتهكت حرمة من حرمات الله عز وجل، ولكنه لا يخرجه غضبه عن طبعه وجبلته وفطرته، ولايدفعه العدوان على من أغضبه.

وروى مسلم عن أنس أن النبى ﷺ قال:**إنما أنا بشر أرضى كما يرضى البشر، وأغضب كما يغضب البشر.**

وروى أبو داود عن عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ قال: قلت: يا رسول الله، أكتب عنك كل ماقلت في الغضب والرضا؟ فقال: **اكتب. فو الذي بعثنى بالحق نبيا مايخرج منه إلا حق** وأشار إلى لسانه. فلم يقل: إنى لا أغضب لا يخرجنى عن الحق - أى: لا أعمل بموجب الغضب [(١)].

رابعا: مواقف في الصبر:

وهذه مواقف - ياعباد الله - في الصبر على الغضب، فيها العبرة والعظة لنا يجب أن نتأسى بها، وتكون لنا نورا يهتدى به، لعل الله أن يجعلنا ممن يكظمون غيظهم.

روى أن أعرابيا جاء إلى الرسول ﷺ يطلب منه شيئا، فأعطاه. ثم قال له: أحسنت إليك؟ قال الأعرابى: لا، ولا أجملت! فغضب المسلمون

(١) رواه أبو داود والترمذي.

وقاموا إليه. فأشار إليهم أن كفوا. ثم قام ودخل منزله. فأرسل إليه وزاده شيئا. ثم قال له: أحسنت إليك؟ قال: نعم. فلما كان الغد جاء، فقال له النبى ﷺ: **إن هذا الأعرابى قال ما قال فزدناه فزعم أنه راض. أكذلك؟ــ** قال: نعم، فجزاك الله من أهل وعشيرة خيرا. فقال رسول الله ﷺ:**مثلى ومثل هذا الرجل كمثل رجل له ناقة شردت عليه، فاتبعها الناس، فلم يزيدوها إلا نفورا. فناداهم صاحبها فقال لهم: خلوا بينى وبين ناقتى، فإنى أرفق بها وأعلم. فتوجه لها بين يديها، فأخذ من قمام الأرض فردها حتى جاءت واستناخت وشد عليها رحيلهما، واستوى عليها. وإنى لو تركتكم حيث قال الرجل ما قال، فقتلتموه، دخل النارــ.**

فنلاحظ أن هذا الأعرابى الذي تلطف به النبى ﷺ حتى أرضاه، ربما يحسن إسلامه ويكلف بأمر خطير في نصرة الإسلام، فيقوم به خير قيام، فبالحلم تساس الرجال، ويرد كل مخطئ إلى الصواب.

وموقف آخر فيه لنا عظات وعبر في الصبر على الغضب. حيث حكى أن بعض ملوك الفرس كتب كتابا ودفعه إلى وزير له، وقال: إذا غضبت فناولنيه.

وكان فيه:

مالك والغضب إنما أنت بشر: ارحم من في الأرض يرحمك من في السماء.

وكان بعض ملوك الطائف إذا غضب ألقى عنده مفاتيح مقابر الملوك، فيزول غضبه ويحكى أن رجلا من أهل الشام دخل المدينة المنورة فرأى شابا حسن الهيئة، جميل المنظر، نظيف الملابس، راكبا دابة قوية نشيطة فسأل. فقيل له: هذا الحسن بن على بن أبى طالب، فامتلأ قلبه حسدا له، وحقدا عليه، وتقدم إليه وقال له: أأنت ابن على بن أبى طالب؟ فقال الحسن: أنا ابن ابنه. فقال الرجل: لقد قلت فيك وفى أبيك كلاما قبيحا أشتمكما به... وذكر له ذلك الكلام. فقال الحسن: أظنك غريبا. فقال الرجل: نعم. فقال الحسن: إذا احتجت إلى منزل أسكنتك، أو إلى مال أعطيتك، أو إلى حاجة ساعدتك. فعجب الرجل من حلم الحسن ☻ ،

وانصرف وهو يقول: ليس على وجه الأرض أحب إلى من هذا الشاب... أسأت إليه فأحسن إلى.

وأخيرا عباد الله.

ما هو العلاج؟

إن على المسلم أن يتجنب أسباب الغضب ما استطاع إلى ذلك سبيلا، وعليه أن يتقى مواطنه بقدر إمكانه، ويحتاط لنفسه من المثيرات التي تغضبه، ويعظ نفسه دائما بما يدفع ثورته إذا غضب. ولا شك أن الوقاية خير من العلاج. ولكن الإنسان لحم ودم كما يقولون، ولا يستطيع أن يرى مايسوؤه ويسكت، لاسيما إذا جاوز الأمر حده، وتمادى المسيء في غيه وإساءته.

ولهذا الداء الخطير جعل له النبى ﷺ دواء نافعا وعاجلا شافيا، والمسلم مطالب بكسر حدة الغضب بما يلى:

☒ تتبع وصية النبى ﷺ:**لا تغضب**ـــ.

☒ عليه أن يعرف فضل كظم الغيظ وثوابه.

☒ على المسلم ان يعرف أن الغضب من الشيطان، والشيطان خلق من النار، وإنما تطفأ النار بالماء. فإذا غضب عليه أن يتوضأ.

☒ على المسلم السكوت حال الغضب، وحبس اللسان وإلجامه. قال النبى ﷺ:**إذا غضبت فاسكت**ـــ (١).

☒ على المسلم أن يتعوذ الشيطان الرجيم. قال تعالى:**{وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ}** [فصلت: ٣٦].

☒ على المسلم أن يعرف نتائج الغضب وعواقبه، ومايؤدى إليه من ظلم وتعد. قال رسول الله ﷺ (٢):**كل مسلم على المسلم حرام: دمه وماله وعرضه**ـــ (٣).

(١) رواه أحمد.
(٢) رواه مسلم.
(٣) تربية الأولاد في الإسلام.

جعلنـى الله وإيـاك ممـن يغضـب لحـدود الله إذا انتهكـت. وأنـزل علينـا السكينة في أمور الدنيا التي تغضب لها لأتفه الأسباب وأقل الأمور

اللهم الطـف بنـا، وجنبنـا الغضـب المـذموم، ونسـألك كلمـة الحـق فـي الغضب والرضا.. آمين.

* * *

لمحات من الطب النفسى [القلق النفسى]

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه.. وبعد:

إخوة الإيمان والإسلام:

إن القلق النفسى، أحد حالتين يمران بالإنسان في حياته:

الحالة الأولى: الفرح والاستقرار، وينتج عنه صدق في القول والعمل.

الحالة الثانية: القلق والاكتئاب والحزن، وينتج عنه الغيبة والنميمة والكذب.

وسيدور حديثنا عن القلق في ضوء العناصر التالية:

أولا: معنى القلق.

ثانيا: كيف يحدث القلق.

ثالثا: دراسات نفسية من القرآن الكريم والسنة.

رابعا: علاج القلق.

أخى المسلم: هل أنت قلق بسبب قلة المال؟ هل أنت قلق بسبب عدم الزواج؟ هل أنت قلق لأنك في احتياج للأولاد؟ هل أنت قلق بسبب سوء معاملة الزوجة؟

اعلم أن كثرة المكالمات التليفونية، والعمليات الانتحارية، والأمراض المفاجئة، وكثرة المستشفيات والعيادات الخارجية - كل ذلك يدل على كثرة القلق. ونحن نجد أن هناك من يركب أفخر السيارات، ويسكن أحسن العمارات، ومتزوج أجمل النساء، ولكنه مكتئب قلق حيران.

نجد إنسانا يعمل بما يعادل خمس عشرة ساعة يوميا، ثم بقية اليوم في حل المشاكل والقيل والقال. فيشعر بضيق في الصدر. حتى أصبح هذا العصر بدلا من أن يسمى عصر السرعة. قل هو: عصر القلق. وإذا كان الله قد خلق الإنسان من تراب... أى ركب الجسم من تراب، فإن الجسم

يحتاج إلى الأكل - الشرب - النوم.

يحتاج إلى الأكل فيأكل من تراب، أى من كل ماتنبته الأرض من جميع أنواع الأغذية. فالجسم يأكل مما صنع منه. والجسم يمرض ويحتاج إلى العلاج فيعالج. وإذا كان الله قد خلق الجسم من تراب، فإنه قد نفخ فيه الروح. وإذا كان الجسم يمرض ويعالج، فإن الروح تمرض وتحتاج للعلاج.

وإذا مرضت الروح، فاعلم أن علاج الروح والقلق التي نتج عنها، ليس عند الأطباء ولا في المسارح، ولا في المصايف، ولكنه من عند الله؛ حيث إن الروح قد أودعها الله في الإنسان. فحينما سئل النبى ﷺ عنها كما قال تعالى:{**وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ**} [الإسراء: ٨٥]، كان الجواب:{**قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّن الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً**} فالذى يعلم سر الروح وحقيقتها هو ربها جل وعلا. فالروح تجوع وتعطش وتمرض وتصرخ. والإنسان يكون ميسور الحال، ولايعرف حقيقة ما به حتى إن النفس تمل وتكل [١].

❖ أولا: معنى القلق:

ومن هنا نستطيع أن نقول أن القلق النفسى في حقيقته، هو انفعال شديد نتيجة مواقف معينة. وهذا القلق النفسى يسبب على المدى القريب والمدى البعيد معا - أى حال الصغر والكبر - اضطرابات في التفكير تنبنى عليها أفكار خاطئة، وبالتالى يبنى عليه قرارات غير صحيحة. وأى قرار مبنى على فكر خاطئ لا يمكن أبدا أن يكون صحيحا. ولذا نقول إذا ما انغمست النفس في هموم الدنيا. فأين هموم رضا الله؟. أين تفكيرك في الآخرة؟ ماذا تفعل إذا قبضت روحك الآن؟ فهل تجد أن الله راض عنك؟ أنت إذا غيرت مكان نومك تكون قلقا ولاتنام؛ بحجة أنك غيرت مكان نومك. ولكن ماذا تفعل حينما تنام في قبرك فريدا وحيدا. فهلا سألت نفسك عن جليسك في قبرك ياترى هل هو باب من أبواب الجنة أم النار. لعلك - أخى المسلم - لو فكرت في هذه الأمور لذهب عنك القلق والحزن.

ونتحدث عن العنصر الثانى من عناصر هذا اللقاء وهو:

(١) رسالة صوتية (القلق).

❖ كيف يحدث القلق؟

إن السبب الرئيسى للقلق هو أنك لاتحب الله. فمن الممكن أن ترد وأن تقول: لو أن الله لايحبنى ما أنعم على بما أنا فيه، وما أنعم على بهذه الخيرات. فنرد عليه ونقول له: ألم تسمع قول الله تعالى: {**سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ**} [القلم: ٤٤].

ونقول إذا كان الله يحبك، فإن الله يعطيك مايحبه هو، وليس ماتحبه أنت. فالله قد أعطاك الولد والزوجة والمال. عموما... الدنيا ومافيها من متاع سرعان ما تزول.

فهل معنى ذلك أن الله يحب الدنيا ومافيها.

الله عز وجل يحب ذاته وصفاته ونبيه وكتابه... وشرائع الدين عموما. وهنا نقول: أنه من كثرة فعل الذنوب وعمل المعاصى فإنها تتراكم على القلب ويسود، كما أخبر ربنا في كتابه:{**كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم**} [المطففين: ١٤].

ومن هنا يحدث القلق والاكتئاب والضيق، اقرأ قول الله عز وجل: {**فَمَن يُرِدِ الله أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلاَمِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاء كَذَلِكَ يَجْعَلُ الله الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ**} [الأنعام: ١٢٥]. فكلما ارتفع الإنسان عن ظهر الأرض شعر بضيق في الصدر. وعكسه كلما كان هادئ البال، انشرح صدره وفرح وحينما يفرح الإنسان بشيء يضيق بضده. فالرسول ﷺ يفرح بكلام الله وبأوامر الله، ولكنه يضيق صدره بما يقال من المشركين، حيث يقول ربنا:{**وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ * فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ * وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ**} [الحجر: ٩٧ - ٩٩].

واعلم أن فترة الطفولة من أكثر فترات العمر تأثرا بالقلق النفسى، الذي غالبا ما يسبب جراحات نفسية عميقة. وهذا هو الأمر الذي يسبب عقدا نفسية عميقة الجذور، وتلك العقد النفسية هى المسؤولة عن اضطرابات في التفكير تبنى عليها بعد ذلك أفكار مرضية خاطئة لا تبرح

فكر الإنسان زمنا طويلا، وربما طول حياته. وهذه العقد النفسية تستكين في أغوار النفس، إلا أنها تتحين بعض المواقف التي تثيرها فتحاول الظهور والتعبير عن نفسها (١).

❖ ثالثا: دراسات نفسية من القرآن والسنة:

هذا هو العنصر الثالث في هذا اللقاء. ومن أهم الأمثلة التي تؤكد هذا المعنى: -

إيثار بعض الأبناء على بعضهم الآخر. وكثيرا ما يؤدى هذا إلى تكون عقد نفسية في الأبناء غير الأثيرين لدى الأب تؤدى في مستقبل حياتهم إلى اتجاهات فكرية ونفسية خاطئة.

* مثال ذلك في القرآن: قصة يوسف وإخوته. فلقد تغلبت روح الغيرة والكراهة على فكر خاطئ فقرروا الخلاص منه، نظيرا أنهم ظنوا أنه الأثير عند أبيهم. وقد أخبر الله عن ذلك فقال:{**إِذْ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلاَلٍ مُّبِينٍ * اقْتُلُواْ يُوسُفَ**}.

وتستيقظ روح النبوة منهم؛ فتهدئ من ثورتهم على أخيهم فيقولون كما حكى القرآن:{**أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا**}.

ثم تهدأ ثورتهم وغضبهم على أخيهم أكثر وأكثر، فيقولون كما حكى القرآن:{**قَالَ قَآئِلٌ مَّنْهُمْ لاَ تَقْتُلُواْ يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ**} [يوسف: ٨ - ١٠].

وحول أثر هذه العقدة النفسية، فالزمن ومرور الأيام لايمحوان هذه العقدة ولا آثارها الخاطئة المترتبة عليها، وتحاول الظهور لتعبر عن نفسها من جديد مهما طال الزمن، إلا إذا تعرضت نفوسهم لصدمة نفسية شديدة ومضادة.

ومتى حدث هذا؟ حدث هذا بعد أن زاروا مصر، بعد ذلك بسنوات عديدة من إلقاء أخيهم يوسف في البئر. وقد صار عليه السلام في هذا الوقت مسؤول عن خزائن مصر. دخلوا عليه فعرفهم وهم لا يعرفوه. فهم

---

(١) من مقال للدكتور/ أحمد شوقي إبراهيم.

قد ظنوا أنه مات. وأراد النبى يوسف ﷺ أن يستبقى أخاه الشقيق بنيامين عنده. وهنا لابد من سبب لاحتجازه فاتهم بالسرقة. فقال له إخوته وقد صارت فيهم عقدة الغيرة والكراهية القديمة ذلك ليس بمستبعدا فإن أخا له قد سرق من قبل - يقصدون يوسف -، حيث ورد عن سعيد ابن جبير عن قتادة أن يوسف ﷺ قد سرق صنما لجده أبى أمه فكسره.

حيث يقول ربنا جل وعلا:**{قَالُواْ إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِن قَبْلُ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا والله أَعْلَمْ بِمَا تَصِفُونَ * قَالُواْ يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِين * قَالَ مَعَاذَ الله أَن نَّأْخُذَ إِلاَّ مَن وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِندَهُ إِنَّآ إِذًا لَّظَالِمُونَ}** [يوسف: ٧٧ - ٧٩]، وقيل: إنهم افتروا عليه بالسرقة.

ونفهم من ذلك أن إيثار الآباء لبعض الأبناء على البعض الآخر منهم يؤدى إلى قلق نفسى فيهم، وبالتالى إلى تكون عقد نفسية مرضية تنبنى عليها أفكار خاطئة تستمر زمنا طويلا، وطول العمر أيضا، وما كان لنبى الله يعقوب أن يفضل ولدا على آخر وبعد أن علم إخوة يوسف الحقيقة أن الله هو الذي اصطفاه من بينهم، وآثره عليهم أصيبوا بصدمة شديدة مضادة، فعلموا أنهم كانوا مخطئين في سوء ظنهم بأبيهم، لأن يعقوب نبى، وماكان لنبى أن يفضل أحدا على أحد، ولايظلم أحدا، وأدركوا أنه لم يؤثر يوسف عليهم، ولكن الله الذي آثره.

قال تعالى:**{قَالُواْ تَاللّهِ لَقَدْ آثَرَكَ الله عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَاطِئِينَ * قَالَ لاَ تَثْرَيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ الله لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ}** [يوسف: ٩١، ٩٢].

*ومثال آخر من السنة يقول النبى ﷺ:**سووا بين أولادكم في العطية**ـــ [(١)]. وجاء في رواية أخرى:**أشهد على ذلك غيرى، فأنا لا أشهد على جور**ـــ حيث رفض النبى أن يفضل بعض الأبناء على بعض.

ونقول: إن القلق ينتج عنه عواقب وخيمة منها:

الحزن: حيث إنك ترى في سورة يوسف أن الله عز وجل أخبر عن

(١) البخاري ومسلم من حديث النعمان بن بشير.

نبيه يعقوب:{**قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَن تَذْهَبُواْ بِهِ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ**} [يوسف: ١٣].

وقال في موضع آخر:{**وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ**} [يوسف: ٨٤].

وقال:{**قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ**} [يوسف: ٨٦].

وينتج عنه أيضا الإصابة بأمراض خطيرة مثل السرطان الذي يمكن أن يتفشى في سائر الجسد.

وقد ينتج عن القلق اضطرابات في التفكير يؤدى إلى ضياع الفرص، كرسوب التلاميذ في امتحاناتهم.

وهنا نشير إلى مقولة رائعة لفضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى، تبرر هذا الحب الشديد من نبى الله يعقوب لابنه يوسف عليه السلام حيث قال - رحمه الله - أن يوسف وأخاه بنيامين سيعيشان في حياة أبيهما فترة من الزمن قصيرة بعكس إخوتهما الكبار؛ الذين عاشوا في كنف أبيهم وتحت رعايته، وأغرق عليهم حبا وحنانا فترة طويلة من الزمن؛ لذلك أحبهما أبوهم أكثر من إخوتهم ليتساوى الجميع في درجة الحب (١).

❖ رابعا علاج القلق:

إخوة الإسلام:

أما عن علاج القلق فاعلم أن القلق يكون ناتجا عن نقص الإيمان، وأن المرء المؤمن لايعانى حقا مرضا نفسيا. ولنعلم ان أعظم علاج له:

* أن تحب الله ليحبك الله، فإذا أحبك اندفع عنك القلق، وترضى بكل شيء حيث يقول ربنا:{**إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ**} [القمر: ٤٩].

الإيمان بالقدر، وبما هو مكتوب وبمشيئة الله وبالخلق والإيجاد. فلا تفعل إلا ما أراده الله.

(١) رسالة صوتية (بتصرف).

عليك بقراءة القرآن. حيث إن الله يكلمك. فالقرآن كلام وشفاء من كل داء. حيث يقول ربنا:{**وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ**} [الإسراء: ٨٢].

كذلك من العلاج: الصلاة على النبى ﷺ. حيث جاء إلى النبى ﷺ وقال يا رسول الله: أجعل دعائى الصلاة عليك؟ فقال: يكفيك الله همك.

وصدق الله حيث قال:{**الَّذِينَ آمَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ الله أَلاَ بِذِكْرِ الله تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ**} [الرعد: ٢٨].

وقال تعالى:{**وَمَن يَتَّقِ الله يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ**} [الطلاق: ٢، ٣].

وقال:{**هُوَ الَّذِي أَنزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَّعَ إِيمَانِهِمْ**} [الفتح: ٤].

نسأل الله الهداية والتوفيق.

اللهم آمين.

* * *

الكذب.. وعواقبه الوخيمة

الحمد لله رب العالمين. أعد الجنة للمتقين. وجعل النار للمكذبين.. وبعد:

إخوة الإسلام:

إن الصدق يحتاج إلى عزيمة قوية، وإلى إيمان عميق، وإلى تحمل شديد، وإلى شجاعة فائقة في أعلى درجات السمو والكمال. وكل ذلك ناتج عن استقرار نفسى. وعلى النقيض من ذلك فإن الكذب في أحط درجات الهوان والنقصان؛ إذ إنه ناتج عن قلق نفسى وعدم استقرار نفسى. فإذا ماقال الإنسان كلاما بلسانه يخالف ما فى ضميره وما في نفسه فلا يكون صادقا بل يكون كاذبا. ويدل على ذلك أن المنافقين كانوا يقولون بألسنتهم للرسول ﷺ: نشهد أنك رسول الله، ومع هذا كذبهم الله تعالى ولعنهم؛ لأنهم يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم.

قال تعالى:{**إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ الله والله يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ والله يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ**} [المنافقون: ١].

وهذا كلام صادق من جهة الواقع - أى: أن محمدا رسول الله - إلا أن الله أخبر وشهد بأنهم كاذبون. وكذبهم ليس من جهة النطق باللسان، ولكنه من جهة ما تضمره قلوبهم، وما تخفيه نفوسهم الخبيثة من خداع وعداوة لرسول الله ﷺ.

إخوة الإسلام:

إن الكذب له عواقب وخيمة، ويكفى لبيان سوء عاقبة المكذبين قوله تعالى في سورة المرسلات:{**وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ**}. وكرر هذا التهديد من الله تعالى في هذه السورة عشر مرات للمكذبين الحق.

وقال تعالى:{**قُلْ سِيرُواْ فِي الأَرْضِ ثُمَّ انظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ**} [الأنعام: ١١].

كذلك بين الله عز وجل خسران المكذبين في الدنيا والآخرة فقال: {**وَلاَ تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلاَلٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُواْ عَلَى الله الْكَذِبَ**

إنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى الله الْكَذِبَ لاَ يُفْلِحُونَ} [النحل: ١١٦].

وإذا ما اتجهنا إلى الأحاديث النبوية الشريفة - رأينا الكثير فيها يحذر من رذيلة الكذب تحذيرا شديدا، ويصف من يسلك هذا السلوك بأقبح الصفات. ومن هذه الأحاديث:

عن عائشة ♥ قالت: ما كان من خلق أبغض إلى رسول الله ﷺ من الكذب.

وعن أبى بريدة الأسلمى قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:**ألا إن الكذب يسود الوجهـــ.**

وعن سعد بن أبى وقاص ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:**يطبع المؤمن على الخلال كلها إلا الخيانة والكذبـــ** (١).

وعن صفوان بن سليم قال: قيل يا رسول الله: أيكون المؤمن جبانا؟ قال:**نعمـــ** فقيل له: أيكون المؤمن بخيلا؟ قال:**نعمـــ**. فقيل له: أيكون المؤمن كذابا؟ قال:**لاـــ** (٢).

نحن - عباد الله - نجد أن القرآن قد نفى الإيمان عن أهل الكذب.

قال تعالى:**{إنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ الله وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ * مَن كَفَرَ بالله مِن بَعْدِ إيمَانِهِ إلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ}** [النحل: ١٠٥، ١٠٦].

فصور الكذب الذي يترتب على إشاعته في وسائل الإعلام المرئية أو المسموعة أو المكتوبة، والذى يراه ويسمعه ويقرؤه الملايين من البشر أشد إثما، وأقبح جرما من صور الكذب الذي يشيعه الكذاب بين جماعة محدودة العدد من الناس. ولذا جاء في الحديث الشريف الذي رواه الإمام البخارى من حديث سمرة بن جندب ﷺ أن رسول الله ﷺ أخبر الصحابة أنه رأى في المنام - ورؤيا الأنبياء حق - أن الكذاب يشق شدقه - أى يقطع خده من جسده -. وهو ذلك الكذاب الذي يكذب الكذبة فتحمل عنه

(١) رواه أحمد.
(٢) رواه مالك.

حتى تبلغ الآفاق. أى: حتى تنتشر في أقطار الأرض فيصنع به هكذا يوم القيامة [١].

إخوة الإسلام:

والأسباب التي تحمل بعض الناس على الكذب كثيرة فيها الظاهر الواضح، ومنها الباطن الخفى، وكلها تدل على ضعف في الدين، وسقوط في المروءة، وعوج في الأخلاق، واستخفاف بالقيم الشريفة وبالسلوك القويم.

فمن الناس من يكثر من الأقوال الكاذبة حين يمزح مع غيره، وتتوهم أن الكذب معفو عنه في أحوال الممازحة وما يشبهها. وهذا لون من الفهم السقيم لآداب الإسلام؛ لأن الإسلام أباح الترويح عن النفس ولكن في الحدود التي لاكذب معها. فقد كان النبى ﷺ يمزح - أحيانا - ولكن لا يقول إلا حقا وصدقا.

يقول النبى ﷺ في الحديث الذي رواه بهز بن حكيم عن أبيه عن جده:**ويل للذى يحدث الحديث ليضحك به القوم فيكذب. ويل له. ويل لهـــ** [٢].

وعن أبى أمامة رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ:**أنا زعيم ببيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مزحاـــ** [٣].

إخوة الإيمان والإسلام:

ومن الناس من يكذب على غيره من أجل ترويج تجارته أو صناعته أو زراعته، أو غير ذلك من المنافع الدنيوية، توهم منه أن هذا الكذب من وراءه زيادة المنافع الدنيوية. وقد يحلف بالأيمان الكاذبة في سبيل الحصول على ربح مادى. وقد نهى الإسلام عن كل ذلك نهيا قاطعا.

قال رسول الله ﷺ:**كبرت خيانة أن تحدث أخاك حديثا هو لك مصدق،**

(١) العقيدة والأخلاق.
(٢) رواه الترمذي، وأبو داود.
(٣) رواه البيهقي.

وأنت له كاذبـــ [(١)].

عباد الله: وأقبح ألوان الكذب - الكذب على الله تعالى، وهو الكذب على دين الله، وعلى ماجاء به الرسول ﷺ من عند ربه عن طريق التحريف، وعن طريق القول بغير علم، وعن تفسير حقائق الدين تفسيرا يتعمد فيه الكذب؛ ولذا جاء في الصحيحين أن النبى الكريم ﷺ قال:**إن كذبا على ليس ككذبا على أحد، فمن كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار**ـــ.

كذلك يعد من الكذب المنهى عنه، والمذموم - تلك المدائح التي يكذب فيها قائلوها، لكى يتملقوا فريقا من الناس، من أجل عرض زائل من الدنيا، حيث إن هناك فريقا من الناس يتخذ المدائح الفارغة بضاعة يتملق بها الأكابر، ويصوغ من الشعر القصائد المطولة، ومن النثر الخطب المرسلة.

يقول أبو هريرة ﷺ:**أمرنا رسول الله أن نحثو في وجوه المداحين التراب**ـــ.

وقد ذكر شراح الحديث أن معنى المداحين هنا هم الذين اتخذوا مدح الناس عادة يسألون به الممدوح. فأما من مدح على الأمر الحسن فليس بمداح.

واعلموا - إخوة الإسلام - أن هناك حالات يجوز فيها الكذب.

ذلك أن شريعة الإسلام التي شريعة الحق والعدل لم ترخص للإنسان أن يكذب إلا في مواطن. ففى الصحيحين عن أم كلثوم ♥ أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول:**ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس، فينمى خيرا أو يقول خيرا**ـــ.

وفى رواية لمسلم أنها قالت: ولم أسمعه ﷺ يرخص في شيء مما يقول إلا في ثلاث، تعنى: الحرب - والإصلاح بين الناس - وحديث الرجل امرأته، و حديث المرأة زوجها.

(١) البخاري من حديث النواس بن سمعان.

قال الإمام الخطابى: كذب الرجل على زوجته أن يظهر لها المحبة أكثر مافى نفسه؛ ليستديم بذلك صحبتها، ويصلح خلقها. والكذب في الحرب أن يظهر من نفسه قوة، ويتحدث بما يقوى به أصحابه.

وأقول: في الكذب في الصلح بين المتخاصمين ذكر الكلام الحسن للطرفين؛ مما يؤلف به القلوب، ولو كان هذا الكلام ليس على سبيل الحقيقة. وفى ذلك توحيد للكلمة.

وقال بعض العلماء: إنما جاز الكذب في هذه الأمور؛ لأن الجيش حصن الأمة، ولأن الشقاق رأس كل معصية، ولأن النزاع بين الزوجين يعرض الأسرة للضياع وهى أساس المجتمع [(١)].

ولكن هل يجوز الكذب في غير هذه الأمور الثلاثة؛ الإجابة: لايجوز. ولايصح الاستدلال بقول إبراهيم ﵇ - كما حكى القرآن الكريم -**{بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ}**. وقوله على زوجته: إنها أختى. وقوله**{فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ * فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ}**. وقول منادى يوسف:**{أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ}**. فلا يصح الاحتجاج بذلك؛ لأن ماجاء في هذه الصور من الإباحة إنما المقصود بها التورية واستعمال المعاريض، وكما قيل: (إن في المعاريض لمندوحة عن الكذب).

عباد الله:

والكذاب يعاقبه الله ﷻ بعقوبات شديدة في الدنيا والآخرة. ووردت الأدلة من الكتاب والسنة التي تبين ذلك. ومن هذه العقوبات:

❖ **أولا: من القرآن:**

قال تعالى:**{فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ الله مَرَضاً وَلَهُم عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ}** [البقرة: ١٠].

قال تعالى:**{وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى الله وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ}** [الزمر: ٦٠].

(١) السراج الوهاج. د/سعد شلبي.

❖ **ثانيا: من السنة:**

جاء في سنن الترمذى من حديث ابن عمر ☻ أن رسول الله ﷺ قال:**إذا كذب العبد تباعد عنه الملك ميلا من نتن ما جاء بـه**.

وروى مالك عن ابن مسعود ﷺ قال:**لا يزال العبد يكذب، وتنكت في قلبه نكتة سوداء حتى يسود قلبه؛ فيكتب عند الله من الكاذبين**.

وورد في الصحيحين عن ابن مسعود ﷺ أن رسول الله ﷺ قال:**إن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذابا**.

وقد بين الله ﷻ في كثير من الآيات القرآنية خسران الكاذبين في الدنيا والآخرة، فقال تعالى:**{وَلاَ تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلاَلٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُواْ عَلَى اللهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللهِ الْكَذِبَ لاَ يُفْلِحُونَ}** [النحل: ١١٦].

نسأل الله أن يجنبنا الشقاق وسوء الأخلاق.

اللهم آمين.

* * *

أكلة لحوم البشر

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه.. وبعد:

إخوة الإسلام:

إن من الأمراض الخبيثة التي تفشت في المجتمع؛ وانتشرت بين الناس، وأصبحت ملازمة لأكثر الناس في يومهم وليلتهم - الغيبة والنميمة. وإن شئت فقل: " أكلة لحوم البشر ". والغيبة والنميمة توعد الله صاحبهما في كتابه، وبين الصادق المعصوم ﷺ عقابهما في سنته.

قال تعالى:{**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ**} [الحجرات: ٦].

فهذا أمر من الله ﷻ لأهل الإيمان أن يتثبتوا من الكلام أولا، قبل الوقوع في الخطأ، أو حتى لا يقعوا في الخطأ وهتك أعراض الناس.

ولهذه الآية سبب نزول حيث بعث النبى ﷺ الوليد بن عقبة بن أبى معيط إلى بنى المصطلق يتصدقهم فتلقوه بالصدقة. فرجع فقال: إن بنى المصطلق قد جمعت لك لتقاتلك، وأنهم قد ارتدوا عن الإسلام. فبعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد ﵁ إليهم، وأمره أن يتثبت ولا يتعجل، فانطلق حتى أتاهم ليلا. فبعث خالد عيونه، فلما جاؤوا أخبروا خالدا ﵁ أنهم مستمسكون بالإسلام، وسمعوا آذانهم وصلاتهم. فلما أصبحوا أتاهم خالد فرأى الذي يعجبه. فرجع إلى رسول الله ﷺ فأخبره الخبر، فأنزل الله هذه الآية الكريمة. قال قتادة: فكان رسول الله ﷺ يقول:**التثبت من الله، والعجلة من الشيطان**.

وقد سمى الوليد فاسقا، تنفيرًا وزجرا عن المبادرة والاستعجال إلى الأمر من غير تثبت. لكنه مؤول مجتهدًا فليس فاسقا على الحقيقة.

قال الفخر الرازى: إن إطلاق لفظ الفاسق على الوليد شيء بعيد، لأنه توهم وظن فأخطأ، والمخطئ لا يسمى فاسقا؛ لثناء النبى ﷺ في أكثر من موضع على أصحابه.

وفى هذا درس بليغ لكل مسلم فهو:

درس بليغ للذى يسمع أن زوجته مع فلان فيطلقها دون أن يتأكد من هذا القول.

ودرس بليغ لتلك المرأة التي تسمع أن زوجها سيتزوج من غيرها فتطلب الطلاق وتلح على الانفصال.

ودرس بليغ للذى يسمع أن فلانا قد عاب فيه وأخطأ إليه، فتأخذه الحمية والانتقام.

عباد الله:

إن الله عز وجل قد حرم الغيبة والنميمة؛ لأنهما يؤديان إلى أوخم العواقب وأسوأها أثرا في المجتمع.

قال تعالى:{**وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا**} [الحجرات: ١٢].

وقال تعالى:{**وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ * هَمَّازٍ مَّشَّاءٍ بِنَمِيمٍ**} [القلم: ١٠، ١١]. أى: كثير الحلف والتعيب والسعى بين الناس بالنميمة.

وفى الحديث الذي رواه مسلم من حديث أبى هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال:**أتدرون ما الغيبة؟**ـــ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال:**ذكرك أخاك بما يكره**ـــ، قيل أفرأيت إن كان في أخى ما أقول؟ قال:**إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه ماتقول فقد بهته**ـــ.

قال تعالى:{**أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ**} [الحجرات: ١٢].

وروى أن رجلا جاء إلى عمر بن عبد العزيز ﷺ، وأخذ يغتاب رجلا عنده. فقال له عمر: (إن شئت نظرنا في أمرك، فإن كنت كاذبا كنت من أهل هذه الآية{**هَمَّازٍ مَّشَّاءٍ بِنَمِيمٍ**}. وإن كنت صادقا كنت من أهل هذه الآية{**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ**}. وإن شئت عفونا عنك. فقال الرجل: العفو العفو يا أمير المؤمنين.

ولذا يقول الله عز وجل مبينا أن الغيبة والنميمة من البهتان والآثام

العظيمة{**وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا**} [الأحزاب: ٥٨].

وقد روى أبو داود والترمذى عن عائشة ♥ في الحديث الحسن الصحيح أنها قالت: قلت للنبى ﷺ: حسبك من صفية كذا وكذا - تعنى أنها قصيرة - فقال:**لقد قلت كلمة لو مزجت بماء البحر لمزجته**. أى خالطته مخالطة يتغير بها طعمه وريحه.

إخوة الإيمان الإسلام:

لقد وردت الآيات الكثيرة التي تحرم سماع الغيبة منها:

قوله تعالى:{**وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ**} [القصص: ٥٥].

وقوله تعالى:{**وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ**} [المؤمنون: ٣].

وقوله تعالى:{**وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلاَ تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ**} [الأنعام: ٦٨].

ولقد أباح الإسلام الغيبة لغرض صحيح شرعى لايمكن الوصول إليه بها، وهى ستة أسباب:

- **السبب الأول:** التظلم. مثلا يتظلم الإنسان إلى القاضى ويقول: ظلمنى فلان.
- **السبب الثانى:** الاستعانة على تغيير المنكر.
- **السبب الثالث:** الاستفتاء. أى يطلب الفتوى من العالم - أو يأخذ المفتى بشهادته.
- **السبب الرابع:** تحذير المسلمين من الشر.
- **السبب الخامس:** أن يكون مجاهرا بفسقه وبدعته، كالمجاهر بشرب الخمر.
- **السبب السادس:** التعريف. إذا كان الإنسان معروفا بلقب مثل

الأعمش، الأعرج.. وما شابه ذلك، ولايعرف إلا بذلك [١].

عباد الله:

ولقد حرم الإسلام النميمة تحريما قاطعا.

قال تعالى:{**هَمَّازٍ مَّشَّاءٍ بِنَمِيمٍ**} [القلم: ١١].

وقال رسول الله ﷺ:**لا يدخل الجنة نمام**ـــ.

وروى البخارى عن ابن عباس ☻ أن رسول الله ﷺ مر بقبرين، فقال:**إنهما يعذبان، ومايعذبان في كبير. أما أحدهما فكان يمشى بالنميمة، وأما الآخر فكان لا يستتر من بوله**ـــ.

ويقول النبى ﷺ فيمارواه أبو داود من حديث أنس ﷺ:**رأيت ليلة أسرى بى أناس في النار، لهم أظفار من نحاس، يخمشون بها وجوههم وصدورهم. فقلت: من هؤلاء يا أخى جبريل؟ قال: هؤلاء هم الذين يأكلون لحوم الناس، ويقعون في أعراضهم**ـــ.

وروى عن النبى ﷺ قال:**إياكم والغيبة؛ فإنها أشد من الزنا**ـــ، قالوا: وكيف ذلك يا رسول الله؟ فقال:**قد يزنى العبد فيتوب، فيتوب الله عليه. وإن صاحب الغيبة لا يغفر له حتى يغفر له صاحبها**ـــ.

وقال كعب الأحبار: قرأت أنه من مات تائبا من الغيبة كان آخر من يدخل الجنة، ومن مات مصرا عليها كان أول من يدخل النار [٢].

فقال النبى ﷺ في حق المؤمن:**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر. فليقل خيرا أو ليصمت**ـــ.

وقال ﷺ:**المسلم... من سلم المسلمون من لسانه ويده**ـــ.

وروى أحمد وأبو داود والبيهقى عن عبيد (مولى رسول الله) أن امرأتين صامتا. وأن رجلا قال: يا رسول الله، إن امرأتين قد صامتا، وأنهما قد كادتا أن تموتا من العطش. فأعرض عنه فقرر القول مرة ثانية. فقال ﷺ: ادعهما. قال: فجاءتا. قال: فجيء بقدح. فقال لأحدهما: قيئى.

(١) رياض الصالحين.
(٢) الكبائر للذهبي.

فقاءت قيح ودم وصديد ولحم عبيط [١] حتى ملأت القدح. ثم قال رسول الله ﷺ:**إن هاتين صامتا عما حرم الله عليهما... جلست إحداهما إلى الأخرى فجعلتا تأكلان من لحوم الناس**ــ، أو كما قال النبي ﷺ.

وروى عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:**أربع يفطرن الصائم: الغيبة. الكذب. النميمة. النظر إلى محاسن المرأة التي لا يحل النظر إليها. وهن يسقين الشر كما يسقى الماء أصول الشجر**[٢]ــ.

وقال النبى الكريم ﷺ:**من لم يدع قول الزور والعمل به، فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه**ــ [٣].

وسئل حكيم: لم لم تظهر رائحة الغيبة في زماننا؟ قال: لأنها كثرت، وفى القديم كانت قليلة فكانت تظهر.

وهذا الأمر أشبه بمن يعمل في مدبغة، فإنه من كثرة الروائح الكريهة اعتاد على هذا الأمر وأصبح يألفه أما إذا شم أى إنسان آخر هذا الأمر لأول مرة فإنه يعانى منه وبشدة. وقد أصبح كثير من الناس في زماننا هذا يكثرون من هذا الداء العضال الذي كاد أن يفتك بالناس جميعا. وحرى بكل مسلم بعد أن أبصر هذه الآيات القرآنية والأحاديث النبوية أن يقلع عن هذا الداء الفتاك الذي يورد الإنسان موارد المهالك.

فاللهم إنا نسألك العفو والعافية في الدين والدنيا والآخرة.. اللهم آمين.

* * *

(١) عبيط أي طري.
(٢) أي جذور الشجر.
(٣) رواه ابن ماجة والنسائي.

الغفلة المهلكة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد ألا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله... وبعد:

إخوة الإسلام:

لقد أصبح الناس في هذه الدنيا في تخبط في الأقوال والأفعال. كل إنسان يفعل مابدا له معرضا عن يوم الحساب ومافيه. ولذا يقول ربنا في كتابه{**اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مَّعْرِضُونَ * مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مَّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ * لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسَرُّواْ النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ**} [الأنبياء: ١ - ٣].

فالذى يتأمل أحوال الناس في هذا الزمن يرى تطابق الآية تماما مع واقع كثيرين منهم. وذلك من خلال ما يرى من كثرة الإعراض عن منهج الله جل وعلا، وغفلتهم عن الآخرة وما فيها، وأعرضوا عن الاستعداد لها. تجد بعضهم يؤخر الصلاة كلية أو على أقل تقدير يؤخرها عن وقتها من أجل اجتماع عمل أو من أجل مباراة كرة قدم!! ونحو من أمور الدنيا الزائلة. كل شيء في حياتهم له مكان إلا أوامر الدين. ربما يكون هذا الإنسان الغافل قد حباه الله ﷻ عقلا ذكيا فيستفيد منه في دنياه، ولكنه لايستفيد منه في أمور الآخرة.

قال تعالى:{**يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ**} [الروم: ٧].

وهؤلاء الغافلون ترى من أحوالهم، ومن شدة جرأتهم على ارتكاب المعاصى. كأنهم لايصدقون بيوم القيامة، فهم كأنهم لايصدقون بالنار، أو أن النار قد خلقت لغيرهم، نسوا الحساب والعقاب، وتناسوا عما أمامهم من أهوال وصعاب وصدق الله إذ يقول:{**لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ**} [الحجر: ٧٢].

لقد مات عند الكثيرين من هؤلاء الشعور بالذنب، ومات عندهم الشعور بالتقصير، حتى ظن الكثيرون منهم أنه على خير عظيم، بل ربما لم يرد على خاطره أنه مقصر في أمور دينه. فبمجرد قيامه بأصول دينه،

ومحافظته على الصلوات ظن في نفسه خيرا عظيما، وأن الجنة تنتظره في نهاية المطاف. ونسى هذا المسكين مافعله من آلاف الذنوب والمعاصى التي يرتكبها صباحا ومساء

قال تعالى:{**ذَرْهُمْ يَأْكُلُواْ وَيَتَمَتَّعُواْ وَيُلْهِهِمُ الأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ**} [الحجر: ٣].

ويقول الله ﷻ:{**اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مَّعْرِضُونَ * مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مَّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ * لاهِيَةً قُلُوبُهُمْ**} [الأنبياء: ١ - ٣].

فالآيات الكريمة تبين بعض مظاهر الغفلة عند الناس ومنها:

- الإعراض.
- عدم الاهتمام عند سماع الذكر.
- هوى القلوب.

وهذه كلها أمور خطيرة على من أصابته بعضها أو كلها. لذا كان رسول الله ﷺ يستعيذ بالله من الغفلة، فيقول:**اللهم إنى أعوذ بك من العجز والكسل والجبن والبخل والهرم والقسوة والغفلة والعيلة**. فالغفلة شر يأتى للإنسان على غرة منه. كما جاء ذلك في صحيح الجامع.

إخوة الإسلام:

والغفلة داء خطير يحول بين المرء وربه، مما يجعل الشيطان يستحوذ عليه ويوقعه في المهالك. والغفلة لها أسباب، ولها أضرار، ولها علاج [١].

❖ أولا: أسباب الغفلة

١ - الركون إلى الدنيا والاطمئنان إليها:

حيث أظهرت الآيات القرأنية الصلة الوثيقة بين استحباب الدنيا على الآخرة وبين الغفلة. قال تعالى في سورة النحل:{**ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّواْ الْحَيَاةَ الْدُّنْيَا عَلَى الآخِرَةِ وَأَنَّ الله لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ الله عَلَى**

(١) رسالة ورقية (الغفلة المهلكة).

قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ} [النحل: ١٠٧، ١٠٨].

وبين الله عز وجل أن مصير الغافلين هو النار.

قال تعالى:{**إِنَّ الَّذِينَ لاَ يَرْجُونَ لِقَاءنَا وَرَضُواْ بِالْحَياةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّواْ بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ * أُوْلَئِكَ مَأْوَاهُمُ النُّارُ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ}** [يونس: ٧، ٨].

وروى البيهقى وابن حبان وحسنه الألبانى، أن رسول الله ﷺ قال عن الغافل:**عالم بأمر الدنيا، جاهل بأمر الآخرة**ــــ.

٢ ـ ترك الجمع والجماعات:

وفى ذلك يقول ربنا:{**فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ * الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ}** [الماعون: ٥].

فالسهو عن الصلاة إتيان بعضها، وترك بعضها، وهذا يؤدى بصاحبه إلى السهو والغفلة عن الله تعالى، وعن حزبه وعن جماعة المسلمين.

وجاء في صحيح الجامع أن رسول الله ﷺ قال:**لينتهين أقوام عن ودعهم الجمعات، أو ليختمن الله على قلوبهم، ثم ليكونن من الغافلين**ــــ.

وقال ﷺ:**والذى نفسى بيده لقد هممت أن آمر بحطب فيحتطب ثم آمر بالصلاة فيؤذن لها ثم آمر رجلا فيؤم الناس ثم أخالف لدا رجال فأحرق عليهم بيوتهم**ــــ.

٣ ـ ترك ذكر الله:

قال تعالى:{**وَاذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعاً وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ وَلاَ تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ}** [الأعراف: ٢٠٥].

فأمر سبحانه وتعالى بالذكر في سائر الحالات والأوقات؛ لأن من ترك الذكر كان من الغافلين.

ولقد وصف الله تعالى المنافقين بأنهم{**لاَ يَذْكُرُونَ الله إِلاَّ قَلِيلاً}**. فكيف من يغفل عن الذكر في عامة نومه يقظة ونوما، أكلا وشربا، خروجا ودخولا، سفرا ونزولا، وفى سائر الأحوال؟.!

وهل يليق بمؤمن بالله أن يتشبه بالمنافقين في بعض صفاتهم؟!

٤ ـ رفقاء السوء:

لاشك أن رفيق السوء لاينكر منكرا، ولا يعرف معروفًا، ولا يأمر بخير. ورفيق السوء في طريق بعيدة عن الله وعن رسول الله. فهو لاينصح أحدا ولايدعو إلى خير فمصاحبته خسارة وبوار، والقرب منه غفلة ودمار، والرضا به حسرة وندامة يوم القيامة.

قال تعالى:**{وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا * يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا * لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنسَانِ خَذُولًا}** [الفرقان: ٢٧ - ٢٩].

٥ ـ صرف الحواس إلى الشهوات والملذات:

حيث إن الإنسان المؤمن يجب ألا يستخدم جوارحه فيما يغضب الله ﷻ بل يوظف هذه الحواس كل حاسة في موضعها الذي يرضى الله عز وجل.

قال تعالى:**{أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ الله عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ}** [النحل: ١٠٨].

٦ ـ ترك زيارة القبور ونسيان المصير:

فقد روى الحاكم عن بريدة أن رسول الله ﷺ قال:**نهيتكم عن زيارة القبور، فزوروها فإن لكم فيها عبرة**ــــ.

وقال ﷺ في رواية أخري:**كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها؛ فإنها تزهد في الدنيا، وترغب في الآخرة**ــــ. إذ إن نسيان الموت، ونسيان الآخرة، لا شك أنه الغفلة بعينها.

❖ ثانيا: أضرار الغفلة (١):

عباد الله:

إن الغفلة لها أضرار تلحق بالإنسان في كل وقت وحين، وفي جميع أحواله، فتعود عليه بالضرر العظيم، ومن أهم هذه الأضرار:

(١) مجلة التوحيد.

١ـ عدم إجابة الدعاء:

يقول الله عز وجل:{**أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ**} [النمل: ٦٢].

وروي في صحيح الجامع أن رسول الله ﷺ قال:**ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة، واعموا أن الله لا يستجيب دعاء من قلب غاف لاهـــ.**

٢ ـ الغفلة سبب وقوع العقوبة الربانية:

قال تعالى عن بني اسرائيل{**فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا وَكَانُواْ عَنْهَا غَافِلِينَ**} [الأعراف: ١٣٦].

فقد تكون العقوبة غرقاً أو مرضاً أو جوعاً أو غلاءً أو وباءً، أو الفناء بالوباء، أو تسلط الأعداء{**وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ**} [المدثر: ٣١].

وقد تكون العقوبة تفريق شمل الغافل، وجعل فقره بين عينيه.

روي أحمد وابن ماجة أن رسول الله صلي الله ﷺ قال:**من كانت الدنيا همه، فرق الله عليه أمره، وجعل فقره بين عينيهـــ.**

٣ ـ الغافل مصروف عن آيات الله:

قال تعالى:{**سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِن يَرَوْاْ كُلَّ آيَةٍ لاَّ يُؤْمِنُواْ بِهَا وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ الرُّشْدِ لاَ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً**} [الأعراف: ١٤٦].

قال ابن كثير رحمه الله: أي سأمنع فهم الحجج والأدلة الدالة على شريعتي وأحكامي في قلوب المتجبرين عن طاعتي، وتكبون في الناس بغير حق.

فالغافل ـ إذا ـ لن يكون الله سمعه الذي يسمع به، ولا بصره الذي يبصر به، ولا يده التي يبطش بها... أي لن يؤيد الله جوارحه وأعماله، فلا توفيق ولا سداد ولا هدي ولا رشاد.

❖ ثالثاً: علاج الغفلة:

إخوة الإيمان والإسلام:

مما سبق نستخلص أن علاج الغفلة يكون بالقضاء علي أسبابها:

١ - فإذا كنا نركن إلى الدنيا ونطمئن إليها، فلنبادر فنجعل الآخرة أكبر همنا وغاية عملنا، وهذا يكون بعقد المقارنة بين الدنيا والآخرة؛ فيترجح عند المؤمن العمل للآخرة.

قال تعالى{**وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ**} [العنكبوت: ٦٤].

٢ - المحافظة علي الصلوات والجمع والجماعات وقيام الليل:

قال رسول الله ﷺ :**من قام بعشر آيات لم يكتب من الغافلين، ومن قام بمائة آية كتب من القانتين، ومن قام بألف آية كتب من المقنطرين** (١).

والمقصود بالمقنطرين: الذين يجمعون القناطير من الحسنات.

٣ - الإكثار من ذكر الله تعالى:

فينبغي أن يكون حال العبد دائماً وأبداً ولسانه رطباً بذكر الله تعالى.

قال تعالى:{**فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُواْ لِي وَلاَ تَكْفُرُونِ**} [البقرة: ١٥٢].

وقال رسول الله ﷺ فيما رواه البخاري من حديث أبي موسي الأشعري رضي الله عنه:**مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر ربه مثل الحي والميت**.

٤ - ترك رفقة السوء:

ويكون ذلك بالتحول إلى رفقة صالحة تذكر بالله، وتعين علي الطاعة، لتزول الغفلة، قال تعالى:{**الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ**} [الزخرف: ٦٧].

٥ - زيارة المرضي وأصحاب البلايا:

حيث إن هذه الزيارات تزهد في الدنيا، وترغب في الآخرة، وتعلم العبد أن نعم الله عليه لا تعد ولا تحصي، وعليه أن يؤدي شكرها ولا

(١) صحيح الجامع.

يغفل عن الله و الدار الآخرة

٦ ـ استخدام الحواس والجوارح فيما يرضي الله:

قال تعالى:{**إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً**} [الإسراء: ٣٦].

وفي ذلك سعادة الإنسان في الدنيا والآخرة.

٧ ـ التحول عن المكان الذي يصيبنا بالغفلة:

قال رسول الله ﷺ كما روي في صحيح الجامع :**تحولوا عن مكانكم الذي أصبتم فيه الغفلة**. قال لهم ذلك حينما ناموا عن صلاة الفجر أثناء رجوعهم من خيبر.

عباد الله:

إلى متى هذه الغفلة؟ إلى متى هذا الإعراض؟

قال تعالى:{**أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ الله وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ**} [الحديد: ١٦].

أخي المسلم... ألا تريد أن تدخل الجنة؟!

قال تعالى:{**وَمَن يُطِعِ الله وَالرَّسُولَ فَأُوْلَـئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ الله عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاء وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَـئِكَ رَفِيقًا * ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ الله**} [النساء: ٦٩، ٧٠].

أخي المسلم.. عبد الله

انقذ نفسك من النار، قبل الندم وقبل العذاب الأليم، قبل أن تقول:{**كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ**} [الحج: ٢٢].

وصدق الله إذ يقول:{**رَبِّ ارْجِعُونِ * لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا**} [المؤمنون: ٩٩، ١٠٠].

نسأل الله الثبات حتى الممات.

اللهم آميـن.

الكبر وخيم العاقبة

الحمد لله رب العالمين، أعد الجنة للمتواضعين، وجعل النار للمتكبرين، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، القائل في كتابه الكريم:{**وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**} [الجاثية: ٣٧].

وأشهد أن سيدنا محمدًا رسول الله، إمام المتواضعين، وقائد الغر المحجلين القائل ﷺ: **إن الله أوحي إليَّ أن تواضعوا؛ حتى لا يفجر أحد على أحد، ولا يبغي أحد على أحد** (١). وسلم يارب تسليماً كثيراً...

ثم أما بعد:

إخوة الإسلام:

يقول النبي ﷺ في الحديث الذي رواه مسلم من حديث ابن مسعود ﷺ: **لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر**. قال رجل: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً ونعله حسناً. قال:**إن الله جميل يحب الجمال الكبر بطر الحق وغمط الناس**.

إن النبي ﷺ عرف في صحابته الخضوع والخشوع والانكسار والتواضع، ولكنه خشي أن يصطحب الصحابة معهم ما كانوا عليه أولاً في الجاهلية من الفخر والزهو والكبرياء علي الضعفاء، فقد كانوا قبل بعثته ﷺ يتفاخرون بالأنساب، ويتعاظمون بالألقاب، ويتفاضلون بالقبائل. وترى كل قبيلة أنها أفضل من أختها، ويصيح شاعرها قائلاً:

ونشرب إن وردنا الماء صفواً ::: ويشرب غيرنا كدراً وطيناً
إذا بلغ الفطام لنا رضيع ::: تخر له الجبابر ساجدينا

وانقسم الناس أحزاباً، وتفرقوا شيعاً، وتباعدوا وجهلوا وضلوا سواء السبيل.

فجاء الرسول ﷺ موحداً للكلمة، موثقاً للرابطة، مؤكداً لحسن الصلة، مساوياً لكل البشر في أصل الخلقة، غير مفرق بين سيد ومسود، وكان

(١) رواه مسلم.

من سياسته أن لجأ إلى الأسلوب العلمي، والتطبيق العملي الواقعي في حياة الناس بعد أن عرفهم جميعاً أن الكرامة في الإسلام للعمل والتقوي[١]. لهذا ذكرهم بقوله ﷺ:**لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر**، حتى يستمروا على ما هم فيه من التواضع.

ولهذا طبق الرسول ﷺ هذا الأسلوب القولي عملياً بين أصحابه حينما أمر بني بياضة أن يزوجوا أبا هند امرأة منهم فقالوا لرسول الله ﷺ: نزوج بناتنا موالينا!! فأنزل الله تعالى قوله:{**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ الله أَتْقَاكُمْ إِنَّ الله عَلِيمٌ خَبِيرٌ**} [الحجرات: ١٣].

فأنكرت عليهم الآية هذا التفريق لمجرد النسب دون سبب معقول للتمييز والتفريق حتى يعلم الجميع أن جميع الناس لآدم، وآدم من تراب، ولا فرق لأحد علي أحد إلا بالتقوى والعمل الصالح.

يقول عبد الله بن عباس ☻ في سبب نزول هذه الآية:

" وقف النبي ﷺ علي راحلته يوم فتح مكة يخطب الناس، واعتلى بلال ظهر الكعبة يمد عنقه ويرفع عقيرته بالأذان وبين سقوط الأصنام صرعي من خلال التكبير وتكاسرها وتخاذلها أمام هيبة التوحيد وقف أربعة من المشركين علي بُعد حول هذا المشهد الرهيب يتساجلون ويتغامزون ويتحدثون.

فقال أحدهم وهو (عتاب بن أسيد بن أبي العيص): الحمد لله الذي قبض أبي حتى لا يرى هذا اليوم. وقال الثاني وهو سهيل بن عمرو: إن يرد الله شيئاً يغيره. وقال الثالث وهو أبو سفيان: إني لا أقول شيئاً؛ أخاف أن يخبر به رب السماء. وقال الرابع وهو الحارث بن هشام: ما وجد محمد غير هذا الغراب الأسود مؤذناً. وبهذه المقولة تنزل الآية الكريمة.

ومر على رسول الله ﷺ الأربعة المتساجلون. فسألهم عما قالوا فأقروا. وكان الوحي قد أخبر بقولهم، فجلجلت الآية الكريمة في ديارهم

(١) الكبر من القرآن والسنة.

وأسماعهم، فوقفوا لجلالها يسمعون، وعن معناها يتحدثون ويتساءلون.

لقد عنفتهم هذه الآية وزجرتهم عن التغامز بالأنساب، والتكاثر بالأموال، والإزدراء بالفقراء؛ فإن المدار على التقوى. أي: الجميع من آدم وحواء إنما الفضل للتقوى [١].

عباد الله

ونريد أن نقف مع قول النبي ﷺ :**لايدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر...ــــ**. نستخلص منه العبر والعظات، علنا نطبق هذا الإسلام قولاً وعملاً، نظرية وسلوكاً علماً وتطبيقاً.

قوله ﷺ :**لا يدخل الجنةــــ**.

يقول الإمام النووي في " شرح مسلم ": هذا الحديث ورد في سياق النهي عن الكبر المعروف وهو الارتفاع عن الناس، واحتقارهم ودفع الحق.

ويقول القاضي عياض: إن هذا جزاؤه لو جازاه. وقد يتكرم بأنه لا يجازيه. بل لابد من دخول الموحدين الجنة بعد تعذيب أصحاب الكبائر الذين ماتوا مصرين عليها قال ﷺ لمعاذ:**من لقي الله لا يشرك به شيئاً دخل الجنةــــ**. قال: أبشر الناس؟ قال:**لا، إني أخاف أن يتكلواــــ**. أما أهل النار فإنهم مخلدون ولا فرق بين الكتابي واليهودي والنصراني. أما المؤمن إذا كان صاحب كبيرة أخذ حظه من العقاب، ثم دخل الجنة مخلداً فيها إن شاء الله عفى عنه ولم يعذب ودخل الجنة، وفي هذا حجة لأهل السنة أن أصحاب الكبائر لا يقطع لهم بالنار.

وجاء نفي دخول المتكبر الجنة: أي أنه لا يدخلها مع المتقين الداخلين أول وهلة.

وعن معني كلمة (الذرة) في الحديث الشريف

قال ابن عباس [٢] ☻ عن معني كلمة " الذرة " في قوله تعالى:{**فَمَن**

(١) الجامع لأحكام القرآن.
(٢) الكبر بين القرآن والسنة.

يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ}: أي إذا وضعت يدك علي الأرض، ثم رفعتها، فكل واحدة مما لذق من التراب ذرة.

ويقول الإمام القرطبي: إن القرآن والسنة يدلان على أن للذرة وزناً، كما أن للدينار ونصفه وزناً.

ويقول ابن حجر (رحمه الله): إن أربع ذرات وزن خردلة، وليس المقصود الوزن علي الحقيقة، وإنما المبالغة.

وقول النبي ﷺ:**من كبر ــ** فالكبر هو صفة كامنة في القلب، مستترة فيه، وعن حكم لبس الثياب الحسنة التي ليست من الكبر إذا لم تكن علي وجه الفخر والخيلاء والمباهاة، بل على سبيل إظهار نعمة الله، وهذا مما لا يتسع المجال لبسطه.

والسائل في الحديث قيل أنه معاذ بن جبل أو عبد الله بن عمرو بن العاص.

وقول النبي ﷺ:**إن الله جميل يحب الجمال ــ**.

فقد تحدثنا في هذا المعنى في موضوع سابق وهو " دلالات جمال الألوان في المخلوقات " والخلاصة أن: كل كمال يليق بذاته سبحانه، لا مانع أن تسمي به ذاته، وكمالاته تعالى لا تتناهى، وهذا أيضاً مما لا يتسع المقام لبسطه الآن (١).

وقوله ﷺ:**الكبر بطر الحق وغمط الناس ــ**.

البطر هو: التكبر على الحق، فلا يقبله وهو عدم الاعتراف والتوجه إلى الله عز وجل بشكر النعمة التي أسديت إليه (قاله مسلم والزجاج).

والغمط هو: الغمص، إذاً معناهما واحد، وهو الاحتقار والسخرية والتهكم والاستهزاء بالآخرين، والنظر إليهم بعين النقص (٢).

إخوة الإسلام:

هناك كثير من الناس يخلطون بين الكرامة وبين الكبر بدون تفريق

(١) انظر ص ١٣ من هذا الكتاب.
(٢) المعجم الوسيط.

أو تمييز بينهما، لدرجة أن البعض منهم يظن أن من يعتز بشخصيته، ويحافظ على كرامته إنسان متكبر. وهم مخطئون - لا شك - في ذلك. إذ أن الكبر المذموم هو بطر الحق وغمط الناس، كما وضح ذلك الحديث الشريف، فالبطر هو الطغيان عند النعمة، بمعنى عدم التوجه إلى المنعم بالشكر. والكبر هو الترفع عن الناس سواء كان هذا الشخص المتكبر متمتعاً منحلاً بمظاهر الحياة، أو كانت أكفه في التراب ورأسه في السماء، والكبر أيضاً هو الإحساس - ولو في أعماق النفس - بالزهو والخيلاء والترفع عن الناس.

أما التكبر على الخلق فيعتبر من أشد العصيان: أما الاستخفاف بالشرع كأن يحتقر نبياً أو عالماً، عن اعتقاد حقارة العلم فذلك كفر [١].

أما التواضع المطلوب فهو لين الجانب لمن يساويك أو لمن هو دونك، أما الاستكانة لمن هو فوقك فكثيراً ما تكون ضعفاً وجبناً وذلة وصغارًا، والإسلام نهي عن ذلك وإذا كان الإسلام قد حث على التواضع، فالإنسان يجب أن يضع لنفسه حداً ويتخذ لشخصيته موقفاً.

قال الإمام الغزالي في الإحياء: اعلم أن هذا الخلق - أي: التواضع - كسائر الأخلاق له طرفان وواسطة. فطرفه الذي يميل إلى الزيادة يسمى كبراً.

وطرفه الذي يميل إلى النقصان يسمي تخاسساً ومذلة. والوسط يسمي تواضعاً.

والمحمود أن يتواضع في غير مذلة، ومن غير تخاسس. فإن كلا طرفي الأمور ذميم وأحب الأمور إلى الله أوسطها. فمن يتقدم على أمثاله فهو متكبر، ومن يتأخر عنهم فهو متواضع، أي وضع شيئاً من قدره الذي يستحقه، فنهاية الكبر ونهاية النقص والتذلل مذمومان، وأحدهما أقبح من الآخر. والمحمود المطلق هو العدل، ووضع الأمور في مواضعها كما يجب وعلى ما يجب، كما يعرف ذلك بالشرع والعادة.

(١) دليل الفالحين بتصرف.

ولعل الغزالي يقصد بقوله: " أن يعطى كل ذي حق حقه "، ما رواه أبو نعيم في الحلية بلفظ أن عائشة ♥ كانت في سفر، فأمرت الناس من قريش بغذاء، فمر رجل غني ذو هيئة. فقالت: ادعوه، فنزل وأكل ومضى، وجاء سائل فأمرت له بكسرة خبز. فقالت: إن هذا الغني لم يحمل بنا إلا ما صنعناه به، وإن هذا السائل سأل فأمرت له بما يترضاه، وإن رسول الله ﷺ أمرنا أن ننزل الناس منازلهم. ومعني:**أنزلوا الناس منازلهم** (١) أي: عاملوا كل أحد بما يناسب منصبه في الدين والعلم والشرف.

وقال العزيري كما جاء في " عون المعبود ": والمراد بالحديث الحث على مراعاة مقادير الناس ومراتبهم ومناصبهم، وتفضيل بعضهم علي بعض في المجالس، وفي القيام وغير ذلك من الحقوق.

وقيل: أن الكبر والعظمة بمعنى واحد، وقيل أن الكبر غير العظمة؛ إذ الكبر يقتضي متكبراً عليه، والعظمة لا تقتضي متعاظماً عليه، فقد يتعاظم الإنسان في نفسه (٢).

أما العزة فمأخوذة من القوة والشدة والغلبة، يقال: عز يعز، إذا صار قوياً شديداً، وفي أسمائه تعالى العزيز. أي: الغالب القوي الذي لا يغلب، ومعناها: معرفة الإنسان بحقيقة نفسه وإكرامها، وألا يضعها فالعزة بالنسبة للمسلم: وضع النفس في الموضع اللائق بها، والمحافظة عليها من الضعة، وصيانة الكرامة عن الذل والمهانة، والعزة ثابتة لله تعالى، وهي أمر ذاتي، وثابتة لرسوله بواسطة الرسالة، وللمؤمنين بواسطة الإيمان.

قال تعالى:{**ولله الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ**} [المنافقون: ٨].

ومن العزة الكاذبة ما حكاه القرآن عن بعض المنافقين.

قال تعالى:{**وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ الله أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالإِثْمِ**} [البقرة: ٢٠٦].

ومن العزة الترفع عن أهل الكبر، فمن تكبر عليك فتكبر عليه، كما

(١) عون المعبود.
(٢) الكبر بين القرآن والسنة.

قيل " الكبر على أهل الكبر صدقة ".

ويقول الرسول ﷺ:**اطلبوا الحوائج بعزة الأنفس فإن الأمور تجري بمقادير**.

وصدق الشاعر حين قال:

لا تسقني ماء الحياة بذلة ::: بل فاسقني بالعز كأس الحنظل
ماء الحياة بذلة كجهنم ::: وجهنم بالعز أطيب منزل

وقال رجل للحسن بن علي: إن الناس يزعمون أن فيك تيهاً. قال: ليس تيه، ولكنه عزة وتلا قوله تعالى:{**ولله الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ**}

وقال عمر رضي الله عنه: إنا قوم أعزنا الله بالإسلام، فمهما ابتغينا العزة في غيره أذلنا الله. قالها لما عوتب في بذاءة ثوبه عند دخوله الشام.

نسأل الله جل وعلا، أن يهدينا إلى مكارم الأخلاق، وأن يجنبنا الظهور الخيلاء.

اللهم آمين.

* * *

الكبر بين القرآن والسنة

الحمد لله الذي أنزل علي رسوله الأمين في كتابه الحق المبين، تبصرة وذكري للمؤمنين{**وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا**} [الفرقان: ٦٣].

وأشهد ألا إله إلا الله المنفرد وحده برداء الكبرياء، ما في الأرض والسماء وأشهد أن محمداً عبده ورسوله إمام المتواضعين ورأس المتقين وقائد الغر المحجلين، خاطبه ربه فقال{**وَلاَ تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولاً**} [الإسراء: ٣٧].

صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الذين نظروا إلى الدنيا نظرة الزاهد في متاعها، لأنهم علموا علم اليقين أن كل مغرور بها إلى الذل مصيره، وكل متكبر بها إلى التحسر مصيره، علموا أن الدنيا لا تزال تتزين لطلابها، حتى إذا صاروا من أحبابها كشرت لهم عن أنيابها فأذاقتهم قواتل سمومها ورشقتهم بوابل سهامها، فبعد أن عرف الصحابة الكرام كل هذا اتجهوا إلى الله بقلوبهم متواضعين لجميع إخوانهم.

وبعد إخوة الإيمان والإسلام: إن الحديث عن الكبر متعدد الجوانب طويل الموضوع، وسيدور حديثي عن هذا الموضوع إن شاء الله تعالى في النقاط التالية:

أولاً: معني الكبر والتكبر.

ثانياً: موقف القرآن والسنة من الكبر.

ثالثاً: عاقبة المستكبرين.

رابعاً: العلامات التي يعرف بها المتكبر.

☒ أولاً: معنى الكبر والتكبر:

الكبر: صفة في القلب مستترة فيه، أما التكبر فهو ظهور هذا الشيء عن طريق الجوارح تطبيقاً عملياً ولقد ورد ذكر الكبر في القرآن الكريم على اختلاف مشتقات الكلمة في أكثر من إحدى وسبعين مرة في آيات القرآن الكريم، وغالباً ما تصدر بالسين والتاء، أو للطلب لأن الكبر دعوة

لأنفسهم ولكونه صفة من صفات الله عز و جل قال تعالى:{**وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ الله بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ * وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّى مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ**} [لقمان: ٦، ٧] والمعني كما قال الإمام النسفي (رحمه الله) قد نزلت هاتان الآيتان في النضر بن الحارث الذي كان يشتري أخبار الأكاسرة من فارس ويقول: إن محمداً يقص طرفاً من قصة عاد وثمود فإن أحدثكم بحديث الأكاسرة، فيميلون إلى حديثه ويتركون استماع القرآن الكريم وغرضه بذلك صد الناس عن الدخول في الإسلام واستماع القرآن، وإذا تتلى عليه آيات القرآن الكريم أعرض عن تدبرها متكبراً رافعاً نفسه عن الإصغاء إلى القرآن كأن لم يسمعها وقال تعالى:{**إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ**} [غافر: ٢٧] والمراد بالتكبر في الآية كما يقول الإمام النسفي: هو الاستكبار عن الإذعان للحق، وهو أقبح استكبار، وأدل على دناءة صاحبه، وعلى فرط ظلمه وإنما قال موسي: لا يؤمن بيوم الحساب، لأنه إذا اجتمع في الرجل التكبر والتكذيب بالجزاء وقلة المبالاة بالعاقبة، فقد استكمل أسباب القسوة والجرأة على الله وعباده، ولم يترك عظيمة إلا ارتكبها.

ويقول المولى عز وجل في سورة نوح:{**قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا * فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا * وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا**} [نوح: ٥ - ٧] والمعنى كما يقول الإمام ابن كثير - رحمه الله - أنهم استمروا على ما هم فيه من الشرك والكفر العظيم الفظيع واستنكفوا من اتباع الحق والانقياد له ونتيجة استكبارهم معروفة هي كثرة ذنوبهم وعتوهم وإصرارهم على كفرهم ومخالفتهم رسولهم ويقول تعالى:{**إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِن طِينٍ * فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ * فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ * إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنْ الْكَافِرِينَ**} [ص: ٧١ - ٧٤].

إبليس من الإبلاس، وهو اليأس من رحمة الله تعالى وكان حسوداً مستكبراً وكان اسم ابليس بالسريانية " عزرائيل " وبالعربية " الحارس "

وكان من خزان الجنة

وكان إبليس لعنه الله أكثر خلق الله اجتهادًا وأكثرهم علماً، عبد الله ثمانية ألف عام يقول عز وجل في حديثه القدسي:**الكبرياء ردائي والعظمة إزاري، فمن نازعني واحداً منهما قذفته في النار** أخرجه أبو داود.

قال الخطابي [١] معني هذا الكلام أن الكبرياء والعظمة صفتان لله سبحانه وتعالى ولا ينبغي لمخلوق الإتصاف بهما، لأنه من صفة العبد التواضع والتذلل، فالكبرياء صفة ذاتية، وهي أرفع من العظمة لكونها إضافية فتشبه بارداء الذي هو أرفع من الإزار ولو قارنا بين الطين والنار لوجدنا أن الطين جوهره الرزانة والسكون والوقار، أما النار فجوهرها الخفة والطيش والوحدة.

الخبر ناطق بأن تراب الجنة مسك أذفر بينما لم ينطق الخبر بأن في الجنة ناراً.

النار سبب العذاب بينما التراب ليس سبباً في العذاب.

الطين مستغن عن النار بينما النار محتاجة إلى المكان ومكانها التراب.

إخوة الإسلام:

أما عن موقف السنة النبوية من الكبر

فالقرآن الكريم لم يكن وحده هو الذي وقف موقف العداء بالنسبة لصفة الكبر ولم يكن هو الذي شهر سيفه القاطع أمام المتكبرين وأبان لهم عاقبة كبرهم وطغيانهم وسوء نهايتهم، ولكن السنة النبوية أيضا وقفت بالمرصاد أمام هذه الصفة، وكشفت عن الأضرار الوخيمة التي تترتب عليها حتى يحذر الإنسان منها:

عن ابن عمر ☻ أن رسول الله ﷺ قرأ هذه الآية ذات يوم على المنبر:{**وَمَا قَدَرُوا الله حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّماوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ**} [الزمر: ٦٧]

(١) عون المعبود.

ورسول الله يقول هكذا بيده ويحركها ويقبل بها ويدبر يمجد الرب نفسه: أنا الجبار أنا المتكبر، أنا الملك، أنا العزيز أنا الكريم، أنا فرجف رسول الله ﷺ المنبر حتى قلنا ليخرن به.

وأخرج الإمام مسلم عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال:**يطوى الله عز وجل السماوات يوم القيامة ثم يأخذهن بيده اليمن ثم يقول: أنا الملك أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟ ثم يطوى الأرض بشماله ، ثم يقول: أنا الملك أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟ــ** والمعنى: أنا الملك أى لا ملك إلا لى والجبارون هم الظلمة القهارون.

قال المازرى: وإطلاق اليدين لله متأول على القدرة، وكنى عن ذلك باليدين، لأن أفعالنا تقع باليدين، فخوطبنا بما نفهمه، ليكون أوضح وأشمل ونتناول باليمين ما نكرمه، ونتناول بالشمال ما نكرهه والسماوات أفضل من الأرض، ولذلك عبر عنها باليمين، وإن كان الله سبحانه وتعالى لا يوصف بأن شيء أخف عليه من شيء، ولا أثقل من شئ ولكن ماقاله المازرى يخالف منهج أهل السنة والجماعة، حيث قال العلماء: إن الله عز وجل له يدان وكلتا يديه يمين ولكن يده ليست كأيدينا وذلك مصداقا لقوله ﷻ:{**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ**} [الزمر: ٦٧].

وروى الإمام أحمد في مسنده والترمذى من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن النبى ﷺ أنه قال:**يحشر المتكبرون يوم القيامة أمثال الذر صور الرجال، يغشاهم الذل من كل مكان فيساقون إلى سجن في جهنم يسمى بولس تعلوهم نار الأنيار يسقون من عصارة أهل النار طينة الخبالــ.**

والذر: هو النمل الأحمر الصغير، واحدتها ذرة والخبال: في الأصل الفساد ويكون في الأفعال والأبدان والعقول وقد فسر الحديث بأنه عصارة أهل النار وفى مسند الإمام أحمد عن أبى سعيد الخدرى قال: **من تواضع لله درجة رفعه الله درجة حتى يجعله في عليين، ومن تكبر على الله درجة وضعه الله درجة حتى يجعله في أسفل السافلينــ.**

إخوة الإيمان والإسلام:

ولكن ما العلامات التي يعرف بها التكبر؟

هناك علامات يعرف بها التكبر ومنها:

- أنه يحب وهو سائر في الطريق وهو داخل على بعض المصالح لقضاء مصلحة مثلا أن يقوم الناس له وفى ذلك يقول رسول الله ﷺ:**من سره أن يتمثل الناس له قياما فليتبوأ مقعده من النار**(١) وعن أبى أمامة قال: خرج علينا رسول الله ﷺ متوكئا، على عصاه فقمنا له فقال:**لا تقوموا كما تقوم الأعاجم، يعظم بعضهم بعضا، وقال: إنما أنا عبد آكل كما يأكل العبد، وأجلس كما يجلس العبد** (٢).
- ألا يمشى الشخص المتكبر إلا ومعه غيره، يمشى خلفه مغترا بنفسه ولذلك كان رسول الله ﷺ يمشى خلف الصحابة ليعلمهم التواضع.
- ألا يزور غيره حتى لو كانت الزيارة تؤدى إلى جلب المنفعة.
- استنكاف الشخص جلوس غيره بالقرب منه، إلا أنه يجلس بين يديه بخلاف التواضع.
- فهذا رسول الله ﷺ كما يقول أنس:**إن كانت الأمة من أهل المدينة لتأخذ بيد رسول الله ﷺ فما ينزع يده من يدها حتى تذهب به حيث شاءت من المدينة في حاجتها** (٣).
- أن يتجنب مجالسة المرضى والمعلولين، ويبعد عنهم لأنه لايأمن على نفسه من نوائب الدهر وهذه خلاف أخلاق رسول الله ﷺ وصحابته حيث روى عن ابن عمر ☻ أنه كان يأكل مع المجذوم

(١) رواه الترمذي.
(٢) الشفا بتعريف حقوق المصطفى.
(٣) رواه ابن ماجة في الزهد.

في إناء واحد.

- اللباس الذي يلبسه الإنسان يظهر به أثر التكبر، ويظهر به أثر التواضع، فمنهم من يلبسه قاصدا بذلك إظهار النعمة التي أنعمه الله عليه، فهذا ليس من الكبر والصحابة (رضوان الله عليهم) خير من يقتدى بهم في هذا فقد رفضوا الدنيا رغم ماكانوا عليه من ثراء.

عباد الله:

ولكن ما هى عاقبة المستكبرين؟

بعد أن ذم القرآن الكريم في مواضع كثيرة من آياته ذكر أيضا عاقبة المستكبرين في أكثر من آية منها:

قال تعالى:{**فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ * فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا**} [فصلت: ١٥، ١٦] والمعنى كما قال البيضاوى: أنهم استكبروا وتعظموا واغتروا حتى أن الرجل منهم كان ينزع الصخرة فيقلعها بيده، ونسوا أن الله هو أشد منهم قوة فأرسل عليهم ريحا باردة تهلك بشدة في سبع ليال وثمانية أيام واستمر النحس حتى أبادهم عن آخرهم واستمر في آخر شوال من الأربعاء إلى الأربعاء وقال تعالى:{**إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُواْ عَنْهَا لاَ تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلاَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ**} [الأعراف: ٤٠].

ومعنى لا تفتح لهم أبواب السماء أى لاتصعد أعمالهم، أو لاتصعد أرواحهم أو لا يصعد دعاؤهم.

وقال تعالى:{**الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتَابِ وَبِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ * إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ * فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ**} [غافر: ٧٠ - ٧٢].

وفي هذه الآيات دليل ساطع وبرهان ناصع وإنذار وتحذير لمن تسول له نفسه أن يتخلق بهذه الصفة الذميمة صفة الكبر، جعلنا الله من المتواضعين وأود أن أشير إلى نقطة هامة قبل أن أختم هذا اللقاء ألا وهو رأى القاضي عياض في مسألة إطلاق اليدين لله تعالى في الحديث السابق الذكر حيث قال الله أعلم بمراد نبيه ﷺ فيما ورد في هذه الأحاديث من مشكل، ونحن نؤمن بالله تعالى وصفاته، ولانشبه شيئا به ولا نشبهه بشيء، وليس كمثله شيء وهو السميع البصير، وما قاله رسول الله ﷺ وثبت عنه فهو حق وصدق، فما أدركنا علمه، فبفضل الله تعالى وما خفى علينا آمن به ووكلنا علمه إليه سبحانه وتعالى، وحملن لفظه على ما احتمل في لسان العرب الذي خوطبنا به، ولم نقطع على أحد معنييه بعد تنزيهه سبحانه عن ظاهره الذي لا يليق به ﷻ هذا ماقصدت توضيحه [١].

نسأل أن يهدينا إلى الصواب.

اللهم آمين.

* * *

(١) شرح النووي على صحيح مسلم.

أسباب التكبر

الحمد لله رب العالمين، أعد الجنة للمتواضعين، وجعل النار للمتكبرين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له ونشهد أن محمدا رسول الله وبعد.

إخوة الإيمان والإسلام، لقد بينا في لقاء سابق السمات الفارقة بين كلمتى الكبر والتكبر فقلنا: إن الكبر هو صفة كامنة في القلب مستترة فيه أما التكبر: فهو ظهور هذا الشيء عن طريق الجوارح تطبيقا عمليا.

وينقسم الكبر باعتبار المتكبر عليه إلى ثلاثة أقسام [(١)]:

القسم الأول: التكبر على الله سبحانه وتعالى، وذلك أفحش أنواع الكبر، ولا يوصف صاحبه الذي يريد أن يتصف به إلا بالغباء والضلالة العمياء والظلم والطغيان، فإنه يتكبر على رب السماوات والأرض رب العالمين.

وقد ذكر القرآن الكريم نماذج لهذا القسم الخبيث ومن ذلك:

هذا هو النمروذ بن كنعان الذي كان يحدث نفسه بأنه يقاتل رب السماوات والأرض، وعارض الله ﷻ في ربوبيته، والسبب في ذلك هى النعمة التي أسديت إليه فبدلا أن يقابلها بالشكر عارضها بالبطر والكبر والتمرد ولقد أخبرنا القرآن بما حدث منه فقال مخاطبا بذلك رسول الله ﷺ: **{أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رِبِّهِ أَنْ آتَاهُ الله الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ الله يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ والله لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ}** [البقرة: ٢٥٨].

وهذا فرعون الذي تجبر واعتدى، ونسى خالق الأرض والسماوات العلا، وادعى بأنه الرب الأعلى، وبغى وطغى، فذكر الله له سوء عاقبته التي آلت إليه، فقال لموسى:**{اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى * فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَى أَن تَزَكَّى * وَأَهْدِيَكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى * فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَى * فَكَذَّبَ وَعَصَى ***

(١) انظر إحياء علوم الدين، الكبر بين القرآن والسنُّة.

ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَى * فَحَشَرَ فَنَادَى * فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى * فَأَخَذَهُ الله نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى * إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَى} [النازعات: ١٧ - ٢٦].

ولشدة رحمة الله تعالى به أنه لم يأخذه بالعذاب الفوري بل أمهله مدة كي يفيء إلى رشده ويعود لصوابه، فعاند وكابر فأخذه الله نكال الآخرة والأولى.

قال ابن عباس: فيها نكال قوله:**{مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرِي}** [القصص: ٣٨] وقوله بعد:**{أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَى}** [النازعات: ٢٤] وكان بين الكلمتين أربعون سنة والمعنى أمهله الله في الأولي ثم أخذه في الثانية، فعذبه بكلمتيه [1].

ولو كان فرعون (لعنه الله) كيساً فطناً ولبيباً فاهماً ما قال ذلك لأنه متناقض مع نفسه في أقواله، فمرة يقول:**{مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرِي}** [القصص: ٣٨] وهنا يقول:**{أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ}** [الزخرف: ٥١].

فلماذا حدد مملكته في مصر وحدها؟ ولماذا لم يقل أليس لي ملك العالم؟ إن المتداعي بشيء لابد له من عثرات يفضح بها نفسه وينفي بها ما كان يدعيه لها ونتيجة تكبره على الله مذكورة في قوله تعالى: **{فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ}** [القصص: ٤٠] إن الظلم الذي ارتكبه فرعون (لعنه الله) هو أفحش أنواع الظلم إذ ادعى أنه الرب الأعلى.

القسم الثاني: التكبر على الرسل من حيث تعزز النفس وترفعها عن الانقياد لبشر مثل سائر الناس، ومن هؤلاء الذين عرفوا أحقية الرسل للرسالة، ولكن منعهم الكبر عن الاعتراف بالحق والإذعان له. " اليهود " لعنهم الله تعالى، فقد كانوا يقولون: اللهم ابعث هذا النبي الذي نجده مكتوباً عندنا حتى نعذب المشركين ونقتلهم، فلما بعث الله محمداً ﷺ ورأو أنه من غيرهم كفروا به حسداً للعرب وهم يعلمون أنه النبي ﷺ أقرأ قوله تعالى في سورة البقرة**{وَلَمَّا جَاءهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ الله مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُواْ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَاءهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِ فَلَعْنَةُ الله عَلَى الْكَافِرِينَ}** [البقرة: ٨٩] وما حدث لرسول الله ﷺ من تكذيب وإيذاء من

(١) تفسير القرطبي.

قبل المستكبرين حدث لإخوانه من الأنبياء والمرسلين قال تعالى{**وَقَالُواْ لَوْلا أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِيَ الأمْرُ ثُمَّ لاَ يُنظَرُونَ**} [الأنعام: ٨].

وقال تعالى{**قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي الله شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى قَالُواْ إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَآؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ**} [إبراهيم: ١٠ - ١١].

والقسم الثالث: من أقسام الكبر باعتبار المتكبر عليه: التكبر على العباد وذلك بأن يستعظم المتكبر نفسه، ويستحقر غيره، فتأبى نفسه عن الانقياد لهم وهذا الكبر وإن كان دون التكبر على الله والتكبر على الرسل، إلا أنه له خطره من وجهين:

الوجه الأول: أن الكبر والعظمة والعلاء لا يليق إلا بمالك الملك القادر، أما العبد المملوك الضعيف المخلوق لله الذي لا يقدر على دفع الضر عن نفسه، فمن أين يليق بحاله الكبر مع أن الله تعالى يقول في حديثه القدسي:**الكبرياء ردائي والعظمة إزاري ـــ.**

أما الوجه الثاني: فإنه يرجع إلى أن هذا الكبر يدعو إلى مخالفة الله تعالى في أوامره لأن المتكبر إذا سمع الحق من عبد من عباد الله استنكف عن قبوله وتشمر لجحده.

إخوة الإيمان والإسلام:

ونتحدث - إن شاء الله - عن أسباب التكبر من ناحية الكمال الدنيوي ونقول: لا يستعظم في نفسه ويتكبر بها على الناس - إلا من كان معتقداً بأن لها صفة من صفات الكمال، وهذا الكمال إما أن يكون كمالاً دنيوياً أو دينياً، وإليكم أخوة الإسلام أسباب الكمال الدنيوي وما يتكبر به:

النسب والحسب: فمن كان ذا نسب في قومه، وذا شرف وحسب بالآباء والأجداد فإنه يستحقر ويتكبر على من ليس له ذلك وإن كان أرفع منه علماً وعملاً، كما قال الفرزدق مفتخراً بآبائه على جرير يستهزىء به:

أولئــك آبــائي فجئنــي بمــثلهم ::: إذا جمعتنــا يــا جريــر المجــامع

وفي صحيح البخاري أن أبا ذر سب رجلاً بأمه فقال له النبي ﷺ : **يا أبا ذر أعيرته بأمه؟ إنك امرؤ فيك جاهلية إخوانكم خولكم، جعلهم الله تحت أيديكم، فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل ، وليلبسه مما يلبس ، ولا تكلفوهم مما يغلبهم ، فإن كلفتموهم فأعينوهم.**

قال ابن حجر رحمه الله: ويظهر أن ذلك كان من أبي ذر قبل أن يعرف تحريمه.

وروي الإمام أحمد في حديث إسناده صحيح أن رجلين تفاخرا عند النبي ﷺ فقال أحدهما للآخر: أنا فلان ابن فلان فمن أنت لا أم لك؟ فقال النبي ﷺ:**افتخر رجلان عند موسي عليه السلام ، فقال أحدهما: أنا فلان ابن فلان حتى عدّ تسعة فأوحى الله إلى موسى عليه السلام ، قل للذي افتخر: بل التسعة من أهل النار وأنت عاشرهم.**

أما عن علاج ذلك:

إذا أراد الشخص أن يتكبر بنسبه، فلينظر إلى نفسه بعين الإنصاف والاعتدال ويتساءل هل تكبره هذا في محله؟ وهل يحق له أن يتمسح في غيره؟ إن العاقل لو أراد الافتخار لكان الأولى أن يفتخر بنفسه من خلال أفعاله التي قدمها في حياته وليترك المجتمع هو الذي يحكم عليه فإن حب الثناء طبيعة كل إنسان وعلى حد قول القائل:

لـيس الفتـي مـن يقـول كـان أبـي ::: ولكـن الفتـي مـن يقـول هأنـذا

ويجب على كل إنسان أن يعرف نسبه الحقيقي، حتى يقف عند حده ولا يحيد عن الطريق الذي خلق من أجله فأبو كل واحد نطفة قذرة وجده البعيد تراب ذليل، وقد عرف الله سبحانه وتعالى أصل الإنسان فقال:{**الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِن طِينٍ * ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلَالَةٍ مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ**} [السجدة: ٧، ٨] فالإنسان في الآية هو آدم عليه السلام ونسله وذريته والسلالة، النطفة، وماء مهين: أي مني ضعيف حقير، فأصله الترب المهين الذي يداس بالأقدام.

التكبر بالمال: ويتمثل هذا في أصحاب العقارات والأراضي

والمصانع والتجار الذين يتاجرون في بضائعهم، والملوك بما يملكون من خزائن فهؤلاء نجد من بينهم من يتكبر بذلك، وقد يتلفظ كثيرون منهم بالألفاظ الصريحة التي تؤلم النفس وتحزن القلب فيقول له مثلاً: يا مسكين أويا فقير، أو... فلو عرف الغني الذي يتكبر بماله قيمة الفقير ومنزلته عند الله، لتملقه ولاطفه، وتمنى أن يجالسه، فما الدنيا إلا طيف خيال وكل ما عليها صائر إلى الزوال وعلاج ذلك:

لو كان الغني وكثرة المال عن استحقاق، ما أغنى الله عز وجل ومَنْ في غاية الذل والطرد من رحمة الله تعالى لأن ماله هذا سينقلب عليه وبالاً ونكالاً وهل يستوي البحران هذا عذب فرات وهذا ملح أجاج لا يستويان واعلم أن صاحب المال إذا ذهب ما له أصبح غير منوط بالإحترام بين الناس إذ أن الناس كانت تحترمه لما له غالباً والأمثال في ذلك كثيرة كقصة صاحب الجنة التي وردت في سورة الكهف حيث أخبر ربنا في كتابه فقال:**{فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا}** [الكهف: ٣٤].

حيث أجابه فقال:**{قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا * لَّكِنَّا هُوَ الله رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا * وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ الله لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِن تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا * فَعَسَى رَبِّي أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا * أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا}** [الكهف: ٣٩ - ٤١].

ومثال آخر: الوليد بن المغيرة، حيث نزل فيه قول الله تعالى:**{وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ * هَمَّازٍ مَّشَّاءٍ بِنَمِيمٍ * مَنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ * عُتُلٍّ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ * أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ * إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ}** [القلم: ١٠ - ١٥] ويقول النبي ﷺ في الحديث الذي رواه الطبراني في الأوسط من حديث ابن عمر قال سمعت رسول الله ﷺ يقول:**يدخل فقراء أمتي الجنة قبل أغنيائهم بأربعين خريفاً** ومن حديث سعد بن عامر الذي رواه الطبراني أن رسول الله قال:**إن فقراء المسلمين يزفون كما تزف الحمام فيقال لهم قفوا للحساب، فيقولون: والله ما تركنا شيئاً نحاسب عليه**

فيقول الله عز وجل: صدق عبادي، فيدخلون الجنة قبل الناس بسبعين عاماً.

التكبر بالقوة وشدة البطش بالضعفاء:

قد يتكبر القوي بشدة سواعده وعضلاته مستغلاً بذلك ضعف الناس، ويدخل في هذا أيضاً علو اليد، ونفوذ الأمر، وقلة مخالطة الأكفاء.

علاج ذلك:

أن يعلم أن ذلك منحة من الله وعطية أعطاها له، لكي ينتفع بها ويعمر لا ليخرب فقد يسلط الله عليه العلل والأمراض فيسلب قوته، فلو سلب الذباب شيئاً ما استطاع أن يرده، ولو دخلت في أذنه نملة قتلته، ولو دخلت في رجله شوكة أعجزته، ولو تخللته حمي في يوم من الأيام أصبح هزيلاً لا تعاد إليه قوته، وليتذكر ما حدث لقوم عاد{**فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ الله الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ**} [فصلت: ١٥] ويروى أن عمر ﷺ نادي يوماً: الصلاة جامعة، فلما اجتمع الناس صعد المنبر فحمد الله وأثني عليه، وصلى على نبيه ﷺ ثم قال: أيها الناس لقد رأيتني، وأنا أرعي علي خالات لي من بني مخزوم فيقبضن لي القبض من التمر والزبيب فأظل اليوم وأي يوم فقال عبد الرحمن بن عوف: والله يا أمير المؤمنين والله ما زدت إلا أن قصرت علي نفسك، فقال عمر ويحك يابن عوف، إني خلوت فحدثت نفسي فقالت: أنت أمير المؤمنين فمن ذا أفضل منك، فأردت أن أعرفها نفسها ".

التكبر والتفاخر بالجمال:

يقول رسول الله ﷺ :**إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم** (١).

إن التكبر والتفاخر بالجمال كثيراً ما يكون من النساء وبين النساء ولذا نلحظ أن آية الحجرات التي يقول فيها ربنا{**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ**

(١) مسلم.

قَومٌ مِّن قَوْمٍ عَسَى أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ} [الحجرات: ١٣] لم تكتف الآية بهذا فحسب ولكنها ذكرت جنس النساء خاصة مع أنهن يدخلن في عموم النداء ولكن نظراً لأن هذا الأمر كثيراً ما يحدث منهن ولذا نتذكر ما دار بين عائشة ♥ والنبي ﷺ حينما أشارت بيدها تريد أم المؤمنين صفية قصيرة فقال النبي لعائشة: لقد قلت كلمة لو مزجت ببحر لمزجته، والمسلم الذي يستهزأ بأخيه كالمستهزئ بنفسه حيث يقول ربنا**{وَلاَ تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ}** [الحجرات: ٤].

وعلاج ذلك:

من أراد أن يتكبر بجماله وحسنه فلينظر أولا إلى حقيقة أمره فسيجد نفسه خلق من الأقذار الشنيعة والصور التي مر بها من نطفة فعلقة فمضغة ثم خروجه من الأماكن القذرة ومايحمله من عذرة.

يقول أنس ☺: كان أبو بكر يخطبنا فيقدر إلينا أنفسنا ويقول: خرج أحدكم من مجرى البول مرتين.

وقبل كل ذلك نذكر بقول الله سبحانه:**{فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ خُلِقَ مِن مَّاء دَافِقٍ يَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ}** [الطارق: ٥ - ٧].

وقال تعالى:**{هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلَا وَأَغْلَالًا وَسَعِيرًا إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا}** [الإنسان: ١ - ٥].

ولقد علمنا نبينا الكريم ألا نتكبر على أحد، بل إن الإسلام جعل التقوى هى مناط التكريم والتفضيل.

فهذا جليبيب ﷺ كان ذميم الخلقة، ولكنه قوى لإيمان لذا حبه رسول الله وزوجه ولما استشهد في القتال قال رسول الله:**جليبيب منى وأنا منه**.

نسأل الله جلا وعلا أن يجعلنا من المتواضعين.

اللهم آمين يارب العالمين.

كيفية معالجة الكبر

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه. وبعد:

إخوة الإسلام:

إن الكبر صفة رذيلة، تؤدى بصاحبها إلى الجحيم، وتجعله يصلى عذاب السعير وهذه الصفة من المهلكات وقلما ينجو منها أحد ولاتزول بمجرد التمنى، بل لابد من استعمال الدواء الناجح لها والمتكبر إذا أراد أن يرجع إلى رشده ويفيء من غيه، ويعود إلى صوابه لابد من وجود سببين رئيسين هما السبيل الرئيسى لمعالجته وتقويمه، أحدهما كما أسلفنا في اللقاء الماضى (دفع العارض منه والأمر الطارئ عليه بالأسباب الخاصة التي بها يتكبر الإنسان على غيره).

ثانيهما: استئصال أصل الكبر وقطع جذوره من القلب.

ولابد أن نعلم عباد الله - أن استئصال أصل الكبر من القلب وقطع جذوره لا يتحقق إلا بوجود علاجين هامين، لايستغنى أحدهما عن الآخر، أحدهما علمى والثانى عملى، ولايتم الشفاء إلا بمجموعهما.

أولا العلاج العلمى: وهو يعرف نفسه ويعرف ربه، فإذا تحققت هذه المعرفة كفاه بذلك إزالة الكبر عنه؛ لأنه إذا عرف نفسه معرفة جيدة، وأمعن النظر فيها لوجد نفسه أذل من كل ذليل، وأقل من كل قليل، فلا لجوء له إذًا إلا للتواضع والذلة والمهانة، وإذا عرف ربه تمام المعرفة، علم أنه لا تليق العظمة والكبرياء إلا له فهو وحده صانع هذا العالم فلا تكبر ولا تجبر إلا له:

يقول تعالى:{**قُلْ مَن بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ**} [المؤمنون: ٨٨، ٨٩].

وإذا أراد الإنسان أن يعرف حتى لايصول ويجول ويسعى في الأرض فسادا فليقرأ قول الله تعالى:{**قُتِلَ الْإِنسَانُ مَا أَكْفَرَهُ * مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ * مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ * ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ * ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ * ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنشَرَهُ**} [عبس:

١٧ - ٢٢].

ومعنى قتل الإنسان ما أكفره أى: لعن الإنسان ما أشد كفره بالله وما أشد كفره بنعمه مع كثرة نعمه وإحسانه إليه. من أى شيء خلق هذا الكافر حتى يتكبر؟! لقد خلق الإنسان من نطفة من ماء يسير مهين والآية قد نزلت في شأن - عتبة بن أبى لهب - فقد غاضب أباه فأسلم، ثم استصلحه أبوه وأعطاه مالا وجهزه إلى الشام فبعث إلى رسول الله ﷺ أنه كافر برب النجم إذا هوى فأنزل الله قوله: (قتل الإنسان) أى لعن حيث كفر بالقرآن ودعى عليه رسول الله ﷺ فقال: (اللهم ابعث عليه كلب حتى يفترسه، فلما كان في أثناء الطريق ذكر الدعاء فجعل لمن معه ألف دينار، وإن أصبح حيا، فجعلوه وسط الرفقة والمتاع حوله. فأقبل أسد إلى الرجال ووثب فإذا هو فوقه فمزقه فكان أبوه يندبه ويبكى عليه ويقول ما قال محمد ﷺ شيئا قط إلا كان [١].

*** يقول الإمام الغزالى في (الإحياء):**

أشارت هذه الآيات إلى أول خلق الإنسان وإلى آخر أمره إلى وسطه فلينظر الإنسان ذلك ليفهم معنى هذه الآية.

أما أول الإنسان أنه:{**لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا**} وقد كان في حيز العدم دهورا بل لم يكن لعدمه أول وأى شيء أقل وأخس من المحو والعدمة إذ خلقه الله من أقذر الأشياء.

قال تعالى:{**وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِين * ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ**} [المؤمنون: ١٢، ١٣].

* يقول الإمام الغزالى: فما صار الإنسان شيئا مذكورا، إلا وهو على أحسن الأوصاف إذ لم يخلقه الله في ابتدائه كاملا، بل خلقه جمادا لايسمع ولايبصر ولايحس، فبد أ بموته قبل حياته وبضعفه قبل قوته وبجهله قبل علمه وبعماه قبل بصره وبصمه قبل سمعه فهذا معنى قوله تعالى:{**مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ**} [عبس: ١٨، ١٩].

(١) روح المعاني.

ومعنى قوله:{**هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا**} [الإنسان: ١] أي: كذلك خلقه أولا ثم امتن عليه فقال:{**ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ**} وهذا إشارة إلى ماتيسر له في حياته إلى الموت فانظر كيف بعد الضلال، فانظر كيف دبره وصوره وإلى السبيل كيف يسره، وإلى طغيان الإنسان ما أكفره وإلى جهل الإنسان كيف أظهره.

قال تعالى في سورة الروم:{**وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ**} [الروم: ٢٠].

فانظر إلى نعمة الله عليه كيف نقله من تلك الذلة والقلة والخسة والقذارة إلى هذه الرفعة والكرامة فصار موجودا بعد العدم وحيا بعد الموت وناطقا بعد البكم.

لقد امتن الله ﷻ على الإنسان فقال في سورة البلد:{**أَلَمْ نَجْعَل لَّهُ عَيْنَيْنِ * وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ* وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ**} [البلد: ٨ - ١٠] أي ألم نجعل له عينين يبصر بهما ولسانا يفصح به عما في ضميره وشفتي يستر بهما فاه ويستعين بهما على النطق والأكل والشرب، وللأسف الشديد بدلا من أن يقابل ذلك بالشكر والعرفان لمقابلة جزء من هذه النعم العظام كان الجحود والخسران فقال:{**أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَى * ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى**} ثم ذكر منته عليه فقال:{**فَخَلَقَ فَسَوَّى * فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى**} [القيامة: ٣٧ - ٣٩].

عجبت من معجب بصورته ::: وكان بالأمس نطفة مذرة
وفي غد بعد حسن صورته ::: يصير في اللحد جيفة قذرة
وهو على تيهة ونخوته ::: ما بين ثوبيه يحمل العذرة

يقول الإمام الغزالي:لو أكمل الإنسان وفوض إليه أمره، وأدام له الوجود باختياره.

لجاز أن يطغى ونسى المبدأ والمنتهى لكنه سلط عليه الآفات والأمراض ولا يملك لنفسه نفعا أو ضرا وهذا هو وسط خلق الإنسان أما آخر مورده فهو المشار إليه لقوله تعالى:{**ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ * ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنشَرَهُ**} [عبس: ٢١، ٢٢].

قال الحافظ ابن كثير: والمعنى أنه يسلب روحه وسمعه وبصره

وعلمه وقدرته وحسن إدراكه، فيعود جمادا، كما كان أول أمره، لا يبقى إلا شكل أعضائه وصورته ليس فيه حس ولا حركه ثم يوضع في التراب فيصير جيفة نتنة قذرة، كما كان أولا نطفة مذرة، ثم تبلى أعضاؤه ثم يصير ترابا وصار كأن لم يغن بالأمس - حصيدا فيخرج من قبره بعد جمع أجزائه المتفرقة، ويخرج إلى أهوال القيامه، فينظر إلى قيامة قائمة وسماء ممشقة ممزقة وأرض مبدلة وجبال مصيرة، وشمس منكسفة، ونجوم منكدرة وأحوال صحائف منشورة فيقال له:{**اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ اليَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيباً**} [الإسراء: ١٤]، أى أنك تعلم أنك لم تظلم، ولم يكتب عليك إلا ما قد عملت، لأنك ذكرت ما كان منك، ولا ينسى أحد شيئا مما كان منه وكل أحد يقرأ كتابه من قارئ وأمى.

وذكر عن الإمام أحمد (أنه كان يئن في مرضه، فبلغه عن طاووس أنه قال: يكتب الملك كل شيء حتى الأنين، فلم يئن أحمد حتى مات - رحمه الله - وإذا أعطى العبد الكتاب وقال له ربه " اقرأ " انقطع قلبه فزعا من هول هذا الخطاب، قبل أن تنشر الصحيفة ويشاهد ما فيها من المخازى فإذا شاهدها قال:{**يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا**} [الكهف: ٤٩].

يقول الإمام الغزالى: إذا عرف الإنسان حقيقة أمره هذا فماله مغترا بنفسه يفرخ بطرا أو شرا ويمشى على الأرض تكبرا وتعاظما وكيف لو عرف نهاية نفسه ربما اختار أن يكون كلبا أو خنزيرا{**يَوْمَ يَنظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنتُ تُرَابًا**} [النبأ: ٤٠].

❖ ثانيا: العلاج العلمى للشخص المتكبر:

فمن التواضع لله بالفعل ولسائر الخلق بالمواظبة على أخلاق المتواضعين من السماحة والمروءة والشهامة، وخير دليل على هذا هو رسولنا ﷺ فقد كان يركب الحمار ويردف خلفه ويعود المساكين ويجالس الفقراء ويجيب دعوة العبد.

إن التواضع المطلوب الذي أراده الإسلام، ويثاب عليه الإنسان لايتم إلا بعد المعرفة إلا بالعمل فالعلم والعمل صنوان يخرجان من مشكاة

واحدة فالإيمان وحده غير كاف للشخص إلا إذا انضم معه العمل وإلا فهو مؤمن عاص غير كامل الإيمان، وهكذا من علم عن التواضع فلايتم التواضع المطلوب منه إلا بالممارسة العملية، وإلا كان على النقيض فيهوى بذلك إلى الحضيض فالقلوب لاتتخلق بالأخلاق المحمودة إلا بالعلم والعمل جميعا وذلك لسر الارتباط بين القلب وسائر الجوارح.

إخوة الإيمان والإسلام: أما عن أسباب الكمال الدينى التي تؤدى إلى الكبر فأول هذه الأسباب التكبر بالعلم، وهذا لا يختص به إلا بالعلماء، فما أسرعه إليهم فلا يلبث العالم أن يتعزز بعلمه ويسخر الناس لحوائجه ويرجو لنفسه أكثر مما يرجو لهم وهذا وأمثاله من العلماء المتكبرين أن يسمى حاملا أولى من أن يسمى عالما، ولهذا قال أبو الدرداء: من يزدد علما أو يزدد وجعا، وقال أيضا: ما أخاف على نفسى أن يقال لى: ماذا علمت، ولكنى أخاف أن يقال لى: ماذا عملت ومن هنا جاء قول النبى ﷺ: في الحديث الذي رواه أبو بريدة الأسلمى: **لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع. ذكر منها علمه فيما عمل بهـــ** (١).

وقد أخبر الله جل وعلا في كتابه:{**إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ**} [فاطر: ٢٨]. ليس المقصود النحو والصرف وغيرها الذي ربما إذا علم الإنسان به جيدا أدى إلى الكبر، ولكن العلم هو معرفة العبودية والربوبية وطريق العبادة وهذه تورث التواضع غالبا لأنها هى التي تثمر الخشية وقد كان من دعاء النبى ﷺ:**اللهم إنى أعوذ بك من علم لا ينفعـــ** (٢).

وعلاج ذلك:

١) أن يعلم حجة الله على أهل العلم أكبر، وأنه يحتمل من الجاهل ما لا يحتمل عُشْرهُ من العالم، وقد أخبر النبى ﷺ في الحديث الذي رواه الإمام البخارى عن أسامة بن زيد:**يؤتى بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق أقتاب بطنه، فيدور بها كما يدور الحمار بالرحى، فيجمع إليه**

(١) رواه الترمذي وقال حسن صحيح.
(٢) رواه أحمد في مسنده.

أهل النار فيقول يافلان، مالك ألم تكن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر؟ يقول بلى كنت آمر بالمعروف ولا آتيه وأنهى عن المنكر وآتيه ــــ والأقتاب جمع قتب وهى الأمعاء واندلاقها خروجها بسرعة.

٢) أن يعلم أن الكبر إنما هو صفة ممقونة لله جل وعلا، وأنه لا يليق إلا به، فلا يصح أن ينازعه فيه غيره، ولايشاركه فيه أحد فإذا تكبر العالم بعلمه صار ممقونا عند الله.

إخوة الإسلام:

وتأتى أسباب الكمال الدينى التي تؤدى إلى الكبر أن يطلب بالعلم الرئاسة على الخلق، وهذا أمر مذموم حذر منه رسول الله ﷺ قال رسول الله ﷺ:**لا تعلموا العلم لتباهوا به العلماء ولا لتماروا به السفهاء ولا تخيروا به المجالس فمن فعل ذلك فالنار النار ــــ** (١).

ويقول ﷺ في حديث آخر:**ولتصرفوا به وجوه الناس إليكم وابتغوا بقولكم ماعند الله فإنه يدوم ويبقى وينفذ ما سواه ــــ** (٢).

❖ وثالث أسباب الكمال الدينى التي تؤدى إلى الكبر:

التكبر بالعمل والعبادة ويتمثل هذا في طوائف من الزهاد والعباد، الذين يظنون أنهم بأيديهم خزائن الجنان وينظرون إلى غيرهم أنهم من أهل النيران فقد أخبر الرسول ﷺ عن هؤلاء فقال:**إذا سمعت الرجل يقول هلك الناس فهو أهلكهم ــــ** (٣) أى أشدهم هلاكا أو جعلهم هالكين وقد قال رسول الله ﷺ أيضا:**المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولايخذله ولا يحقره ــــ** (٤) وقال ربنا في كتابه:{**هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ**} [الزمر: ٩] وقال النبى الكريم:**فضل العالم على العابد كفضلى على أدناكم ــــ** ويستفاد من ذلك أن العالم أفضل من العابد ولانملك للإنسان المتكبر إلا أن نقول له: فليفعل الإنسان المتكبر مايفعله

(١) رواه ابن ماجه.
(٢) رواه الدارمي.
(٣) رواه مسلم.
(٤) رواه مسلم.

كل الناس حتى يتخلى عن كل ما ألم به من كبر وزهو وخيلاء.

فاللهم اجعلنا من المتواضعين ولاتجعلنا من المتكبرين.

اللهم آمين.

* * *

الفصل السادس
ابتلاءات

الإبتلاء بين الرحمة والعناء.
أسباب انهيار المجتمعات كما تحددها سورة الفجر.
متي نصر الله؟
تحذير للعرب.

الابـتلاء بـين الرحـمة والعناء

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه.. وبعد:

إخوة الإسلام

إنه مما لايخفى على أحد أن الحياة مليئة بالمصائب والبلايا وأن كل مؤمن ومؤمنة عرضة لكثير منها فمرة يبتلى بنفسه ومرة يبتلى بحبيبه وهكذا تتقلب عليه الأقدار من لدن حكيم عليم وإذا لم يحمل المؤمن النظرة الصحيحة للبلاء فسوف يكون زلاته أكبر من صوابه ولاسيما أن بعض المصائب تطيش منها العقول لضخامتها وفجاءتها، ومن هنا كانت هذه الكلمات تسلية لكل مصاب مهما بلغ مصابه كى يستبين لنا بعض حكم البلاء العظيمة التي ربما غفل عنها كثير من الناس وتناسوا أن الله لا يبتلى ليعذب، ولكن ليصطفى ويهذب، ومن هنا تأتى رحمة الله وعلى المؤمن أن ينظر إلى مفهوم البلاء من خلال كتاب الله عز وجل وسنة النبى المصطفى ﷺ.

*** أولاً: الابتلاء قدر وامتحان:**

نعم الابتلاء امتحان فنحن في قاعة امتحان كبيرة، فكل مافيها ابتلاء وامتحان، فالمال امتحان والزوجة امتحان، الغنى والفقر امتحان الصحة والمرض امتحان وكلنا ممتحن فيما يملك في هذه الحياة حتى يلقى الله عز وجل.

قال تعالى:**{كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ}** [الأنبياء: ٣٥].

وقال أيضا:**{أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ}** [العنكبوت: ٢].

فأنت أيها المعافى ممتحن، ولكن ما أحسست أنك في قاعة امتحان حتى ابتليت وأنت أيها المريض ممتحن، ولكم ما أحسست أنك في قاعة امتحان حتى شفيت، وليس فينا من هو أكبر من أن يمتحن وكيف لا؟ وقد

جاء في الحديث الصحيح الذي رواه مصعب بن سعد عن أبيه أن النبي ﷺ قال:**أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل ويبتلى المرء على قدر دينه** (١).

فليس فينا من يملك رفض هذا الامتحان، فكلنا مبتلى وكلنا ممتحن في هذه الحياة.

يقول الفضيل بن عياض: " الناس ماداموا في عافية مستورون فإذا نزل بهم بلاء صاروا إلى حقائقهم فصار المؤمن إلى إيمانه وصار المنافق إلى نفاقه " وليعلم الناس أن الله قسم بين الناس معايشهم وآجالهم كما أخبر في كتابه فقال:**{نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ}** [الزخرف: ٣٢].

فالرزق مقسوم، والمرض مقسوم والعافية مقسومة، وكل شيء في هذه الحياة مقسوم، فارض بما قسمه الله لك يا عبد الله، ولا تجزع للمرض ولا تكره القدر، فإن كل شيء بيد الله، فيمرض من يشاء، ويعفى من يشاء، ألا له الخلق والأمر؟ واعلم أنه ما أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطأك لم يكن ليصيبك، وأن من يرد أن تكون الحياة على حال واحدة، فكأنما يريد أن يكون قضاء الله تعالى وفق هواه وما يشتهيه ولكن هيهات هيهات (٢).

ياصاحب الهم إن الهم منفرج ::: أبشر بخير فإن الفارج الله
اليأس يقطع أحيانا بصاحبه ::: لا تيأسن فإن الكافى الله
الله يحدث بعد العسر ميسرة ::: لا تجزعن فإن القاسم الله
إذا بليت فثق بالله وارض به ::: إن الذي يكشف البلوى هو الله
والله مالك غير الله من أحد ::: فحسبك الله في كل لك الله

ويقول بعض السلف: إذا نزلت بك مصيبة فصبرت كانت مصيبتك واحدة وإذا نزلت بك ولم تصبر فقد أصبت بمصيبتين فقدان المحبوب

(١) رواه البخاري.
(٢) رسالة ورقية (البلاء في حسن المؤمن).

وفقدان الثواب.

ويقول ربنا:**{وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ الله عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ}** [الحج: ١١].

ويقول الشاعر الحكيم:

قد ينعم الله بالبلوى وإن عظمت ::: ويبتلى الله بعض القوم بالنعم

*** ثانيا: الابتلاء علامة حب ورأفة:**

إن المصائب والبلاء امتحان للعبد وهى علامة حب من الله له إذ هى كالدواء فإنه وإن كان مرا إلا أنك تقدمه على مرارته لمن تحب ولله المثل الأعلى.

وقد قال النبى ﷺ :**إن عظم الجزاء من عظم البلاء وإن الله عز وجل إذا أحب قوما ابتلاهم فمن رضى فله الرضا ومن سخط فله السخط**(١).

ويقول ابن القيم - رحمه الله - إن ابتلاء المؤمن كالدواء له يستخرج منه الأدواء التي لو بقيت فيه لأهلكته أو نقصت ثوابه وأنزلت درجته فيستخرج الابتلاء والامتحان منه تلك الأدواء ويستعد به إلى تمام الأجر وعلو المنزلة.

ولاشك أن نزول البلاء خير للمؤمن من أن يدخر له العقاب في الآخرة وكيف لا وفيه ترفع درجاته وتكفر سيئاته وقد قال النبى ﷺ: **إذا أراد الله بعبده الخير عجل له العقوبة في الدنيا ، وإذا أراد بعبده الشر أمسكه عنه بذنبه حتى يوافيه به يوم القيامة**(٢).

وبين أهل العلم أن الذي يمسك عنه هو المنافق، فإن الله يمسك عنه في الدنيا ليوافيه بكامل ذنوبه يوم القيامة.

واعلم أنه... لا يرفع الله بلاء إلا إذا رضى العبد به.

(١) رواه الترمذي وصححه الألباني من حديث أنس.
(٢) رواه الترمذي.

واعلم أنه... ماكان دائما يبتلى ليعذب، ولكن يبتلى ليصطفى ويهذب.

عباد الله:

لما فهم السلف الصالح (رضوان الله عليهم) الحكمة الشرعية للبلاء كانوا أفضل منا حالا معه وضربوا لنا أروع الأمثال في الصبر والعزاء والاحتساب روى عن عمر الفاروق ﷺ أنه كان يكثر من حمد الله على البلاء فلما سئل عن ذلك قال: ما أصبت ببلاء إلا كان على فيه أربع نعم: أنه لم يكن في دينى، وأنه لم يكن أكبر منى، وأنى لم أحرم الرضا والصبر، وإنى أرجو ثواب الله عليه.

وهذا هو عروة بن الزبير - رحمه الله - أصيب في قدمه فقرر الأطباء قطعها، فقطعت فما زاد على أن قال: اللهم لك الحمد، فإن أخذت فقد أبقيت وإن ابتليت فقد عافيت فلما كان من الغد ركلت بغلة ابنه محمدا وهو أحب أبنائه إليه. وكان شابا يافعا فمات من حينه فجاءه الخبر بموته فما زاد على أن قال مثلما قال في الأولى فلما سئل عن ذلك قال: كان لى أربعة أطراف فأخذ الله منى طرفا وأبقى لى ثلاثة وكان لى سبعة من الولد فأخذ الله منى واحدا وأبقى لى ستة وعافانى فيما مضى من حياتى ثم ابتلانى اليوم بما ترون، أفلا أحمده على ذلك؟

ولا تنس أيها الأخ الحبيب أنه:

- إذا أصبت بأمر عارض أن تحمد الله على أنك لم تصب بعرض أشد منه وأنه وإن ابتلاك فقد عافاك وإن أخذ منك فقد أعطاك.
- لا تنس أنه مهما بلغ مصابك فلن يبلغ مصاب الأمة جمعاء بفقد حبيبها ﷺ فتعز بذلك كما جاء في الحديث الذي رواه البيهقى وصححه الألبانى، أن رسول الله ﷺ قال:**إذا أصاب أحدكم مصيبة فليذكر مصيبته بى فإنها من أعظم المصائبـــ.**
- وإذا أصابتك مصيبة فقل:**اللهم أجرنى في مصيبتى واخلف لى خيرا منها فإنك إن قلت ذلك أجارك الله في مصيبتك وخلفها عليك بخيرـــ.**

- لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون فلا تيأس مهما بلغ بك البلاء فإن الله يقول:**{فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا * إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا}** [الشرح: ٥، ٦] وكما قال الفاروق عن هذه الآية ما كان لعسر أن يغلب يسرين.

البلاء يذكر بعيوب النفس ليتوب الإنسان عن الذنوب والمعاصي حيث يقول ربنا:**{وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ}** ويقول أيضا:**{وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ}** [الشورى: ٣٠] ويقول أيضا:**{وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ}** [السجدة: ٢١] والعذاب الأدنى هو نكد الدنيا ونغصها.

البلاء درس تربوى عملي يربينا على الصبر وما أحوجنا إلى الصبر في كل شيء وما أحوجنا إلى الصبر في كل شيء فلن نستطيع الثبات على الحق إلا بالصبر على طاعة وعن معصية الله فكل ذلك زادنا إلى جنة الخلد والرضوان.

قال تعالى:**{وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ}** [فصلت: ٣٥] وهنا سؤال يرد على خاطر كثير من الناس وهو: هل الشكوى إلى الله تتنافى مع الصبر على البلاء؟؟ وهنا نجيب على ذلك فنقول:

إخوة الإيمان:

اعلموا أن شكوى العبد لربه من الألم والضر الذي أصابه لايتنافى مع صبره حيث إن القرآن الكريم قد طالعنا بما حدث مع نبى الله يعقوب عليه السلام حين وعد ربه الصبر كما حكى القرآن:**{فَصَبْرٌ جَمِيلٌ}** [يوسف: ٨٣].

والمعنى: لا أشكو ذلك إلى أحد وحيث قال أيضا على لسان نبيه يعقوب عليه السلام:**{قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ}** [يوسف: ٨٦].

وهذا نبى الله أيوب عليه السلام أثنى عليه القرآن في صبره فقال تعالى:**{إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ}** [ص: ٤٤] مع أنه اشتكى إلى ربه شدة البلاء الذي أصابه حيث قال ربنا:**{وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ * فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِن ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم**

مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ} [الأنبياء: ٨٤].

وعلى هذا فيجوز من شكوى المريض ماكان عن طريق الطلب من الله وعلى غير طريق التسخط للقدر والتضجر.

قال العلامة القرطبى: اتفق العلماء على كراهية شكوى العبد ربه وشكواه إنما هو ذكره للناس على سبيل التضجر وأن الألم لايقدر أحد على رفعه والنفوس مجبولة على وجدان ذلك فلا يستطاع تغييرها عما جبلت عليه، وإنما كلف العبد ألا يقع منه في حال المصيبة ماله سبيل إلى تركه كالمبالغة في التأوه والجزع الزائد، أما مجرد التشكى فليس مذموما حتى يحصل التسخط للمقدور (١).

ويقول الإمام النووى: فلعلهم أرادوا بالكرامة خلاف الأولى فإنه لا شك أن اشتغاله بالذكر أولى.

قال ابن حجر: ولعلهم أخذوه بالمعنى من كثرة الشكوى تدل على ضعف اليقين وتشعر بالتسخط للقضاء وتورث شماتة الأعداء وأما إخبار المريض صديقه أو طبيبه عن حاله فلا بأس به اتفاقا وقد أخبر النبى ﷺ من حديث صهيب: **عجبا لأمر المؤمن إن أمره كله له خير وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن إن أصابته سراء شكر فكان خيرا له وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له ولا يكون ذلك إلا للمؤمنـــ** (٢).

أما إذا كانت شكوى الإنسان على سبيل التبرم والتضجر والجزع فإنه ينطبق عليه قول القائل:

وإذا شكوت إلى ابن آدم فكأنما ::: تشكو الرحيم الذي لا يرحم

وقد أخبر الله جل وعلا في حديثه القدسى فقال: **من لم يرض بقضائى ولم يصبر على بلائى فليلتمس ربا سواىـــ** (٣).

نسأل الله جل وعلا أن يجعلنا من الصابرين الشاكرين الحامدين. اللهم آمين.

---

(١) انظر فتح الباري.
(٢) البيهقي ومسلم.
(٣) الطبراني عن أبي هند الداري.

أسباب انهيار المجتمعات كما تحددها سورة الفجر

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله. وأشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله.. وبعد:

إخوة الإسلام:

إن الصراع بين الحق والباطل من الأمور القديمة منذ بداية الخليقة وسيظل الصراع بين الحق والباطل ما دام هناك حياة أو أحياء وقد أراد الله ﷻ أن يأخذ كل ذى حق حقه إذ أن الله هو العدل وقد حرم الله الظلم على الناس كما في الحديث القدسى:**يا عبادى إنى حرمت الظلم على نفسى وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا** ومانراه يحدث الآن من ظلم واستبداد للشعوب العربية والإسلامية أمر تحرمه الكتب السماوية وتجرمه القوانين الوضعية وترفضه وتأباه العقول السوية.

إخوة الإسلام:

ونتناول هذا الموضوع الخطير من خلال العناصر التالية:

أولا: الإسلام قضية عادلة في يد محام فاشل.

ثانيا: في معرض الأمثال لانهيار المجتمعات.

ثالثا: دمار المجتمعات بالطغيان والفساد.

☒ أولا: الإسلام قضية عادلة في يد محام فاشل:

إن هذا الدين هو الذي ارتضاه الله تبارك وتعالى لكل الناس والأجناس والشعوب حيث يقول الله ﷻ:**{إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللهِ الإِسْلاَمُ}** [آل عمران: ١٩] ويقول أيضا:**{وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ}** [آل عمران: ٨٥].

وقد جعل الله تبارك وتعالى هذه الأمة - أمة الإسلام - أمة عزيزة قهرت كسروية الفرس وقيصرية الروم، ونشرت الإسلام في شتى ربوع الأرض، وجعلها خير أمة أخرجت للناس ولكن بشروط هى:

☒ الأخوة:

حيث يقول الله ﷻ:{**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ**} [الحجرات: ١٠].

☒ الإعتصام:

قال تعالى:{**وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُواْ**} [آل عمران: ١٠٣].

☒ التعاون:

يقول تعالى:{**وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ**} [المائدة: ٢].

الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والإيمان بالله مصداقا لقوله تعالى: {**كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ**} [آل عمران: ١١٠].

والإسلام كتاب عادل في أحكامه وما نص عليه كتاب عادل وجاء من عند رب عادل ونزل على نبى عادل وقضية الإسلام قضية عادلة.

ولكن - وبكل أسى وأسف - أمة الإسلام ليس أمة عادلة وقضية الإسلام العادلة أصبحت اليوم في يد محام فاشل ولا نقصد بالمحامى شخصا بعينه أو بلدا بعينها ولكن هى مسؤولية ملقاة على عاتق كل مسلم عربى وغير عربى إنها قضية عادلة من جميع الجوانب والنواحى لكن المحامى الذي يدافع عنها غير كفء ويهزم من كل جانب وأكبر الأدلة على ذلك أننا تخلينا عن إسلامنا وبرهنا لأعدائنا على ذلك حيث أصبحنا لانعرف عن الإسلام إلا اسمه فحسب نعم عددنا كثير ولكن غثاء كغثاء السيل كما أخبرنا بذلك من الذي لا ينطق عن الهوى ﷺ حيث قال:**يوشك أن تتداعى عليكم الأمم كما تتداعى الأكلة على قصعتها**ـــ قالوا: أو من قلة نحن يومئذ يا رسول الله قال:**بل كثير ولينزعن الله المهابة من صدوركم ، وليقذفن في قلوبكم الوهن**ـــ قالوا: وما الوهن يا رسول الله؟ قال:**حب الدنيا وكراهية الموت**ـــ (١).

---

(١) رواه أحمد وابن ماجه.

وعددنا [١] أشبه بعدد الأصفار الذى يأخذ مسار الواحد الصحيح وكم نود ونتمنى أن يأخذ وضعه الصحيح وأن ينقل الواحد الصحيح إلى وضعه فتكون الأصفار على يمينه وليس على يساره، أصبح الإسلام قضية عادلة في يد محام فاشل وقاضٍ جبان.

☒ ثانيا: في معرض الأمثال لانهيار المجتمعات:

عباد الله - إخوة الإسلام:

إن القوى هو الله والغالب المقتدر هو الله وإذا كان الله تبارك وتعالى قد أعطى فلانا جانبا من القوة وأنعم على البلد الفلانى بجانب من القوة ويريد هذا البلد أن يفرض سيطرته على العالم بأسره ويفعل به ما يشاء كما يفعل الآن الأمريكان فإن القرآن الكريم قد أخبرنا وتحدث عن مثل هؤلاء وعما صنع بهم ليكونوا عبرة لغيرهم وقد بينت سورة الفجر أسباب انهيار المجتمعات من خلال ما حدث لـ:

قوم عاد حيث أرسل الله إليهم نبيهم هود، قال تعالى:{**أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ**}.

فيسأل الله عز وجل نبيه وكل مؤمن بعد ذلك يتلو القرآن ألم يأتك نبأ عاد ومما حل بهم ويشير القرآن إلى أن موطنهم بالأحقاف وهى كثبان رملية وهو مكان معروف حتى الآن شرقى اليمن بحضر موت في جنوب جزيرة العرب حيث لاتزال آثار مساكنهم تشهد بنهايتهم حيث إن قوم عاد استكبروا بقوتهم وقالوا من أشد منا قوة.{**أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ**} [فصلت: ١٥].

وقد [٢] بين الله ﷻ عقاب هؤلاء المعاندين المتكبرين فقال:{**وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ * سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ * فَهَلْ تَرَى لَهُم مِّن بَاقِيَةٍ**} [الحاقة: ٦ - ٨] لقد أرسل الله عليهم ريحا صرصرا عاتية، باردة شديدة سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما نسأل الله أن يسلط على

(١) من مقال للدكتور/ عبد العظيم المطعني، والدكتور/ حمدي والي.
(٢) حضارات ورد ذكرها في القرآن الكريم.

أمريكا ومن تحالف معها على أهل الإسلام العواصف والأعاصير والزلازل والبراكين.

ثانيًا: قوم ثمود:

حيث أرسل الله إليهم نبيهم صالحا وتبدأ الآيات وتوضح أنهم يقطعون الصخر بالواد والواد هو وادى القرى في شمال الجزيرة العربية وكان قوم ثمود يعيشون قبل الميلاد فيما يعرف الآن بالحجر وهو موقع بين الحجاز والشام إلى وادى القرى، ولا تزال آثار ثمود باقية حتى اليوم، ويطلق عليها اسم مدائن صالح ويزورها السواح والرواد، وقد كان النبى ﷺ يقول حينما مر في غزوة تبوك على واد ثمود أسرعوا فإنكم في واد ملعون، يقول تعالى:**{وَعَادًا وَثَمُودَ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَاكِنِهِمْ}** [العنكبوت: ٣٨]، وكذلك بين الله ﷻ عقاب هؤلاء الكافرين الظالمين فقال:**{فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ وَهُمْ يَنظُرُونَ * فَمَا اسْتَطَاعُوا مِن قِيَامٍ وَمَا كَانُوا مُنتَصِرِينَ}** [الذاريات: ٤٤، ٤٥] لقد بعث الله عليهم صيحة ورجفة وذلا وهوانا وعذابا ونكالا بما كانوا يكسبون.

{وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ} [الفجر: ١٠].

كلمة فرعون، كانت تطلق على حاكم مصر قديما وكان هذا المنصب يعرف باسم (فرأون) والأوتاد صاحب الجنود والعساكر أو الأوتاد: أى الأهرام إذ هى شبيهة بالجبال فلقد كان فرعون (لعنه الله) يعذب الناس ويربطهم بها، قال تعالى**{وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا}** [النبأ: ٧] ولقد عاقبه الله أن أغرقه إذ أن هذا الطاغية قال:**{أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي}** [الزخرف: ٥١] فأجراها الله من فوقه قال تعالى:**{حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ}** [يونس: ٩٠].

والعنصر الثالث من عناصر هذا اللقاء ـ إخوة الإسلام ـ:

☒ ثالثا: دمار المجتمعات بالطغيان والفساد:

حيث بين رب العزة تبارك وتعالى في ذات السورة عاقبة هؤلاء ومن يسير على نهجهم قال تعالى:**{الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ * فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ * فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ * إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ}** [الفجر: ١١ - ١٤].

والطغيان: هو مجاوزة الحد والفساد نقيض الصلاح وصلاح كل شيء بقوته وسوط عذاب كناية عن غاية العذاب والسوط هو الكرباج، فلقد حدثنا القرآن الكريم عن ثلاث مجتمعات مختلفة متباعدة الأماكن والأزمنة، ومع ذلك فقد سارت فيها الأمور سيرة واحدة، وانتهت بها الأمور إلى نتيجة واحدة مما يثبت أن ذلك يسير وفق قاعدة، وقانون يثبت أن الطغيان سبيل الفساد، فالإنسان بل كل إنسان عندما لما يلتزم الحدود فذلكم هو الجور والطغيان الذي يؤدى إلى الفساد والدمار.

والطغيان يقع من العامة والخاصة، ولكن حينما يقع الطغيان من العامة، فهذا أمر يمكن مواجهته، إذ هو القليل لقلة حدودهم وللعقاب الذي يفرض عليهم فيردع غيرهم، ولكن الخطورة حينما يقع الطغيان من الخاصة ومن بيدهم الأمر؛ حيث إنهم بمثابة العقل من الجسد ونحن نعلم ما يصيب الإنسان إذا اختل عقله وأصبح بغير ضابط أو رابط.

وفى ذلك يقول الله ﷻ:**{وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا}** [الإسراء: ١٦] ومعنى أمرنا مترفيها أى أمرنا بالصلاح والإصلاح إذ أن الله عز وجل لايأمر بالفساد فالآية فيها تقدير محذوف أو على الذي يتولى الإمارة أهل الفساد فيفسدون لأن الله أراد الهلاك بسبب فعل المعاصي.

واعلموا إخوانى في الله:

أن مانراه الآن من طغيان أمريكا الصغرى على شعب فلسطين وطغيان أمريكا الكبرى على المسلمين، خاصة العراق قد تنبأ بها الرسول ﷺ قبل ألف وأربعمائة عام حيث يقول:**يوشك أهل العراق أن ألا يجبى إليهم قفيز** (١) **ولا درهمــ**، قيل من أين ذاك؟ قال:**العجم** (٢) **يمنعون. يوشك أهل الشام ألا يجبى إليهم درهم ولا مدىــ**، قيل: من أين ذاك؟ قال:**فالرومــ**.

وقول الله ﷻ:**{إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ}**.

(١) مكيال.
(٢) هم كل ما سوى العرب.

الرصد هو الطريق، وبالمرصاد أى واقف على الطريق، أو أنه جواب للأقسام السابقة يسمع ويرى ولايفوته من أعمالهم شيء وهو ينزل حكمه على الأفراد والجماعات من خلال نواميسه وسننه المقدرة إن خيرا فخير وإن شرا فشر وصدق الله حيث قال:{**ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ**} [الروم: ٤١]، وقال تعالى:{**وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ**} [الشورى: ٣٠] وختاما: لا أملك إلا أن أقول إن الصراع بين الحق والباطل سيظل موجود إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وأن دولة الظلم ساعة ودولة الحق إلى قيام الساعة حيث بين رسول الله ﷺ ذلك فقال في الحديث المتفق عليه:**إن الله ليملى للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته** ثم تلا رسول الله ﷺ قوله تعالى:{**وَلاَ تَحْسَبَنَّ الله غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الأَبْصَارُ * مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لاَ يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاء**} [إبراهيم: ٤٢، ٤٣] ولنعلم أن النصرة للحق مهما طال الزمان حيث يقول الله عز وجل:{**بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ**} [الأنبياء: ١٨].

وكما أخبر ربنا:{**فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ**} [الرعد: ١٧] ولنعلم أن ميراث الأرض يكون للقوى الأصلح حيث البقاء للأصلح من بنى الإنسان وليس من نصيب الضعفاء ولا الطغاة الفاسدين، كما قال تعالى:{**وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ**} [الأنبياء: ١٠٥].

وإذا كان عددنا كثير فإننا عندنا المقدرة على أخذ الحق بفضل الله، حتى لا يتحقق فينا قول الشاعر:

ولم أر في عيوب الناس عيبا ::: كنقص القادرين على التمام

وليس ببعيد عنا ما حدث في ثورات الربيع العربي في مصر وليبيا وسوريا وغيرهم، نتيجة الظلم والاستبداد والاستعباد، ومن محاربة الحكام لدين رب العالمين، فقامت الثورات بتوفيق من الله وحده، إلا أن دين الله يحتاج لمن ينصره فينصر الله المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها.

قال تعالى:{**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا الله يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ***

وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعْساً لَّـهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ} [محمد: ٧، ٨].

نسأل الله أن يوحد كلمتنا وأن يؤلف بين قلوبنا.

اللهم آمين.

* * *

متى نصر الله!

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.. وبعد:

إخوة الإيمان والإسلام:

إن الله تبارك وتعالى هو الحكم العدل، يحب العدل في الأمر كله، ويبغض الظلم والظالمين، ويبغض من يمد يد العون لكل ظالم. فبالعدل كان الثواب والعقاب.. وبالعدل كانت الحياة؛ فالعدل أساس الملك.

وسنتناول هذا الموضوع إن شاء الله من خلال العناصر التالية:

أولا: ابتلاءات للمسلمين.

ثانيا: مصير الظالمين.

ثالثا: متى نصر الله.

أولا: ابتلاءات للمسلمين:

يقول الله ﷻ:{**وَلاَ تَحْسَبَنَّ اللهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الأَبْصَارُ * مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لاَ يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاء**} [إبراهيم: ٤٢، ٤٣].

إن مايحدث الآن في شتى بقاع الأرض الإسلامية المضطهدة - لاسيما في العراق وفلسطين - سوريا إنما هو أمر يسير حسب قدرة الله وإرادته، إذ أن كل شيء مكتوب في اللوح المحفوظ قبل بداية الخلق. ومايحدث للمسلمين الآن إنما هو من قبيل الابتلاء، وفي ذلك تكفير للذنوب والآثام. وما يحدث الآن ليس بجديد وإنما أخبر عنه الصادق المصدوق ﷺ.

قال رسول الله ﷺ:**يوشك أهل العراق أن ألا يجبى إليهم قفيز ولا درهم** [١]**ـــ**، قال جابر من أين ذاك؟ قال:**العجم** [٢] **يمنعون. يوشك أهل الشام**

(١) الدرهم الآن عملة معترف بها في فلسطين، ولبنان، والأردن، وسوريا وهم أهل الشام.
(٢) العجم كل ما سوى العرب.

أن ألا يجبى إليهم دينارولامدىـــ، قيل: من أين ذاك؟ قال:**الروم**[(١)]ـــ[(٢)].

وروى مسلم عن أبى هريرة ﷺ، أن رسول الله ﷺ قال:**يوشك الفرات أن يحسر عن كنز من ذهب، فمن حضره فلا يأخذ منه شيئا**ـــ.

ولعل ما نراه الآن ونشاهده من قبل أمريكا وأوربا نلاحظ من خلاله:

حرص هؤلاء على النفط العراقى، نظرا لأهمية النفط، ومايمتلكه العراق من ثروات ومخزون يعادل ثلثى النفط العالمى، وطلب حلف الناتو لدخول ليبيا.

وفي فترة حكم جورج بوش (الأب) أرسل فريقا من فرق البحث العلمى يستكشف عن وجود هذا الكنز الذهبى، الذي أخبر عنه الرسول ﷺ، وجاء تقرير الفريق أن هناك وجودا وأثرا لهذا الكنز. فلعل السبب في الغزو بعد (النفط) أن يكون له السبق في الحصول على هذا الكنز.

ونقول لهؤلاء المعتدين قول الشاعر:

لا تظلمن إذا ماكنت مقتدرا ::: فالظلم يرجع عقباه إلى الندم
تنام عيناك والمظلوم منتبه ::: يدعو عليك وعين الله لم تنم

❖ ثانيا: مصير الظالمين:

عباد الله:

لكل ظالم نهاية مهما كانت قوته.. مهما كان جبروته.. مهما كانت شدته، وكما قيل: دولة الظلم ساعة ودولة العدل إلى قيام الساعة. فمصير الظالمين واضح معلوم، ولاجدال في ذلك، وإذا أردت أن تتعرف على ذلك: فانظر إلى حال الأمم السابقة، وحال الظالمين على مر العصور والأزمان.

* انظر إلى ماحدث لقوم نوح حينما أعرضوا عن دعوته، واستهزؤوا به، ووصفوه بألفاظ بذيئة، فدعا دعوته بعد مايقرب من ألف

(١) الروم: أوروبا وأمريكا.
(٢) رواه مسلم عن جابر ☺.

سنة من الصبر على الدعوة واحتمال الأذى والصعاب.

{وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا * إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا} [نوح: ٢٦].

ولعل مايحدث الآن من حرب شاملة على العراق وأفغانستان خاصة، يبرر ذلك الرئيس الأمريكي فيقول: إن هناك خمسة وثلاثين دولة تقر الحرب، وهذا ليس صحيحا، نظرا لأن من أقر ذلك عدة دول لايتجاوز عددها عدد أصابع اليد الواحدة، ولو سلمنا جدلا أن من أقر ذلك خمسة وثلاثون دولة، فإن مايقرب من مائة وخمسين دولة لاتقر هذه الحروب الظالمة.

وانظر إلى ماحدث إلى قارون حينما استكبر بماله وكنوزه، إذ كان الأقوياء يعجزون عن حمل مفاتيح الخزائن.

فكان العقاب كما قال الله تعالى:**{فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ الله وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ}** [القصص: ٨١].

وإذا كان أهل الفساد والكفر معهم القناطير المقنطرة من الأموال، فإن الله ﷻ حذرنا من الاغترار بذلك. قال تعالى:**{لاَ يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُواْ فِي الْبِلاَدِ * مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ * لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلاً مِّنْ عِندِ الله وَمَا عِندَ الله خَيْرٌ لِّلأَبْرَارِ}** [آل عمران: ١٩٦ - ١٩٨].

فهذا تحذير وتهديد لأهل الكفر بأن النار مثوى لهم، وإذا كانت ربع ميزانية الولايات المتحدة تنفق على إسرائيل، فإن الله قادر على أن يخسف بهم الأرض.

وانظر - يا أخي في الله - إلى ماحدث لفرعون حينما نصب نفسه إلها وربا، وتكبر على الخالق والمخلوق، ودفعه إلى ذلك نعم الله عليه، واستخفافه بقومه وطاعتهم له.

فكان العقاب كما قال تعالى:**{فَحَشَرَ فَنَادَى * فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى * فَأَخَذَهُ الله نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى * إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَى}** [النازعات: ٢٣

ـ ٢٥] كذلك أمريكا جعلت نفسها إلها من دون الله تعالى، وظن أهلها أنهم فوق البلاد والعباد، والله قادر على إغراقهم وتدميرهم.

وانظر إلى ما حدث لعاد وثمود، حينما تكبروا بقوتهم وشدتهم، وقالوا: من أشد منا قوة.

فكان العقاب أن أرسل الله عليهم ريحا صرصرا، فاقتلعتهم من جذورهم حتى صاروا كأعجاز نخل خاوية، ولاترى لهم من باقية.

ومازال الله يرينا آيات في أهل البغى والعناد والكفر والفساد، حيث تهب عليهم العواصف والريح المهلكة، فتدمر الغابات وتقلع الأشجار وتهدم البيوت وتشرد الناس وتهلكهم.

وانظر ـ أخى رعاك الله ـ ماحدث من أبرهة حينما دخل مكة غازيا من أجل هدم البيت الحرام، أرسل الله عليه وعلى جنوده طيرا أبابيل، فجعلتهم كعصف مأكول. وكانت هذه الطيور ضعيفة معها أحجار صغيرة فحطمته وأبادته هو وجنوده**{وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ}** [المدثر: ٣١].

وبالجملة نقول لأهل الكفر: مهما امتلكتم من أموال وسلطات ومعدات وأنفقتموها من أجل حرب الإسلام والمسلمين فستكون هذه الأموال حسرة وندامة وخزى في الدنيا والآخرة.

قال تعالى:**{إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ الله فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ * لِيَمِيزَ الله الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَىَ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعاً فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ أُوْلَـئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ}** [الأنفال: ٣٧].

وأخيرا متى نصر الله؟!

عباد الله: إن نصر الله قريب، نعم النصر والهزيمة بيد الله جل وعلا ولكن مسبب الأسباب يحب من عباده أن يأخذوا بالأسباب. فالنصر يستلزم عدة أمور من أهمها:

١) الإيمان بالله:

والإيمان بالله يعنى الإيمان المطلق بالله جل وعلا. فلو أننا مؤمنون

حقا لنصرنا الله ﷻ. قال تعالى:{**وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ**} [الروم: ٤٧].

فحين نؤمن الإيمان الحقيقى سينصرنا الله على قوى الكفر والضلال، سينصرنا الله على هؤلاء الظالمين المعتدين.

قال رسول الله ﷺ في الحديث الذي رواه البخارى ومسلم من حديث أبى موسى ﵁:**إن الله ليملى للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته ثم قرأ:{وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ}** [هود: ١٠٢]**ـــ**.

فالظلم: أخذ مال الغير بغير الحق، ومبارزة الرب بالمخالفة والمعصية.

ومن مظاهر الإيمان: عدم موالاة الكفار والسير على منهجهم. حيث يقول ربنا:{**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاء بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ الله لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ * فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ فَعَسَى الله أَن يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِ فَيُصْبِحُواْ عَلَى مَا أَسَرُّواْ فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ**} [المائدة: ٥٢].

وعندئذ يأتى الدفاع من الله:{**إِنَّ الله يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ الله لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ**} [الحج: ٣٨].

ولا يتأتى الدفاع عن المؤمنين إلا بتغير الحال من الأسوأ إلى الأحسن، وإظهار الإيمان المطلق لله رب العالمين.

يقول ربنا:{**إِنَّ الله لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ الله بِقَوْمٍ سُوءًا فَلاَ مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَالٍ**} [الرعد: ١١].

٢) الثقة بالله ﷻ :

لكى ينصرنا الله لابد أن نكون على ثقة كاملة بالله، وعلى يقين بما عند الله أكثر مما في أيدينا.

فإن كان عدد العدو كبير، فلنتذكر عدد المسلمين في غزوة بدر، فئة قليلة من كل شيء إلا أنها تثق في ربها تمام الثقة، وكانوا محرومين من

كل شيء إلا من الإيمان. واليوم عددنا كبير ولكن ينقصنا الترابط والتعاون والاعتصام بحبل الله جميعا، ويشخص لنا رسول الله ﷺ داء الأمة اليوم، فيقول في الحديث الذي رواه أحمد وابن ماجه من حديث جابر:**يوشك أن تداعى عليكم الأمم كما تداعى الأكلة على قصعتها** قالوا: أو من قلة نحن يومئذ يا رسول الله؟ قال:**لا، بل كثير ولكن غثاء كغثاء السيل، ولينزعن الله المهابة من صدور أعداءكم وليقذفن في قلوبكم الوهن** قالوا: وما الوهن يا رسول الله؟ قال:**حب الدنيا وكراهية الموت**.

ولنعلم جميعا أن عدونا بأسهم بينهم شديد، فلا تغتر بعدتهم ولاعددهم. قال تعالى:{**الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُواْ حَسْبُنَا الله وَنِعْمَ الْوَكِيلُ**} [آل عمران: ١٧٣].

وينبغي ألا ترهبنا أعدادهم وعتادهم، ولنقرأ قول الله:{**وَظَنُّوا أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ الله فَأَتَاهُمُ الله مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ**} [الحشر: ٢].

والله قادر على نصر أوليائه، ومايعلم جنود ربك إلا هو، فالكون كله بيد الله، وهو بيده كل شيء. فالله نصر رسوله والمؤمنين يوم الأحزاب بالريح.

٣) الجهاد:

يقول الله تعالى:{**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ * تُؤْمِنُونَ بالله وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ الله بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ * يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ**} [الصف: ١٠ -١٢].

فالله ﷻ كرر الإيمان بعد النداء بالمؤمنين. والجهاد له أنواع كثيرة فهناك الجهاد بالنفس، وجهاد الشيطان، وجهاد الكفار، وجهاد المنافقين قال تعالى:{**ولله الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ**} [المنافقون: ٨].

وقال تعالى:{**وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ**} [الشعراء: ٢٢٧].

نسأل الله جل وعلا أن ينصر الإسلام، وأن يعز المسلمين.

اللهم آمين.

* * *

تحذير للعرب

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه.. وبعد:

إخوة الإسلام

بالنظر [(١)] إلى ماكانت عليه الأمم التي تعيش حول الجزيرة العربية قبيل الإسلام، كان يتصدر العالم آن ذاك دولتان اثنتان، تتقاسمان العالم المتمدن هما فارس والروم، ويأتى من ورائهما اليونان والهند، وكان يسيطر على هذه الدول الفوضى والانحلال. أما الجزيرة العربية فقد كانت هادئة بعيدة بل منعزلة عن هذه المجتمعات، ولم يكن لدى أهلها من الترف والمدينة شيئا يذكر، كما كانت طبائعهم أشبه ما تكون بالمادة الخام، إلا أنهم كانوا يعيشون في ظلمة من الجهالة البسيطة والحالة الفطرية الأولى. فكان يغلب عليهم بسبب ذلك أن يضلوا الطريق إلى تلك القيم الإنسانية فيقتلوا الأولاد ويتلفوا الأموال.

وهذه الحالة هى التي عبر عنها ربنا بقوله:{**وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّآلِّينَ**} [البقرة: ١٩٨] فأرسل الله نبيه ومصطفاه، هذا النبى الأمى إلا أنه علم المتعلمين، بعثه الله إلى العرب والناس أجمعين. والعرب من الناحية اللغوية تعنى الصحارى والأرض المجدبة التي لاماء فيها ولانبات، وقد أطلق هذا اللفظ منذ أقدم العصور على جزيرة العرب.

وفى ذلك يقول الله ﷻ:{**هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ**} [الجمعة: ٢].

وكما نعلم أن أبا العرب هو سيدنا إسماعيل عليه السلام، وقد جاء من نسله سيد الأولين والآخرين سيدنا محمد ﷺ، فجاء شاهدا ومبشرا ونذيرا. شاهدا على أمته وعلى الأمم السابقة، ومبشرا بكل خير وبنعم الله جل وعلا، ونذيرا ينذر كل من خرج عن المنهج القويم منهج رب العالمين.

(١) الرحيق المختوم.

أخرج البخارى ومسلم عن زينب بنت جحش أن رسول الله ﷺ دخل عليها فزعا يقول:**لا إله إلا الله، ويل للعرب من شر قد اقترب**ـــ، وفى رواية: استيقظ النبى ﷺ من النوم محمرا وجهه، وهو يقول:**لا إله إلا الله، ويل للعرب من شر قد اقترب، فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذا** (وحلق بأصبعيه الإبهام والتى تليها)ـــ قالت زينب ابنة جحش: يا رسول الله أفنهلك ومنا الصالحون؟! قال:**نعم، إذا كثر الخبث**ـــ ذكر البخارى ومسلم هذا الحديث في كتاب الفتن، والنبى ﷺ قد حث أزواجه على الصلاة وكثرة العبادة، خشية أن تقع الفتن في زمانه، فنحن أولى بالخوف في زماننا هذا. وهذا دليل على دفع الفتن بالطاعات وعمل الصالحات والاجتهاد في العبادات.

عباد الله:

قولها: أن النبى ﷺ دخل يوما فزعا، وفى رواية: استيقظ النبى ﷺ من النوم محمرا وجهه.

فهذا هو حال النبى ﷺ، وهو يدل على عنايته بالأمة، فقام مهموما لما يصيبها في المستقبل، ودخل عليها بعد أن استيقظ من النوم، وقوله ﷺ :**لا إله إلا الله**ـــ.

لا إله إلا الله: هى كلمة الفلاح والنجاح في الدنيا والآخرة، وهى الكلمة التي يحيا ويموت عليها المؤمن، هى الكلمة التي يلقى عليها المؤمن خالقه ومولاه، هذه الكلمة التي تعنى إفراد الواحد الأحد بالعبادة، أى أنه لا معبود بحق إلا الله.

ويروى أن موسى عليه السلام طلب من ربه أن يعلمه شيئا يذكره به فقال له: يا موسى، قل لا إله إلا الله. فقال موسى: يا رب كل عبادك يقولوا لا إله إلا الله. فقال تبارك وتعالى: (يا موسى، لو أن السماوات السبع ومن فيهن والأراضين السبع ومن فيهن وضعت في كفة، ولا إله إلا الله في كفة لرجحت بهن لا إله إلا الله).

وهذه الكلمة العظيمة يقولها المؤمن فينجو بإذن الله. ذكرها يونس عليه السلام وهو في ظلمات ثلاث (ظلمة الليل، وظلمة البحر، وظلمة بطن

الحوت)، فنجاه الله:**{فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ}** [الأنبياء: ٨٧].

وفى هذا الحديث الذي نحن بصدده قال النبى ﷺ هذه الكلمة العظيمة متعجبا، تذكرنا بقوله: (سبحان الله) في حديث (صواحب الحجر) هن وزوجاته. حين استيقظ من نومه ذات يوم قائلا:**سبحان الله، ماذا أنزل الله الليلة من الفتن...ـــ**.

ثانيا: لم خص العرب بالهلاك؟

إخوة الإسلام:

قال الرسول الكريم في هذا الحديث:**ويل للعرب من شر قد اقتربـــ**.

قال ابن حجر: إنما خص العرب بالذكر، لأنهم أول من دخلوا في الإسلام، وللإنذار بأن الفتن إذا وقعت كان الهلاك أسرع إليهم.

ويقول ابن خلدون في مقدمته: إن العرب لايحصل لهم الملك إلا بصبغة دينية من نبوة أو ولاية، أو أثر عظيم من الدين بالجملة. والسبب في ذلك أنهم لخلق التوحش الذي فيهم أصعب الأمم انقيادا بعضهم لبعض، للخلطة والمنافسة في الرياسة، فقلما تجتمع أهواؤهم. فإذا كان النبى أو الولى الذي يبعثهم على القيام بأمر الله، ويذهب عنهم مذمومات الأخلاق، ويأخذهم بمحمودها، ويؤلف كلمتهم لإظهار الحق. وهم مع ذلك أسرع الناس قبولا للحق والهدى، ولسلامة طباعهم من عوج الملكات من ذميم الأخلاق إلا ماكان من خلق التوحش القريب المعاناة المنهى لقبول الخير ببقائه على الفطرة الأولى.

وقد جاء الرسول ﷺ وأخرج الكثير والكثير منهم أمثال جعفر بن أبى طالب، وخالد بن الوليد... وغيرهم كثير.

فكأن قول النبى الكريم:**ويل للعربـــ** لأنهم يكونون أكثر الأمم تأثرا بتلك الفتن، فهذا يدعوهم إلى أن يكونوا أكثر الناس صلاحا وعلما وعملا ودعوة وتعبدا وخلقا وسلوكا. وفى ذلك دعوة خاصة للطاعة بتحذير

العرب لأنهم رداء الإسلام [١].

والمراد " بالشر " وقع بعد النبى ﷺ من قتل عثمان، وكثرة المفاسد العظيمة في بلاد الإسلام، ثم توالت الفتن حتى صار العرب بين الأمم كالقصعة بين الأكلة، كما جاء في الحديث:**يوشك أن تتداعى عليكم الأمم كما تتداعى الأكلة على قصعتهاــ** قالوا: أو من قلة نحن يومئذ يا رسول الله قال:**بل كثير ولينزعن الله المهابة من صدوركم وليقذفن في قلوبكم الوهنــ** قالوا: وما الوهن يا رسول الله؟ قال:**حب الدنيا وكراهية الموتــ** [٢].

قال العلامة القرطبى: ومحتمل أن يكون المراد بالشر ما أشار إليه في حديث أم سلمة ♥ حين قال رسول الله ﷺ:**ماذا أنزل الليلة من الفتن، وماذا أنزل من الخزائنــ** فأشار ذلك إلى الفتوح التي فتحت بعده فكثرت الأموال في أيديهم فوقع التنافس الذي جر الفتن.

وقول النبى ﷺ:**فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوجــ.**

يأجوج ومأجوج: اسمان أعجميان عند الأكثر، منعا من الصرف للعلمية والعجمة. وقيل بل عربيان، وقيل أنهما من الترك. واختلف في اشتقاق اسمهما: قيل من أجيج النار أى التهابها، وقيل من الأجَّه أى الاختلاط، وقيل من الأج وهو سرعة العدو، وقيل من الأجاج وهو الماء الملح [٣].

والردم: هو السد الذي بناه ذو القرنين، وقد ورد أنهم يحفرون كل يوم حتى لايبقى إلا اليسير فيقولون: (نكمل غدا) فيرجع كما كان إلى أن يقولوا إن شاء الله. كما ورد عند الترمذى وابن حبان.

يقول ابن حجر (رحمه الله): وقد ثبت أن خروج يأجوج ومأجوج قبل قيام الساعة فإذا فتح من ردمهم ذلك القدر في زمنه ﷺ، لم يزل الفتح يتسع على مر الأوقات، فكيف اليوم. نسأل الله السلامة.

(١) فتح المبدى.
(٢) سبق تخريجه.
(٣) قصص القرآن.

وهم يخرجون في زمن عيسى عليه السلام فيتحصنون بجبل الطور، فيرسل الله عليهم نغفا أى دودا حتى يسيروا (فرسا). أى: موتى حيث يدعو عيسى عليه السلام ومن معه من المؤمنين ربهم عز وجل فيرسل عليهم طيرا فتحملهم حيث شاؤوا:

وقول النبى ﷺ:**مثل هذه**. وحلق بأصبعيه والتى تليها أى: جعلها مثل الحلقة، فقد كان للعرب طريقة في العد والحساب في إشارة اليد.

وقوله ﷺ:**نعم، إذا كثر الخبث** حين سأل: (أفنهلك وفينا الصالحون؟!)

فيه تحذير العامة وتعريفهم دفع البلاء بالدعاء والطاعة واللافظ بهذا السؤال هى (زينب بنت جحش)، (وفينا الصالحون؟!) كأنها أخذت ذلك من قول الله تعالى:**{وَمَا كَانَ اللهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ}** [الأنفال: ٣٣] ولفظة (خبث) وردت مايقرب من خمس عشرة مرة على اختلاف مشتقات الكلمة في القرآن الكريم والخبث ضد الطيب.

قال ابن العربى (رحمه الله): فيه البيان بأن الخير يهلك بهلاك الشرير، وإذا لم يتغير في خبثه، وإذا لم يجد فيه هذا التغيير وهذا يذكرنا بأمر الله عز وجل لجبريل عليه السلام أن يهلك قرية قوم لوط فقال جبريل:**إن فيهم عبدك الفلانى، وهو عبد صالح. قال الله تعالى: (به فابدأ فإنه كان لا يتمعّر (١) وجهه من أجلى**.

ونخلص من ذلك: أن كثرة الخبث مهلكة للأمة فإن رأس الخبث الشرك وكلمة الكفر، انتشار العرافين بكتابة أبواب في الصحف عن الحظ في الأيام والشهور والسنوات وموالاة الكافرين وتعظيم أعيادهم وهيآتهم وتفشى ظاهرة التبرج، وكثرة الخبث في المال والتكسب منه، والغش في الأسواق والإعلان عن الأفلام الهابطة المفسدة (٢).

قال ابن حجر (رحمه الله): فسر الخبث بالزنا، وبأولاد الزنا وبالفسوق والفجور. فإذا كثر الخبث هان الناس على الله تعالى فأوقع

(١) يتمعَّر: يتغير.
(٢) مجلة التوحيد للشيخ صفوت نور الدين - رحمه الله -.

الوهن في قلوبهم، وهانوا على أعدائهم، فاستلبوا أرضهم واستحلوا دماءهم وأموالهم فإنهم لما غيروا من أنفسهم غير الله تعالى بهم.

قال تعالى:{**ذَلِكَ بِأَنَّ اللّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ وَأَنَّ اللّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ**} [الأنفال: ٥٣].

إخوة الإسلام والإيمان:

إنه لارجوع إلى العز الأول مهما عقد المؤتمرات وحشدت المظاهرات وكثرت الأعداد والأموال - إلا إذا رجع المسلمون عن كل خبيث فلا تعجبك كثرة الخبيث، ولا تخدعك المظاهر فإن الله تعالى يقول:{**إِنَّ اللّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلاَ مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَالٍ**} [الرعد: ١١].

ويقول نبى الهدى والرحمة ﷺ:**لا يأتى زمان إلا والذى بعده شر منه**[١].

ألا ليت قومى يعلمون

نسأل الله أن يجنبنا الزلل وأن يجنبنا الفتن، وأن يجنبنا الفواحش ماظهر منها وما بطن.

اللهم آمين.

* * *

(١) رواه مسلم من حديث أنس.

الخاتمـة

وبعد: فقد استبان لكل ذى لب من هذه الآداب والأخلاق أن محمدا رسول الله وخاتم النبيين قد جاء بدين قويم، وشرع حكيم رحيم وأن الإصلاح الإسلامي المحمدي يقضي على كل ما هو مفسد، ويحث على كل مافيه نفع للناس، وبذلك يظهر للناس ولسائر الأمم ما امتاز به الإسلام من الإصلاح العام للإنسانية، وأنه لو لم يكن رسول الله وخاتم النبيين الذي جاء بإكمال دين الله الذي شرعه على ألسنة من سبقه من المرسلين، لما جاء للإنسانية بخير مما جاؤوا به كلهم أجمعون. فكونوا بذلك عونا لإخوانكم المجددين لهداية الإسلام،،

وصلى الله على محمد وآله وعلى سائر الأنبياء جميعا.

والحمد لله رب العالمين،

* * *

المراجـع

١- القرآن الكريم.
٢- إحياء علوم الدين، أبو حامد الغزالى.
٣- الإسلام وإقرار الأمن، د/ أحمد عمر هاشم.
٤- الإسلام والحفاظ على البيئة، محمود محمد حسين، محروس عبد المجيد الشرقاوي.
٥- الإسلام وقضايا التنمية الشاملة، د/ نبيل السمالوطى.
٦- الأسرة المسلمة أسس ومبادئ، د/ عبد الحكم الصعيدى.
٧- الإنسان في التصور الإسلامى، د/ محمود حمدى زقزوق.
٨- الإعجاز العلمى في الإسلام (السنة)، محمد كامل عبد الصمد.
٩- البداية والنهاية في الخطب المنبرية، يوسف عبدالغنى كيوان.
١٠- البلاء في حس المؤمن، رسالة ورقية (السعودية).
١١- البيئة في الفكر الإنسانى والواقع الإيمانى، د/ عبدالحكم الصعيدى.
١٢- الترغيب والترهيب، للمنذرى.
١٣- الدين والحياة، د/ محمود محمد عمارة.
١٤- الرحيق المختوم، المباركفورى.
١٥- الطريق من هنا، محمد الغزالى.
١٦- العقيدة والأخلاق، د/ محمد سيد طنطاوى.
١٧- الفقه الواضح، د/ محمد بكر إسماعيل.
١٨- القلق (رسالة صوتية)، محمد حسين يعقوب.
١٩- الكبر بين القرآن والسنة، د/ شعبان المرسى الدقرة.
٢٠- الكشاف، الزمخشرى.
٢١- المرأة المسلمة، إبراهيم الجمل.
٢٢- المرأة المسلمة، وفقه الدعوة إلى الله، د/على عبد الحليم محمود.

٢٣- تحفة المودود بأحكام المولود، ابن القيم تحقيق د/ كمال الجمل.
٢٤- تربية الأولاد في الإسلام، عبد الله ناصح علوان.
٢٥- تفسير القرآن الكريم، ابن كثير.
٢٦- تفسير القرطبى (الجامع).
٢٧- تنبيه العافلين، السمرقندى.
٢٨- حضارات ورد ذكرها في القرآن، د/ عبدالحكم الصعيدى.
٢٩- حقوق المراة في الإسلام، د/ سعاد صالح.
٣٠- حياة الحيوان، الدميرى.
٣١- خلق المسلم، الغزالى.
٣٢- دور الأزهر في الدفاع عن القدس، م. الأزهر المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية.
٣٣- رأى الدين في المخدرات والمسكرات، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية.
٣٤- رجال أحبهم الرسول، د/ محمد بكر إسماعيل.
٣٥- رياض الصالحين، النووى.
٣٦- زاد المعاد في هدى خير العباد، ابن القيم.
٣٧- سنن ابن ماجة.
٣٨- صحيح مسلم. شرح النووى.
٣٩- صفوة التفاسير، الصابونى.
٤٠- عناية الإسلام بالمرأة في ضوء السنة المطهرة، د/ موسى فرحات.
٤١- فتاوى النساء، ابن تيمية.
٤٢- فتح المبدى في شرح مختصر الزبيدى، الشيخ/ عبد الله الشرقاوى.

٤٣- فتح البارى في شرح صحيح البخارى، ابن حجر العسقلانى.

٤٤- فتح المنعم في شرح صحيح مسلم، د/ موسى شاهين لاشين.

٤٥- فقه النساء، محمد عبده مغاورى.

٤٦- في ظلال القرآن، سيد قطب.

٤٧- قصص القرآن، د/ محمد بكر إسماعيل.

٤٨- لاتغضب (رسالة ورقية)، السعودية.

٤٩- منبر الإسلام سنة ١٩٦٩م، ربيع أول سنة ١٣٨٩هـ، مجلة إسلامية مصرية.

٥٠- مسند أحمد، للإمام أحمد بن حنبل.

٥١- صفات المؤمنين في ضوء السنة المطهرة، د/ شعبان المرسى الدقرة.

٥٢- من عبد الله بن حذافة إلى شباب المسلمين، رسالة ورقية (السعودية).

٥٣- منهج السنة في تربية الإنسان، د/ بدير محمد بدير.

٥٤- مهمة الإسلام في العالم، محمد فريد وجدى.

٥٥- نداء للجنس اللطيف، محمد رشيد رضا.

٥٦- نيل الأوطار، الشوكانى.

٥٧- وصايا الرسول، د/ محمد بكر إسماعيل.

٥٨- وصايا الرسول، طه العفيفى.

٥٩- ياتارك الصلاة (رسالة صوتية)، محمد حسين يعقوب.

٦٠- يوم الجمعة وخطبته في موكب الدعوة، د/ يسرى هانئ.

٦١- مقالات إسلامية أخرى.

* * *

الفهـرس

الفهـرس

* * *

صدر للمؤلف بحول الله وقوته

- أولا : البداية والنهاية في الخطب المنبرية .
- ثانيا : وقفات إيمانية مع المناسبات الدينية .
- ثالثا : عمل الإنسان في ميزان الإسلام .
- رابعا : القول المبين في تاريخ الكعبة ومسجد خاتم النبين ﷺ .
- خامسا : دُرة الواعظين وإرشاد الحائرين .

* * *